(٧)

منتقيات

الشيخ علي حسن غلوم علي

منتقيات

- ٧ -

مقالات مختارة من صفحة منتقى الجمان المنشورة على صفحات جريدة الوطن الكويتية

من

٧ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ / ١٩ يناير ٢٠١٣ م

إلى

١٧ ربيع الأول ١٤٣٥ هـ / ١٨ يناير ٢٠١٤ م

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

من مطبوعات

مسجد سيد هاشم بهبهاني - الكويت

تلفون: ٢٥٤٢٧٩٩٧ - ٢٥٤٢٧٦٦٧

فاكس: ٢٥٤٢٨٥٥٨

Email: alwalaa@alwalaa.com

مسجد سيد هاشم بهبهاني - الكويت
1425 هـ - 2004 م

محتويات الكتاب

** المقدمة بقلم الوزير السابق د . عبدالهادي الصالح ٩
١ـ شكراً للوطن .. وصراع الغرائز ١٥
٢ـ النبي الأمي ١٨
٣ـ وقفة مع دعاء الإمام العسكري ١ من ٢ ..... ٢٢
٤ـ وقفة مع دعاء الإمام العسكري ٢ من ٢ ..... ٢٥
٥ـ معاداة السامية ٢٨
٦ـ أعيادنا الوطنية .. وقفة للتأمل ٣٢
٧ـ تعديل معايير التقييم ٣٥
٨ـ هل أنت جعفري ٣٨
٩ـ موسى والعبد الصالح ٤١
١٠ـ شجاعة الزهراء عليه السلام ٤٥
١١ـ دعوة للتسامح ٤٨
١٢ـ الدين والسياسة ـ القسم الأول ٥١
١٣ـ الدين والسياسة ـ القسم الثاني ٥٤
١٤ـ الدين والسياسة ـ القسم الثالث ٥٧
١٥ـ قانون الإعلام الموحد ٦٠
١٦ـ تسبيح الزهراء عليها السلام ٦٣
١٧ـ الإمام الباقر بين التقية والباطنية ٦٦
١٨ـ نحو مجتمعات بلا تقية ٦٩
١٩ـ الحكمة المفقودة ٧٢
٢٠ـ رهان النجوى ٧٥
٢١ـ معالجة قضايا الساعة ٧٨
٢٢ـ بين المهدي والكليم ٨٢
٢٣ـ سورية والعدل المنتظر ٨٥
٢٤ـ الغطرسة الدينية ٨٩
٢٥ـ يسألونك عن الأهلة ٩٣
٢٦ـ كيف نقرأ تاريخ الأئمة ٩٦

محتويات الكتاب

٢٧ـ التنمية، قعقعة السلاح، والانتخابات ١٠٠
٢٨ـ القدس قضيتنا الكبرى ١٠٤
٢٩ـ كيف نواجه التعصب ١٠٨
٣٠ـ تخاريف ـ القسم الأول ١١٢
٣١ـ تخاريف ـ القسم الثاني ١١٦
٣٢ـ تخاريف ـ القسم الثالث ١٢٠
٣٣ـ تخاريف ـ القسم الرابع ١٢٣
٣٤ـ تخاريف ـ القسم الخامس ١٢٨
٣٥ـ مكانة الإمام الرضا وحكمته ١٣١
٣٦ـ حرب الإشاعات ١٣٥
٣٧ـ أنسنة الدين ١٣٨
٣٨ـ الحرية عند الإمام علي ـ القسم الأول ١٤١
٣٩ـ الحرية عند الإمام علي ـ القسم الثاني..... ١٤٥
٤٠ـ الحرية عند الإمام علي ـ القسم الثالث ١٤٩
٤١ـ دلالات حديث الغدير ١٥٣
٤٢ـ وقفة مع الشعائر الحسينية ١٥٧
٤٣ـ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ١٥٩
٤٤ـ ثأر الله ١٦٣
٤٥ـ هيمنة الإسلام ١٦٥
٤٦ـ صلح الحديبية والاتفاق النووي ١٦٩
٤٧ـ من صور النفاق ١٧٣
٤٨ـ الاستغفار وفتنة مانديلا ١٧٥
٤٩ـ حسين مني وأنا من حسين ١٧٨
٥٠ـ الانفتاح والحذر ١٨١
٥١ـ نبي الرحمة والتواصي بالمرحمة ١٨٤
٥٢ـ التكفير تهمة الجاهلين ١٨٨

محتويات

الكتاب

المقـــــدمة



د . عبدالهادي الصالح

الشيخ علي حسن غلوم عرفته منذ أن كان صبياً، وأطلت النظر إليه فوجدته شغوفاً في مطالعة الكتب، ينتقيها بعناية من بين أرفف مكتبة جمعية الثقافة الاجتماعية في ميدان حولي أيام الثمانينيات من القرن الماضي، لم يكن كسائر أقرانه من الفتيان الذين يتلقفون كرات الرياضة ويطيلون اللعب البرئ.. ولذلك لم يكن غريباً أن يلتفت عن استكمال دراساته الأكاديمية في الجامعات المدنية رغم كل الاغراءات التي تنتظره منها وهو صاحب التفوق، ابتداءاً من السفر إلى الجامعات الغربية، وانتهاءاً بما ينتظره من مخصصات مادية ومعنوية وما يتوقعه من مناصب مدنية رفيعة.

لكنه أعرض عن هذا كله وتوجه بحماس ونهم إلى الدراسات الإسلامية في الحوزات الدينية في قم، التي لا تؤهله إلى تلك المناصب الدنيوية، ولكن من المؤكد أنها تعد من الدراسة الشرعية التي ترفعه إلى درجات العلماء الربانيين ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[المجادلة:١١].

لست هنا بصدد ترجمة سيرته الكريمة، أو الإطناب في مدحه، ولكن عندما توقدت لدي فكرة إشراك مدرسة أهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» في البرامج الدينية في تلفزيون دولة الكويت، كونها من ضمن المدارس التي يتعبد بها أهل الكويت ومن الحق الدستوري الذي تَوافق عليه الجميع وفق ما نص عليه دستور ١٩٦٢م من مبادئ المساواة والعدالة وتكافؤ الفرص، علاوة على ما قررته المادة ٣٥ منه: (... وتحمي الدولة حرية القيام بالشعائر الدينية...) وكذلك المادة ٣٦ (... ولكل إنسان حق التعبير عن رأيه ونشره...).

وبناء على هذا بادرت بفضل من الله وتوفيقه إلى مخاطبة وزير الإعلام الأسبق المرحوم الشيخ سعود ناصر الصباح، ووكيل الوزارة آنذاك السيد فيصل الحجي، وبتمهيد من الأخ الفاضل السيد عبدالوهاب الوزان بطلب تخصيص برنامج تلفزيوني عن روائع الدعاء عند أهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ»

بحيث يحتوي البرنامج على فقرة لقراءة مقطع من دعاء، يليه شرح لهذا المقطع.. فاستجيب لهذا الطلب على أن نعد حلقات تجريبية، ووقع الاختيار على الشيخ علي حسن غلوم بما يمتاز به من حيوية وحسن بصيرة في التكيف مع متطلبات فن مخاطبة الناس على تنوع مشاربهم الدينية والثقافية ومن خلال الجهاز الإعلامي المرئي، في زمن لم تنتشر فيه بعدُ القنوات الفضائية الخاصة كما هو الحال اليوم.

استجاب الشيخ علي مشكوراً لهذه البادرة وبذل الجهد لإنجاحها، وشرعنا بتسجيل الحلقات، ولكن للأسف ما إن دارت كاميرات التسجيل حتى بدأت الضغوطات تتوالى على الوزارة من الأطراف التي تكره التعددية وتمقت الرأي الآخر لوقف عرض البرنامج، وتعلل بعض المسؤولين الصغار بحساسية العمامة التي تزين الشيخ علي حسن، وقالوا بكفاية قراءة الدعاء من دون شرح..

وقد كان بالصوت الشجي للأخ الكريم الحاج ميثم كاظم.. ثم عادوا وادعوا بأن طريقة قراءة الدعاء بصوته تعد غريبة لا تناسب والبيئة الكويتية.. وبعد جهود مضنية تم بث الدعاء فقط دون الشرح، وفي توقيت غريب، حيث يكون الناس فيه نيام.. وبالتحديد: قبيل أذان الفجر!!

ورغم استبعاد الشيخ علي حسن من البرنامج التلفزيوني إلا أنه لم ينكسر ولم يتوانَ في التفاعل مع أي مشروع إعلامي يخاطب الجمهور العام، ولذلك استجاب مشكوراً مرة أخرى لإعداد زاوية (على مائدة أهل البيت) في جريدة الطليعة الأسبوعية خلال شهر رمضان، وهي زاوية أسبوعية يتم فيها عرض فكر أهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» .. ثم انتقلت هذه الزاوية إلى جريدة القبس، وكانت يومية فقط في شهر رمضان المبارك، وبعدها تحولت إلى أسبوعية (يوم الجمعة) طوال السنة في نفس الجريدة، حيث يقوم بإعدادها حالياً الأخ الكريم عمار كاظم.

وهاهي جريدة (الوطن) منذ سبع سنوات تتألق أسبوعياً مع صفحة (منتقى الجمان) بعد أن وافقت مشكورة بتخصيص صفحة كاملة يعرض فيها فكر أهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» ، والذي يقوم بإعدادها سماحة الشيخ علي حسن غلوم بما له خبرة في هذا المجال.. وسلسلة (منتقيات) والتي بين يديك عددها السابع تمثل مجموعة المقالات الرئيسية التي كتبها الشيخ علي حسن خلال السنة ونشرت في هذه الصفحة، والتي هي عبارة ـ في كثير من الأحيان ـ عن خطب الجمعة التي يلقيها من على منبر مسجد سيد هاشم بهبهاني.

من خلال تجربتي الإعلامية في القضايا الدينية مع الإعلام الكويتي أجد أنه مصاب بـ (فوبيا) الإعلام الإسلامي، ليس من خلال المضمون بقدر ما هو واقع تحت هلوسة وحساسية التعامل مع قضية التعددية الدينية التي تفسح المجال للمدارس الأخرى التي يتعبد بها أهل الكويت لأخذ حريتها المكفولة دستورياً.. وهو خطأ فادح لا زالت الجهات المعنية ـ الرسمية منها والأهلية ـ تتعامل معه بتحفظ وحساسية مفرطة تتجه من خلالها إلى مصادرة الرأي الآخر، وفي هذا التحفظ وهذه الحساسية ـ وكما يلاحظ ـ مساهمة في زيادة البون الثقافي بين الجمهور، لاسيما عندما تم تغييب الرأي الديني الإسلامي الآخر، مما مهد للجهل والتزوير أن يأخذ طريقه إلى الإعلام الديني الإسلامي المنفرد.

وسلسلة موضوعات (منتقيات) سواء المكتوب منها أو ما تم إلقاؤها كخطب جمعة في رأيي هي رسالة إلى المصابين بـهذه (الفوبيا)، لينظروا إلى هذا النموذج الذي يقرّب ولا يفرق مع محافظته على الأصالة الفكرية لمدرسة أهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» ، وهي دعوة كريمة لتذوّق فن الخطاب الديني الذي يناقش أحداث الأمة والقضايا الوطنية ومستجدات اهتمامات الناس، بالصوت والصورة مستخدماً وسائل الإيضاح الحديثة، والتواصل الاجتماعي الالكتروني.. وهي دعوة لتبديد ظلام الجهل والتعصب ومصادرة حق الآخرين.. تجربة من شأنها أن تعالج تلك الفوبيا التي كادت أن تُفقد الأمة حريتها في التكيف مع كل أطياف المجتمع.. هذه كلمة لابد من قولها وهي تتراءى لي كلما صدر عدد جديد من سلسلة (منتقيات)، سائلاً المولى سبحانه أن يوفق مسجد سيد هاشم بهبهاني لأداء دوره الأصيل في التفاعل مع الناس بلغتهم مع مسؤولية حرية الكلمة.

عبدالهادي عبدالحميد الصالح

الكويت فبراير ٢٠١٤ م

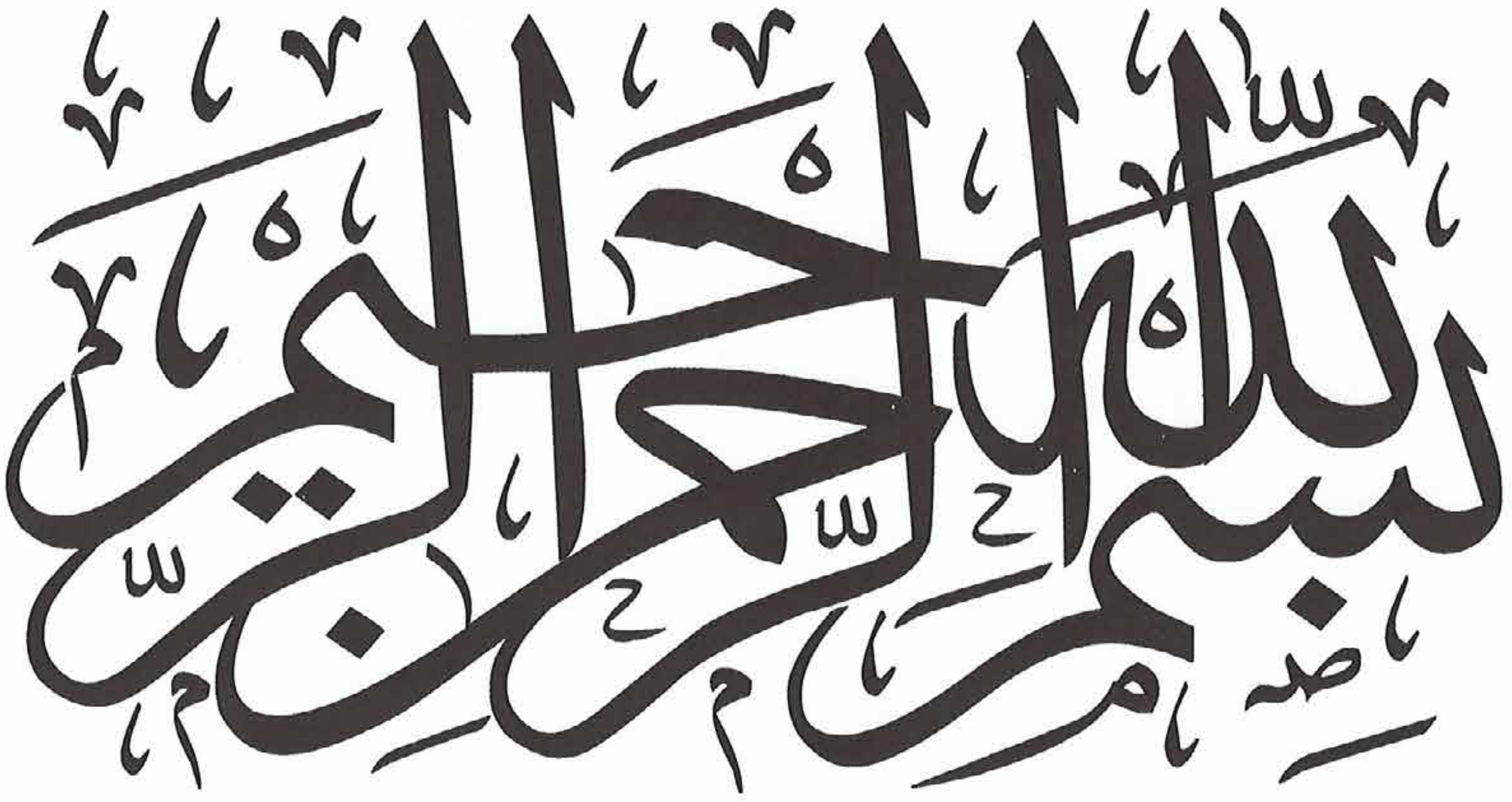
بسم الله الرحمن الرحيم







المُنتقى هو المختار من بين الأشياء. والجمان جمع جمانة وهي حبة اللؤلؤ الصغيرة، أو حبة تُعمل من الفضة على هيئة الخرزة تشبه اللؤلؤة أو الدرة. فهذه الصفحة تقدم كل أسبوع مختارات من الدر واللؤلؤ من وحي القرآن الكريم ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.

إعداد الشيخ علي حسن غلوم

شكرا للوطن.. وصراع الغرائز

بداية..

شكراً لـ الوطن.. فقد مضت ست سنوات على انطلاقة صفحة منتقى الجمان وهذه هي السنة السابعة..

شكراً لـ الوطن.. التي فتحت الباب دون تردد لاستمرار هذه الصفحة..

شكراً لـ الوطن.. التي التقت معي في الخطوط العامة لمحتويات الصفحة، فأطلقت لي حرية الكتابة في القضايا المختلفة ذات الطابع الديني والوطني والإنساني..

شكراً لـ الوطن.. التي تُسجَّل لها هذه السابقة في الانفتاح على فكر مدرسة أهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» بصورة واسعة ومنتظمة أسبوعياً..

شكراً لـ الوطن.. التي آمل أن تبقى على ما عهدته منها من انفتاح..

وشكراً لقراء الوطن.. الذين لم يبخلوا عليّ بانتقاداتهم واقتراحاتهم وآرائهم البناءة..

وأسأل الله «عَزَّ وَجَلَّ» التوفيق للاستمرار في العطاء والتطوير، فما بنا مِن نعمة فمِن الله..

• تنازع القوى:

عندما يفقد الإنسان قوّتي العقل والعاطفة في مواجهة أهوائه الجارفة فيستسلم لها، فإنه يعيش حالة من القلق والصراع النفسي والارتباك وفقدان التوازن الروحي بصورة عنيفة، ومردّ ذلك أحياناً إلى حالة التنازع

٧ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ
١٩ يناير ٢٠١٣ م

بين الأهواء المتعددة والمتخالفة، وكل هوى من هذه الأهواء الكثيـــرة في النفس يتطلب الاستجابة والإشباع.

ولنضرب لذلك بعض الأمثلة:

قد يقع الإنســـان فريسة بين غريزة الانتقام والغضـــب من جهـــة، وغريزة حـــب الحياة والجاه والســـلطان من جهة أخرى، فيتطلب منه حب الســـلطان والجاه: المداراة والرفق بالمعارضين، وتدفعه غريزة الانتقام والغضب إلى الفتـــك بأعدائه المعارضيـــن له.. الأمر الذي يجعله يعيش صراعاً نفســـياً قد يصبح عنيفاً تبعاً لدائرة السلطة وحجمها. مع العلم أن الرفـــق والمداراة هنا ليســـت من الحلم الممدوح والذي يُعدّ من جنود العقل وأدواته التي ترتقي بالسلوك الإنساني، وإنـــما هو من إيثار هوى على هوى.

• لياقات اجتـماعية:

وقد يقع التضـــارب بين غريزة حب الجاه والســـلطان الذي يتطلب مســـتوى معيناً من الآداب الاجتـماعية، وبين سائر الغرائز التي ترفض هـــذه الآداب الاجتـماعيـــة كالغريزة الجنســـية مثـــلاً، علماً بـــأن ضبـــط الغريزة الجنسية والتحكم بها مراعاةً لهذه الاعتبارات الاجتـماعية ليست من العِفّة في شئ، وإنـما هـــي إيثار هوى على هوى آخر.. كما أنه يتفق كثيراً أن تتغلب غريـــزة الجنس على غريزة حب الجاه، فتصبح الأولى مصدراً للفضائح الجنسية التي يتعرض لها بعض الشخصيات العامة بين حين وآخر.

• الخوف على النفس:

وقد يقع الإنسان فريسة للصراع بين غريزة حب الجاه والســـلطان وبيـــن غريزة الخوف على النفس.. فتتطلب الغريزة الأولى الهجوم والفتـــك والمجازفة، بينـمـــا تتطلب الغريزة الثانية التريث والتحفـــظ والأخذ بالاحتياط. وهنا أيضاً لو اختار الإنســـان الذي يعيش هذا الصراع الخيـــار الثاني، فإنه لـــن يكون أمراً إيجابياً في ذاته، وإن احتـملنا أن تكون نتائجه الآنية إيجابيـــة، لأن الدافع للتريث والتحفظ ناشئ من الخوف على النفس، لا من تفضيل الاحتياط في شأن إراقة الدماء وأمثال ذلك.

هذه بعـــض الأمثلـــة على صـــراع الأهواء والغرائـــز داخل النفس، والتضارب والصراع من هذا القبيل أمر شائع في حياة الإنسان. يقول الله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَـــا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِـــي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[التوبة:٥٥].

• عذاب آخر:

يلقى الإنســـان الذي يُســـلم نفسه لأهوائه لوناً آخر من ألوان المعاناة، ففي كل هوى من الأهواء عذاب يخصّه، وإن شعر الإنسان بنوع من اللذة الآنيـــة. فكيف يكون حال من يريد

أن يبنـــي بيتاً ولكنه يريده بيتـــاً متـميزاً على سائر البيوت، متفوقاً في تصميـمه ومواد بنائه وتأثيثـــه وألوانـــه و.. و.. و.. إلخ القائمة التي كأنها لا نهاية لها.. تخيّل حال هذا الإنســـان الـــذي يبقى يبحـــث ويقارن ويبنـــي فيهدم، ويتقـــدم خطوة ثـم يتراجع عشـــراً، ويتكلف أموالاً يتألم على إنفاقها، حتى إذا انتهى بعد سنوات وسنوات من مشروعه هذا وشعر بلذة ما، تجده يعيش هاجس المقارنة والخوف من أن يتفوق عليه أحد في ما أنجز، ثـم يتحول إنجازه بـمرور الأيام إلى وجـــود عـــادي يـملّه فيبدأ يدخل فـــي دوامـــة جديدة من التفكير والمعاناة النفســـية في كيفية الخروج من هذا الوضع.



ولعـــل إلى هـــذه الحالة من المعاناة أشار الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» حيث قال: (ما أعجب أمر الإنسان: إن سنح له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الأســـف، وإن ســـعد نســـي التحفظ، وإن ناله خوف حيّره التحفظ، وإن اتســـع له الأمن أسلمته الغرّة، وإن أصابتـــه مصيبة فضحـــه الجزع، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضّته فاقة شمله البلاء، وإن جهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة. فكل تقصير به مُضِر، وكل إفراط به مفسد، وكل خير معه شر، وكل شـــر له آفة). فلاحظ كل هذه الآلام النفســـية التي تجعل الإنسان يعاني ويعاني:

• يستســـلم لهـــوى القوة والاعتـــلاء على الآخريـــن، فيعاني من كثرة الشـــكوك فيـما وفيـمن حوله..

• ويستســـتلم لهوى حب الذات المفرط، فيعاني مـــن مقارنة أوضاعه بأوضاع الآخرين الذين يفوقونه مالاً أو جمالاً أو شهرة..

• ويقبل إقبالاً شـــديداً على الدنيا، فيتألم من شدة الحسرة علـــى ما ضاع من بين يديه أو خوفاً من فقدان ما يـملك..

• ويعيش اللـــذات ويركن إلى النعمـــة ويغفل عن واقع الحياة، فيبتلـــى بالمبالغة في الحزن عند المصائب.. وغير ذلك من المعادلات النفسية..

فهـــل يـمكن أن نتصور أن إنســـاناً يعيش كل أو بعض هذه الآلام هو إنسان سعيد؟ عن علي «عَلَيْهِ السَّـلامُ» : (عبـــاد الله، إن مِن أحبِّ عبادِ الله إليه عبداً أعانه الله على نفســـه.. قد خلع ســـرابيل الشـــهوات، وتخلى من الهموم إلا هماً واحـــداً انفرد به، فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى).

النبي الأمِّي

١٤ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ
٢٦ يناير ٢٠١٣ مـ

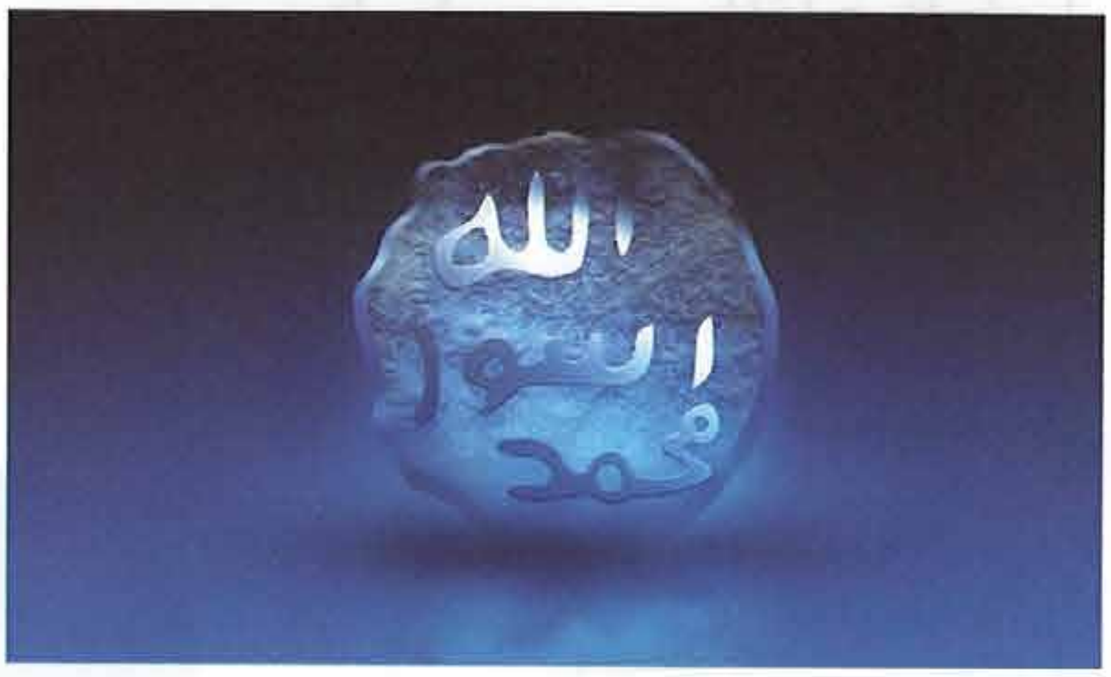

تحدث القرآن الكريم عن أمية النبي الأكرم محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» بصورة مباشرة في موضعين متتاليين من سورة الأعراف.

ففي الآية ١٥٧: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾، وفي الآية ١٥٨: ﴿فَآمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وجاءت الإشارة إلى أميته بصورة غير مباشرة في سورة الجمعة في الآية الثانية: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ﴾.. ومن الواضح أن إطلاق هذه الصفة عليه «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» من قبل الله «عَزَّ وَجَلَّ» لا يهدف إلى الانتقاص من مقامه وشأنه، بل إما ذكرت ثناءً ومدحاً، وإما تمييزاً لغرض معين.. فما المراد إذاً من الأمية؟ ولماذا ذكرت كصفة لسيد الأولين والآخرين **محمد** «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ»؟

• أمية القراءة والكتابة:

الرأي الأول يذهب إلى التمسك بالمعنى اللغوي الظاهر والمتبادر من الكلمة، جاء في لسان العرب: (قال الزجاج: الأُمِّيُّ الذي على خِلْقَة الأُمَّةِ لم يَتَعَلَّم الكِتاب فهو على جِبِلَّتِه، وفي التنزيل العزيز: ومنهم أُمِّيُّون لا يَعلَمون الكتابَ إلاّ أَمَانِيَّ؛ قال أَبو إسحق: معنى الأُمِّيّ المَنْسُوب إلى ما عليه جَبَلَتْه أُمُّه أي لا يَكتُبُ، فهو في أنه لا يَكتُب أُمِّيٌّ، لأن الكِتابة هي مُكْتَسَبَةٌ فكأَنه نُسِب إلى ما يُولد عليه أي على ما وَلَدَته أُمُّهُ عليه.. وقيل لسيدنا محمدٍ رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» الأُمِّي لأَن أُمَّة العرب لم تكن تَكْتُب ولا تَقْرَأ المَكْتُوبَ، وبَعَثَه الله رسولاً وهو لا يَكْتُب ولا يَقْرأُ من كِتاب، وكانت هذه الخَلَّة إحْدَى آياته المُعجِزة).

فالآيات ـ وفق هذا الرأي ـ تشير إلى عدم معرفة النبي بالقراءة والكتابة كما جاء في سورة العنكبوت: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاء مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الْكَافِرُونَ، وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ، بَلْ هُوَ

آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٧-٤٩]، لا انتقاصاً من شأن النبي، بل للتأكيد على عدة أمور:

١ـ سماوية القرآن الكريم المعجز في بيانه ومضامينه ودقته، فكيف لرجل لا يقرأ ولا يكتب أن يأتي بمثل هذا القرآن، لولا أنه من عند الله؟ ولذا قال الله «عَزَّ وَجَلَّ» : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء:٨٨].

٢ـ سماوية القرآن الكريم من حيث دقة تكرار عرضه دون خطأ أو نقص أو زيادة، وهذا ما أشار إليه ابن منظور في لسان العرب حيث قال: (لأَنه «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» تَلا عليهم كِتابَ الله مَنْظُوماً، تارة بعد أُخْرَى، بالنَّظْم الذي أُنْزِل عليه فلم يُغَيِّره ولم يُبَدِّل أَلفاظَه، وكان الخطيبُ من العرب إذا ارْتَجَل خُطْبَةً ثم أَعادها زاد فيها ونَقَص، فحَفِظه الله «عَزَّ وَجَلَّ» على نَبيِّه كما أَنْزلَه، وأَبانَهُ من سائر مَن بَعَثه إليهم بهذه الآية التي بايَنَ بَينه وبينهم بها).

٣ـ الدلالة على صفة من صفاته المذكورة من قبل في كتب سماوية، كمزيد برهان ودليل على صحة نبوته، خاصة لأهل الكتاب الذين كانوا ينتظرون بعثته وفق صفات معينة، ومن بينها كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وهو ما أشارت إليه الآية ١٥٧ من سورة الأعراف: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾، وقد جاء في سفر التثنية الإصحاح ١٨ من التوراة: (أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ) أي مثل النبي موسى «عَلَيْهِ السَّلامُ» صاحب شريعة وهو من نسل إسماعيل أخي إسحق «عَلَيْهِما السَّلامُ» (وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ) أي أن كلام الله يأتيه على فمه لا في اللوح والكتاب، على خلاف ما كان عليه موسى، لأنه أمّي.

وفي إنجيل يوحنا الإصحاح ١٦على لسان السيد المسيح «عَلَيْهِ السَّلامُ» : (إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيضًا لأَقُولَ لَكُم وَلكِن لاَ تستَطِيعُونَ أَن تَحتَمِلُوا الآنَ، وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ، لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ، بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ) أي أنه يتلقى الوحي سماعاً لا قراءةً.

• أمة بلا حضارة:

الرأي الآخر القريب من الرأي الأول بنحوٍ ما هو الأمية الحضارية، وكأن الله «عَزَّ وَجَلَّ» يقول أنه بعث محمداً «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» في مجتمع لم يكن يمتلك حضارة علمية وثقافية وتقنية وفلسفية على خلاف ما كانت عليه سائر الأمم من حوله كالفرس واليونان والرومان، وأنهم عايشوا النبي في طفولته وشبابه، وهم مدركون أنه لم يغادر هذا المجتمع الأمي

حضارياً إلا في سفرة تجارية محدودة الزمن، فكيف له أن يأتي بكل هذه المعارف الكثيرة التي اختصت في جزء كثير منها بتجارب الأمم وتاريخها وخلاصات العبر المأخوذة منها، والحِكَم والأخلاقيات والآداب والتشريعات التي تنظم الحياة بالصورة المثلى، وتضع الحلول لكبريات المسائل المعضلة في الجوانب الإدارية والقضائية والاجتماعية والفكرية، علاوة على الإخبار بالغيبيات حول الملائكة والجن واليوم الاخر والحساب والجنة والنار، وغير ذلك مما حواه القرآن الكريم؟

إن كل هذا إنما يؤكد على سماوية القرآن الكريم، وأنه ليس من عند محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» كما حاول البعض أن يدّعي ذلك، وأكّد القرآن على بطلانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل:١٠٣].

• أممية وليست أمية:

ذهب البعض إلى أن الأمية بمعنى عدم الانتماء إلى اليهود، فقد كان يطلق اليهود على مَن سواهم اسم (الأميون) كما في قوله تعالى حكايةً على لسان اليهود: ﴿لَيْسَ عَلَينَا فِي الأُمِّيِينَ سَبِيلٌ﴾[آل عمران: ٧٥]. فكأن الله ـ وفق هذا الرأي ـ يستعمل نفس هذا المصطلح الدارج عند اليهود في بيان صفة النبي محمد تارة، بأنه ليس من أمة اليهود، ولبيان صفة المجتمع الذي ظهر فيه النبي محمد تارة أخرى، بأنه مجتمع غير يهودي.

قال العلامة الطباطبائي في تفسير سورة الجمعة رداً على هذا الرأي: (الأميون جمع أمي وهو الذي لا يقرأ و لا يكتب، والمراد بهم ـ كما قيل ـ العرب لقلة من كان منهم يقرأ و يكتب، وقد كان الرسول «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» منهم، أي من جنسهم.. واحتُمِل أن يكون المراد بالأميين غير أهل الكتاب كما قال اليهود.. وفيه أنه لا يناسب قوله في ذيل الآية: ﴿يَتْلُوا عَلَيهِم آياتِه﴾ إلخ، فإنه «عَزَّ وَجَلَّ» لم يخص غير العرب وغير أهل الكتاب بشيء من الدعوة لم يُلقِه إليهم).

• مركزية أم القرى:

وقال آخرون بأن الأمية نسبة إلى أم القرى، وهي مكة العاصمة المقدسة عند العرب، وبالتالي جاء الوصف تارة للنبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» بأنه أمي (أي من أم القرى) وبالتالي فهو مكّي، وتارة للمجتمع الذي بُعث فيه، وهو مجتمع أم القرى، أي مكة.

وقد رد العلامة الطباطبائي في تفسيره هذا الاحتمال فقال: (واحتمل البعض أن يكون المراد بالأميين أهل مكة لكونهم يسمونها أم القرى، وفيه أنه لا يناسب كون السورة مدنية لإيهامه كون ضمير ﴿يُزكيهِم وَ يُعَلِّمُهُم﴾

راجعاً إلى المهاجرين ومن أسلم من أهل مكة بعد الفتح وأخلافهم وهو بعيد من مذاق القرآن). ويضاف إلى ذلك أن هذا الرأي وما سبقه يُفسدان قيمة الاستدلال الوارد في سورة الأعراف على نبوته، وما تقيمه من دليل وحجة على أهل الكتاب بانطباق الصفات الواردة في التوراة والإنجيل عليه، أي كونه يتلقى الوحي لا بصورة مكتوبة، بل شفاهاً، وهو ما عبّر عنه القرآن: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِين﴾[الشعراء:١٩٣-١٩٤].

• نفي المنقصة:

ولابد من التأكيد أخيراً أن أمية النبي محمد بمعنى عدم القراءة والكتابة ليست منقصة في حقه، فهي ليست عدم معرفة ناشئة من نقص فيه أو عجز وعدم قدرة ـ حاشاه ـ كيف وهو الذي عُرف بالعبقرية وبكمال العقل حتى اتُّهم بأنه هو واضع القرآن على عظمته، وإنما هي حكمة الله التي شاءت أن تعزِّز من البرهان على سماوية القرآن من خلال أمية النبي، كي لا يكون لأحد مجال للتشكيك في ذلك، قال «عَزَّ وَجَلَّ» : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[العنكبوت:٤٨].. قال العلامة الطباطبائي في تفسير الآية: (والمعنى: وما كان من عادتك قبل نزول القرآن أن تقرأ كتاباً، ولا كان من عادتك أن تخط كتاباً وتكتبه ـ أي ما كنت تحسن القراءة و الكتابة لكونك أمياً ـ و لو كان كذلك لارتاب هؤلاء المبطلون الذين يبطلون الحق بدعوى أنه باطل. لكن لمّا لم تحسن القراءة و الكتابة واستمرت على ذلك وعرفوك على هذه الحال لمخالطتك لهم ومعاشرتك معهم، لم يبق محل ريب لهم في أمر القرآن النازل إليك أنه كلام الله تعالى، وليس تلفيقاً لفّقته من كتب السابقين ونقلته من أقاصيصهم وغيرهم حتى يرتاب المبطلون و يعتذروا به).

ويأتي هذا تماماً كما شاءت حكمته «عَزَّ وَجَلَّ» أن لا يُحسن النبي قول الشعر كما هو لازم قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[يس:٦٩] وهو أفصح من نطق بالضاد، وكما شاءت حكمته سبحانه أن لا يقاتل النبي بسلاح لا في معركة ولا في غير ذلك، وهو الذي لا يدانيه أحد في الشجاعة، وما ذاك إلا كي لا يكون واتراً لأحد من العرب فيصعب عليهم قبول رسالته، وقد قال الله «عَزَّ وَجَلَّ» : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين﴾[الأنبياء:١٠٧].

اللهم صل على محمد النبي الأمي الهادي المهدي، وعلى آله الطيبين، وعلى أصحابه المنتجبين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وسلم تسليماً كثيراً.

٢١ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ
٢ فبراير ٢٠١٣ مـ

وقفة مع دعاءِ الإمام العسكري

١ من ٢

عاش الإمام العسكري «عَلَيْهِ السَّلامُ» عصراً عباسياً كان القادة العسكريون من آسيا الوسطى (الترك) هم الذين يتحكمون في أمور الخلافة، إلى درجة أنهم كانوا يقومون بعزل الخليفة أو قتله أو تعذيبه متى شاؤوا، حتى قيل:

خليفةٌ في قفص بين وصيفٍ و بَغا
يقول ما قالا له كما يقول البغا

• أهل قم وابن بغا:

ومن هؤلاء القادة كان موسى بن بغا المذكور في بيت الشعر السابق بجانب القائد وصيف.. ولما تأذى أهل قم من ابن بغا، شكوا إلى الإمام العسكري ظلمه. وقد كانت مدينة قم في ذلك الوقت حافلةً بالعطاء العلمي ضمن مدرسة أهل البيت، إذ وفدت عليها في العهد الأموي مجاميع من أهل الكوفة المضطهدين على يد ولاتها، خاصة من قبيلة الأشعري اليمنية التي كانت توالي علياً «عَلَيْهِ السَّلامُ» فاستقرت بها، وعرف أهلها غير المسلمين ماهية الإسلام، وماهية الانتماء لمدرسة أهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» ، فقبلوا ذلك، وغدت المدينة واحدة من المراكز الدينية والعلمية. وعلى إثر شكواهم دعا الإمام الحسن العسكري بدعاء في قنوته، وأمر أهل قم بأن يدعو بهذا الدعاء، وهو دعاء طويل اخترتُ منه هذه المقاطع:

• الثقة العظيمة بالله:

(اللهم إنك ندبتَ إلى فضلك، وأمرتَ



بدعائك، وضمِنْتَ الإجابةَ لعبادك، ولم تخيّب مَن فزَع إليك برغبة، وقصَدَ إليك بحاجة، ولم تُرجِع يدَ طالبِه صِفراً مِن عطائك، ولا خائبةً مِن نِحَلِ هِباتِك، وأيّ راحلٍ رحلَ إليكَ فلم يجدْكَ قريباً، أو أيّ وافدٍ وفَد عليك فاقتطعَتْهُ عوائدُ الردِّ دونَك، بل أيّ محتفِرٍ مِن فضلك لم يُمْهِه) أي لم يشمله (فيضُ جودِك).

نلاحظ هنا عظيم الثقة بالله سبحانه وتعالى، وحسن الظن به في وعده حيث قال: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم﴾[غافر:٦٠]، فهل نملك مثل هذه الثقة حين نرفع أيدينا بالدعاء؟ أم نسمح للشيطان المطرود من رحمة الله بأن يزعزع ثقتَنا بالله بمبررات واهية؟

• الدعاء لله وحده:

(اللهم وقد قصدتُ إليك برَغْبتي، وقرَعَتْ بابَ فضلِك يدُ مسئلتي، وناجاك بخشوعِ الاستكانةِ قلبي، ووجدتُك خيرَ شفيعٍ لي إليك) لا حواجز بينك وبين الله في الدعاء، فلا تصطنع الحواجز بينك وبين الله.. ارفع يدك ومجّد الله واحمده وتذلل إليه واسأله بشكل مباشر وأنت على ثقة به، فهو كما في وصية الإمام علي لابنه الحسن «عَلَيْهِ السَّلامُ» الواردة في نهج البلاغة: (وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَتَكفَّلَ لَكَ بِالإِجَابَةِ. أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَم يَجعَل بَينَكَ وبَينَهُ



مَن يَحجُبكَ عَنهُ، ولم يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْه).

• ذنوب تحجب الدعاء:

وإذا كنا نعتبر أن ذنوبنا تحجب دعاءنا، فمن الخطأ أن نتصور أن أحداً سيشفع لنا عند الله بـما يخالف رضا الله: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبيـاء:٢٨]. ومن الخطأ أن نتصور أن أحداً يستطيع أن يغيّر حكمَ الله وهو القائل: ﴿وَالله يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[الرعد:٤١].

ولا حـل أمامنا حينئذ إلا بأن نتقدم إلى الله في ضمن دعائنا بالتوبة والإنابة، وهذا ما قرره الإمام علي في تتـمة الوصية حيث قال: (وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَـأْتَ مِنَ التّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بَالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّـرْكَ بِالإِنَابَة، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشـدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيـمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْـكَ مِنَ الرّحْمَةِ، بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذّنْبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْـراً، وَفَتحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ، فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَـمِعَ نِـدَاك، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ

ولذا من المهم أن ندعو ضمن دلالة الوصية النبوية: (فإذا سألتـم الله «عَزَّ وَ جَلَّ» ـ يا أيها الناس ـ فاسألوه وأنتـم موقنون بالإجابة) لا تقل دعوتُ مِن قبلُ ولم يُستجب لي، لا تدع للشيطان مجالاً كي يُضعف ثقتَك بالله، لتسئ الظن به، بل ادعُ وأنت موقنٌ بالإجابة.. ارفع يديك وقل يا الله، وهو يعطيك.. قل يا الله ومجّده وعظّمه واسأله بأحب الأسماء إليه بـمحمد وآل محمد يستجب لك بإذنه.. فعن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» : (من كانت له إلى الله «عَزَّ وَ جَلَّ» حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآله، ثـم يسأل حاجته، ثـم يختـم بالصلاة على محمد وآل محمد، فإن الله «عَزَّ وَ جَلَّ» أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط، إذ كانت الصلاة على محمد وآله لا تُحجب عنه). ادعُ وقلبُـك مطمئن أن الله يسـمعك، فإن أعطاك ما تريد، فذاك، وإن لم يعطك شعرتَ بالرضا والراحة النفسية أن الله قد اختار لك ما هو أفضل، كما جـاء في دعاء الافتتاح: (ولعل الذي أبطأ عني هو خيرٌ لي، لعِلمِك بعاقبة الأمور).



وقفة مع دعاءِ الإمام العسكري

٢ من ٢

٢٨ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ - ٩ فبراير ٢٠١٣ مـ

تناول الإمام الحسن العسكري «عَلَيْهِ السَّلامُ» في تتمة الدعاء صوراً من الظلم الذي يدمّر المجتمعات، ومن بينها ما جاء في المقطع التالي: (اللهم وقد شَمَلَنا زيغُ الفتن، واستولَت علينا غَشوةُ الحِيرة ، وقارعَنا الذلُّ والصّغار، وحكم علينا غيرُ المأمونين في دينك، وابتزّ أمورَنا معادنُ الأُبَن) أي المتأصلة فيهم العيوب (ممن عطل حكمك، وسعى في إتلاف عبادك، وإفساد بلادك. اللهم وقد عاد فيؤنا دُولةً بعد القسمة، وإمارتُنا غلبةً بعد المشورة، وعُدْنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة فاشتُريت الملاهي والمعازف بسهم اليتيم والأرملة ورعى في مال الله من لا يرعى له حرمة، وحَكَم في أبشار لمؤمنين أهلُ الذمة، ووليَ القيام بأمورهم فاسقُ كلِّ قبيلة، فلا ذائدَ يذودُهم عن هلكة، ولا راع ينظر إليهم بعين الرحمة، ولا ذو شفقة يُشبع

الكبدَ الحرى مِن مسغبة، فهم أولو ضِرع بدارِ مضيعة، وأسراءُ مسكنة، وحلفاءُ كآبةٍ وذلة).

(اللهم وقد شَمَلَنا زيغُ الفتن، واستولَت علينا غَشوةُ الحِيرة) وهذا أول ما بدأ به الإمام في عرضه لمشكلات ذلك العصر، وكأنه ينبهنا إلى وجود ارتباط بين (الانحراف وهو الزيغ، الفتن والمشكلات التي يعاني منها المجتمع، عدم وضوح الحقائق وهو الغشوة، الحيرة في الموقف الذي يجب أن يتخذه الفرد).

ولذا أول ما يعمد إليه مَن يريد تسويق الباطل ومن ثم تحكيم الظلم هو تشويش الصورة: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ﴾[آل عمران:٧].

وقد تحدث الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» كما في نهج البلاغة عن العلاقة بين هذه العناوين بشكل رائع فقال: (إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتابُ اللهِ، وَيَتَوَلَّى عَلَيهَا رِجَالٌ رِجَالاً، عَلَى غَيرِ دِينِ اللهِ. فَلَوْ أَنّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، وَلَوْ أَنّ الْحَقّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ. وَلكِن يُؤْخَذُ مِنْ هـذَا ضِغْثٌ، وَمِنْ هـذَا ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، وَيَنْجُو الّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى).

والكثير من أهل السياسة يعمدون إلى هذا الأسلوب.. عناوين براقة تُفرّغ من مفاهيمها الصحيحة أو تشوّه مفاهيمها الحقيقية وتُمزَج بالباطل وتقدّم إلى الجمهور على أنها تمثل الموقف الشرعي أو الموقف الوطني، لينساق وراءها مَن ينساق، ليقع الاصطدام مع طرف آخر قدّم موقفه بالباطل أيضاً وبنفس الأسلوب، وطرف ثالث عرف الحقيقة ويريد الدفاع عنها، وهكذا.. والنتيجة هي وقوع الفتن.

• النتيجة المترتبة:

ثم قال الإمام العسكري «عَلَيْهِ السَّلامُ» في دعائه وهو يبيّن نتيجة اعتماد الأسلوب الماضي: (وقارعَنا الذلّ والصّغار، وحكم علينا غيرُ المأمونين في دينك، وابتزّ أمورَنا معادنُ الأُبَن ممن عطل حكمك، وسعى في إتلاف عبادك، وإفساد بلادك).

• استئثار بالخيرات:

ثم يقدّم الإمام صوراً أخرى من مفاسد الحكم حين يجور ومنها:

١ـ الاستئثارُ بالموارد الاقتصادية العامة من قبل شريحة معينة، قال «عَلَيْهِ السَّلامُ» : (اللهم وقد عاد فيؤنا دُولةً بعد القسمة) فالملكية الفردية معترف بها في الإسلام، ولكنها محددة بقاعدة: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء مِنكُمْ﴾[الحشر:٧] وكل وضع وتشريع لقانون ينتهي إلى أن يكون المال مستأثَراً به من قبل شريحة معينة فهو يخالف النظرية الاقتصادية الإسلامية، ولن ينتهي إلا

والكثير من أهل السياسة يعمدون إلى هذا

بضرب بُنية الدولة وأسس ازدهارها وبقائها.

ومن المشـــاكل التي عاشـــتها بعـــض الدول التي شـــهدت ثورات على الظلم والفساد أن الظلم والفســـاد يعودان ولكن بوجوه جديدة وبعناوين جديدة، وبالتالي فإن المال يعود دولة بين الأغنياء ولكن بوجوه جديدة ومســـميات جديدة، ويتـم تشريع القوانين وتقام المؤسسات باسم المحرومين، ولكنها تقولب بحيث يستفيد منها أفرادٌ معينون أو حزبٌ ما.. لتبقى المشكلة هي المشكلة، والتخلف هو التخلف، والظلم هو الظلم ولكن بزخارف جديدة، وهذا ما تواجهه اليوم بعض دول ما يُعرف بالربيع العربي.

• الاستبداد:

٢ـ الاســـتبداد بالرأي والحكـــم، وإلغاء دور المجتمـــع في المشـــاركة الســـليـمة من خلال المؤسسات أو وســـائل الإعلام، أو إقامة تلك المؤسســـات ولكن بصورة تُفرغها من دورها الحقيقي في الرقابة والمحاســـبة والتشريع، قال الإمام «عَلَيْهِ السَّـلامُ»: (وإمارتُنا غلبةً بعد المشـــورة، وعُدْنا ميراثاً بعد الاختيار للأمة).

ثـم يبـــيّن الإمام «عَلَيْهِ السَّـلامُ» كيف أن مثل هذا الاستبداد والتلاعب بالأموال العامة يؤدي إلى اســـتنزافها وتوجيهها إلى غير ما يعود بالنفع الحقيقي على المجتـمع، قال: (فاشتُريت الملاهي والمعازف بســـهم اليتيـم والأرملة، ورعى في مال الله من لا يرعى له حرمة).

• المسؤولون غير الأكفاء:

٣ـ احتكار المناصب من قبل من لا يـملكون الكفاءة والتقوى، ومن نـماذج ذلك: (وحَكَم الظلم والفساد في أبشار المؤمنين أهلُ الذمة) من الذين كانوا لا يخافون الله ولا يعملون بشرعه، بل ينافقون السلطان لمصالحهم أو نقمةً على أهل الإيـمان (ووليَ القيامَ بأمورِهم فاســـقُ كلِّ قبيلة). أما النتيجة المترتبة على ذلك فكما قال: (فلا ذائد يذودهم عن هلكة، ولا راع ينظر إليهم بعين الرحمة، ولا ذو شـــفقة يُشبع الكبدَ الحرّى من مســـغبة، فهم أولو ضرع بدارِ مضيعة، وأسراءُ مسكنة، وحلفاءُ كآبةٍ وذِلّة).

• أسس مشتركة:

إن الإمام الحسن العســـكري «عَلَيْهِ السَّـلامُ» وهو يتحدث عن واقع كان يعيشه الناس قبل أكثر من ألف ومائة ســـنة إنـما يتحدث عن أسس مشتركة لنهضة أي مجتـمع أو لانهياره، وهذا ما يجعل إعادة قراءة أمثال هذه النصوص المباركة ذات قيـمة عليا، لا تقتصـــر على تـمجيدهم وذكر مآثرهم، أو مجرد كلمات دعاء نســـتغرق معها في البكاء دون أن نعي دلالاتِها، أو نفعّل مضامينَهـــا في الحيـــاة. وإذا أردنا أن نقرأ واقع الكويت من خـــلال دلالات ذلك المقطع من الدعـــاء فيـمكننا القـــول أن الاهتـمام بإقامة مؤسســـات التأمين الاجتـماعي ورعاية ذوي الدخول المحدودة يعد مـــن مفاخر الإنجازات،

إلا أنه من الضـــروري أن لا نغفل عن أهمية المراقبة والمحاســبة والتطوير ﴿كَــيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاء منكم﴾ وكي لا تتحول تلك المؤسســات إلى بؤر لتنفيع شرائح معينة على حســاب الأهداف التي من أجلها شيّدت، أو أحزاب بعينها على حساب المجتـمع، بـما يدمِّر أسسَ المجتـمع الواحد وقوته وتلاحمه. كما أن وجود المجالس التي يشارك من خلالها الشعب في العمل التشريعي والرقابي، تـمثل الوضع السليـم في إدارة الدولة، بشرط أن لا تتحول إلى مواقــع لتجاذبات الصــراع على ثروات البلد والنفــوذ السياســي وتصفية الخلافات الحزبيــة والقبلية والطائفيــة والمصلحية على حســاب التنـمية لاسيـما في ظل الوفرة المالية التي يســيل لها لعاب الكثيريــن ممن يتغنون باســم الكويت في الظاهر، ولا يهمهم سوى مصالحهم الضيقــة في واقع الحال. وأخيراً فإن توافر حرية الصحافة والإعلام وتداول المعرفة ـ مع وجود بعض الملاحظــات عليها ـ امتيازٌ ثالث يُحســب للكويت الحديثة التي نأمل ألا يُفــرّط بها تحت طائلة هاجسٍ أمني، أو ترضية لهذا الطرف أو ذاك.. وحفظ الله الكويت بلد الخير والعطاء.



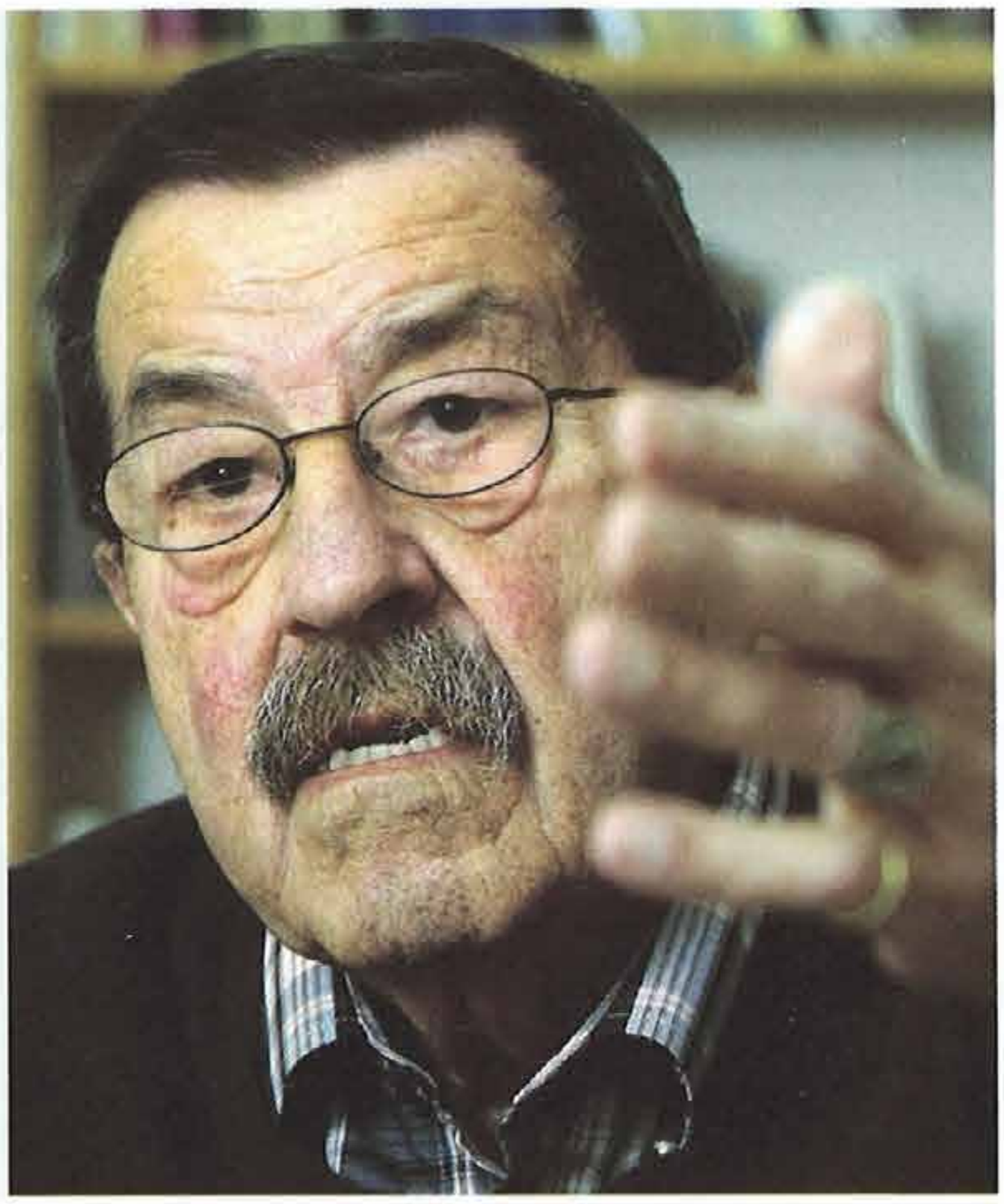

معاداة السامية

٦ ربيع الآخر ١٤٣٤ هـ - ١٦ فبراير ٢٠١٣ م

يستغرب الإنسان وهو يعيش في عصر العولمة والتقدم العلمي وانفجار المعلومات والحداثة وما بعد الحداثة كيف يمكن لأسطورةٍ ما أن تؤسس لواقع سياسي مؤثر، بل وتتمركز حوله الكثير من السياسات والأحداث العالمية!

وبين أيدينا أسطورتان: أسطورة (شعب الله المختار) و(الهولكوست بصورتها المهوّلة)، اجتمعتا لتشكّلان عنوان (معاداة السامية) ذلك السيف المسلّط على الرقاب، وأداة الابتزاز المثلى، لتحقيق المصالح الصهيونية.

في ستينيات القرن الماضي عندما كان يقام استبيان في الولايات المتحدة حول النظرة إلى اليهود، فإن النتيجة كانت سلبية إلى حد كبير. أما اليوم فالمسألة مقلوبة تماماً، وما كان ذلك ليحدث لولا الآلة الإعلامية التي نجحت في تحويل صورة اليهود من مجموعات مدمّرة ومفسدة في الأرض، إلى شعب مستضعف مظلوم، وعليك أن تفكر مليون مرة قبل أن تنتقده.

تماماً كما نجح الإعلام اليوم في تحويل الرأي العام العربي من العدو الحقيقي المتمثل في الكيان الصهيوني إلى عدو

مفتعل يتـمثل تارة في إيران وتارة في المقاومة الإســلامية في لبنان وتارة في الهلال الشيعي وأخرى في الشيعة، وهلمّ جرّا.

وفيـما يلي نـماذج واقعية تؤكد ما سبق:

• الرسم الكاريكاتوري:

قبل أيام نشرت صحيفة (الصنداي تايـمز) البريطانية كاريكاتوراً لنتنياهو وهو يستخدم إســمنتاً ممزوجاً بالدّم في بناء جدار تتخلّله جثث فلســطينيّين وكتب عليه (الانتخابات الإسرائيليّة هل ستدعم عمليّة السّلام؟).

وعلــى الفور قــام (مجلس نــوّاب اليهود البريطانيّيــن) بتقديـم شــكوى باعتباره من صور معــاداة الســامية، ودافعــت الصحيفة عما نشــرته باعتباره موجهاً لشخص سياسي بعينه، ولكن صاحب الإمبراطورية الإعلامية (مردوخ) قدّم اعتذاره عن هذا الرّسم معتبراً إياه: (بشعاً وعدائيّاً وخطأً رهيباً).

• شعر جراس:

شــاعر ألماني حاصل في عــام ١٩٩٩ على جائزة نوبل للآداب واســمه (جونتر جراس) نشــر قصيدة يتحدث فيها عن النفاق الغربي في التعامل مع الملف النووي الإيراني مقارنة بالترسانة النووية الإسرائيلية، وفوراً تـم رفع سـيف معاداة الســامية في وجهه والمطالبة بسحب الجائزة منه.

الأبيــات التي كتبها هذا الشــاعر تلخّص الوضع العالمي القائم بشكل دقيق ومختصر.. ففي البداية يعطي لنفســه نوعــاً من التبرير على الصمت في الفترة السابقة لوجود سيف مســلط مخيف عنوانه معاداة الســامية: (كان الجميع صامتين.. حتى صار الســكوت عن الحقيقة كذباً يئن بالأنين.. وكأني أرى عقاب البوح قهراً تحوّل لســيف الجرم اللعين.. أن أكون أنا للســاميّة العــدو المبين.. بوضوح أعترف.. لن أصمت بعد اليوم.. فقد ســئمت نفاق الغرب).

• وليـم شكسبير:

وحتــى الأديب الإنجليزي الأشــهر وليـم شكسبير لم يسلم من هذه المهزلة، فقد تـم التهديد بفتح ملفــه ومحاكمته على أنه معادٍ للسامية، بســبب تأليفه قصة (تاجر البندقية) حيث يتعــرض فيها إلى شــخصية المرابي اليهودي الجشــع. وهناك عدة أمور تستدعي الوقوف عندها تحليلاً لما سبق:

• أولاً، اختراع مصطلح (معاداة الســامية) والذي تــم قبل قرنين تقريباً من قبل باحث ألماني، منطلقه عنصري، وجاء كردة فعل على ممارســات اليهــود الاقتصادية التي ســببت أزمات حــادة في المجتـمعات الأوربية، ومن المفتــرض بالغرب الذي يحمــل لواء إلغاء التـمايز العنصري أن يحذف هذا المصطلح تـماماً.

• ثانيـاً، إذا جئنا إلى نفس مصطلح (معاداة الســامية) فمن المفتــرض أن يكون العرب هم المعنيون بالأمــر أكثر من غيرهم، لأنّهم يشــكّلون الأغلبيَّة السَّــاحقة من الساميّين. ولكــن هل يســتطيع العــرب توظيف ذلك إعلامياً ليحوّلوا الرأي العام العالمي إيجابياً نحو قضاياهم؟ التجربة تقول: لا.

• ثالثاً، لم هــذه الازدواجية فــي المعايير عند الغرب في شــأن حريــة التعبير؟ فعندما يهان النبي الأكرم محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» بأبشــع صــورة، فالتبرير جاهز باعتبــار أن ذلك من حرية التعبير، ويســتمر العناد إلى أن نشهد المظاهــرات والقتل والتفجيرات، ثــم يظهر أحد القادة الغربيين أو السياسيين ليعبّر عن تفهّمه لموجة الغضب ولكنه في النهاية يقول أن على المسلمين أن يفهموا أن لدينا حرية تعبير ولا نستطيع منع ذلك!

• نفاق مستدام:

هذا جزء من النفــاق الغربي الذي تحدّث عنه الشــاعر الألماني.. وســيبقى هذا النفاق قائماً مادمنا ضعفاء ونستضعف أنفسَنا بأيدينا.. وســيبقى هذا النفاق مادامت الآلة الإعلامية بيد اليهود يوظفونها كما شــاؤوا.. وســيبقى هذا النفاق ما دامت عجلة الاقتصاد العالمي يتلاعب بها أقطاب الربا من اليهود. لقد أسقط القرآن الكريــم أسطورة (شعب الله المختار) إذ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَــاء وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَــا وَإِلَيْــهِ الْمَصِيرُ﴾[المائدة:١٨].. ليس في الآخرة فحســب، بل في الدنيا أيضاً.. أي انظروا إلى تاريخكــم، كم مرة دُمِّرتــم ونزل بكم العــذاب من عند الله حتــى كدتــم أن تُفنَوا؟

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْــرَائِيلَ فِــي الْكِتَابِ لَتُفْسِــدُنَّ فِــي الأَرْضِ مَرَّتَيْــنِ وَلَتَعلُنّ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَإِذَا جَــاءَ وَعدُ أُولاهُمَــا بَعَثنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَــدِيدٍ فَجَاسُــواْ خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْــوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا، إِنْ أَحْسَــنتُمْ أَحْسَــنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُــمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْــجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا، عَسَــى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّــمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[الإسراء:٤-٨].

وحقيقٌ بالعالم أن يعمل على تحرير نفسه من ربقة هذه الأســطورة، وتبعات أســطورة معاداة السامية والهلوكوست.. وعندها سيدرك الجريــمة الكبرى التي تُرتَكب بحق الإنسانية طلباً لرضى الابن اللقيط (إسرائيل).

٢٠ ربيع الآخر ١٤٣٤ هـ
٢ مارس ٢٠١٣ مـ

أعيادنا الوطنية..
وقفة للتأمّل

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[الشورى:٢٧].

جاءت الآية لبيان السنَّة الإلهية في إيتاء الرزق بالنظر إلى صلاح حال الناس، أي أن لصلاح حالهم أثراً في تقدير أرزاقهم، ولذا فإنه يُضيِّق على الإنسان في الرزق دائماً، أو أحياناً، من باب الرحمة والرفق به، على خلاف ما قد يتصوره الإنسان من أن هذا يمثّل نوعاً من العقوبة الإلهية. فما هي المفاسد المتصورة في بسط الرزق على الناس والتي تلخصها كلمة ﴿لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾؟

• الركون إلى الدنيا:

أول مفسدة يمكن تصوّرها هنا هي الركون إلى الدنيا والمادة بصورة تُنسي الإنسان الموت والنشأة الأخرى والخالدة التي تنتظره: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ، وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ، أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ﴾[الواقعة:٤٥-٤٨].

وهذا الركون إلى الدنيا والمادة يدفع الإنسان إلى البغي والعدوان على الآخرين بدافع الأنانية من جهة، ولغفلته عن الحساب الأخروي من جهة أخرى، ومن صور ذلك العمل على تدمير منابع الرزق عند الآخرين خوفاً من المنافسة وقد قال الله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ، فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[سبأ:١٨-١٩].

• محاربة الإصلاح:

المفسدة الأخرى هي مواجهة الدعوات الإصلاحية المخلِصة، خوفاً من فقدان المصالح المادية الدنيوية التي تكون عادةً

مبنيّـــة على الفســـاد والعـــدوان على حقوق الآخرين والاســـتئثار بـمنابع الـــرزق: ﴿وَمَا أَرْسَـــلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[سبأ:٣٤].

• الأوهام القاتلة:

ومن المفاســـد أيضاً، الاعتقـــاد الداخلي بوجود امتياز شـــخصي له عند الله من خلال هذا الرزق الممتد، فقـــد جاء في تتـمة الآية السابقة: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ، قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ، وَمَا أَمْوَالُكُـــمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِـــي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَـــا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ، وَالَّذِينَ يَسْـــعَوْنَ فِـــي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[سبأ:٣٥-٣٨].

• استدراج ومكر:

قد يقول قائل: ولكننا نشهد الترف الممتد الذي يعيشه البعض، وبغيهم الناتج عن بسط الرزق هذا؟

والجـــواب عن ذلك أن علينا أن لا ننســـى أن لله سنة أخرى، تتـمثل في أن الإنسان متى ما أصر على الكفر والبغي، فإن الله يستدرجه ويـمكر به حتى يلقـــى مصيره البائس: ﴿وَلاَ يَحْسَـــبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَـــا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِـــهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[آل عمران:١٧٨].



• الكويت ومشاريع الخير:

إن ممـــا يحســـب للكويت منذ ســـتينيات القرن الماضي وفي بداية نهضتها أنها مدّت يد العون للكثير من الدول لمســـاعدتها في المجـــالات المختلفة من خـــلال الصناديق

التي أسستها والمشاريع الاستثمارية التي أقامتها، سواء لإقامة الجامعات أو المدارس أو المستشفيات أو المساجد أو الطرق ومحطات الكهرباء وغيرها كثير. ويأتي هذا على عكس ما تقوم به بعض الدول التي ما إن تشهد طفرة مالية حتى تشرع في استخدام ذلك البسط في الرزق من أجل بث الفتن وخلق الصراعات بين الدول والكيانات لأغراض معينة، بما ينطبق عليه العنوان الوارد في الآية ﴿لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾.

• احتفال وتأمّل:

إن علينا ونحن نعيش الأعياد الوطنية أن لا نستغرق في الأجواء الاحتفالية بصورة تُنسينا التفكير بما يديم الخير والنعمة ويحقق التنمية والبركة وفق القاعدة القرآنية: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ من خلال دراسة أوضاعنا، وتقييمها وتثبيت ما هو من مصاديق الشكر لله، والعمل على اقتلاع ما يمثّل الكفر بنعمه، لأن الله يقول بعد ذلك: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم:٧]، ومن هذا العذاب أن يسلب الأمن والرزق وقد قال الله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الْكَفُورَ﴾[سبأ:١٥-١٧] ثم قال: ﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[سبأ:١٩].

هذا على المستوى العام، وأما على المستوى الفردي، فإن على الإنسان المؤمن متى ما سعى وبذل وسعه لكسب الرزق والتوسعة على نفسه وعياله ولم يتسنّ له ذلك، إن عليه أن يفوّض أمره إلى الله الحكيم في تقدير الأرزاق وبسطها، وأن يدرك أن ذلك من تجليات الرحمة الإلهية بعبده، بصورة أو بأخرى. كما أن على كثيرٍ منّا ممن بات يعيش وفرة مالية في السنوات الأخيرة أن يستحضر هذه الآية ودلالاتها كي لا يغفل عن مسؤوليته تجاه هذا البسط في الرزق بما يدفعه إلى البغي في الأرض، ولو بصور مصغّرة وفي دوائر محدودة.

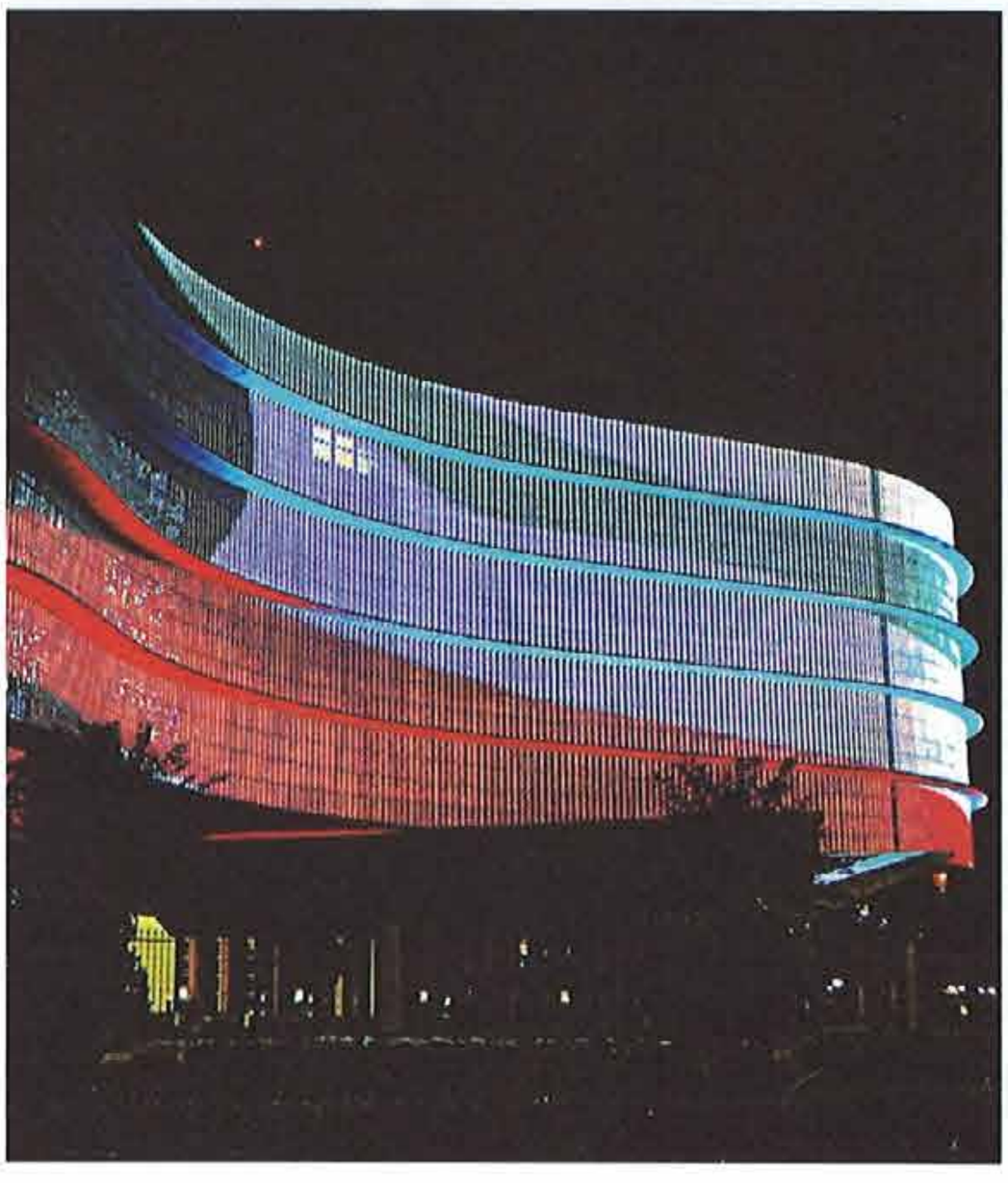

تعديل معايير التقييم

(لندن)

٢٧ ربيع الآخر ١٤٣٤ هـ - ٩ مارس ٢٠١٣م

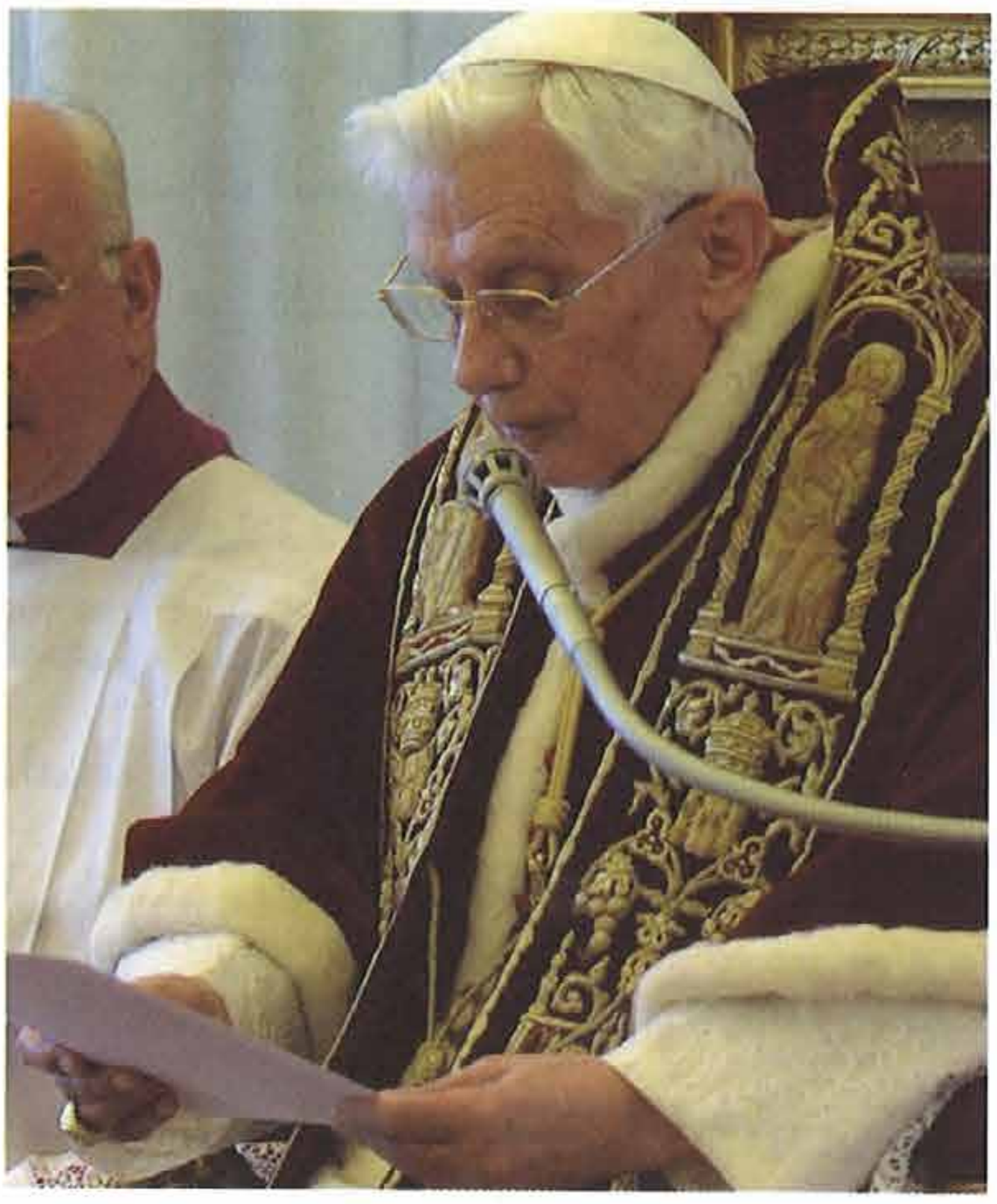

هل نحن نعتمد فعلاً المعايير الصحيحة في تقييم الناس؟ سواء من حيث اختيار المعايير، أو من خلال ترتيب ما هو مقدّم منها وما هو مؤخَّر؟ فلكل إنسان تميّز في جانب أو في أكثر، سواء من الناحية العقلية أو الجسدية أو العلمية أو الاعتبارية الاجتماعية أو غير ذلك، ومن خلال ذلك يُقيَّم، ومن خلال ذلك أيضاً قد يكسب مكانة بين الناس، وقد تكون متفاوتة من وسط إلى وسط، فالشخص المتميز علمياً تكون له مكانة بين المهتمين بالعلم، والمتميز رياضياً تكون له مكانة في أوسط المهتمين بالشأن الرياضي العام أو المحدد، وهكذا.

• خطأ أول:

وأحياناً قد لا يكون للإنسان دور في اكتساب هذا التميز، كالمولود بملامح جميلة، أو في أسرة حاكمة، أو بنسب شريف، إلخ.. ولكن يبقى أن الناس تعطي لهذا التميز قيمة، وقد يكونون مخطئين في ذلك، فمن المفترض عادةً أن لا تكون للميزة المكتسبة دون اختيار قيمة بحد ذاتها، ما لم يُشفعها الإنسان من عنده بما يدعمها.

• خطأ ثان:

وأحياناً يكون الخطأ عندنا في ترتيب أسس التقييم، حتى أننا نخالف بذلك وجداننا.. فكثير منا في وجدانه تنخفض عنده

قيمة الإنسان المتميز في مجالٍ ما، فيما لو كان سيء الخلق، سواء أكان المقيَّم عالماً في الدين أو في علوم الدنيا.. قائداً فذاً كان، أو شخصية اجتماعية مرموقة، أو رياضياً مشهوراً، أو غير ذلك.

• الصورة القرآنية:

ونحن إذا رجعنا إلى القرآن وجدناه يؤكد على ذلك بالصورة التالية: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران:١٥٩] وكأن مضمون الآية يرشد إلى أن كل جهود النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» كانت ستذهب سدىً لو لم يكن بهذا الخلق الرفيع، لأن الوسط الذي يعمل النبي على تغييره هم الناس، فلو انفضوا من حوله، فبمن سيؤثِّر؟ وكيف سيحقق رسالته؟

إن هذا يؤكد على أن الناس ينجذبون إلى صاحب الخلق الرفيع، ويفرّون من الفظ غليظ القلب، ومن هنا نقول أن الأخلاق لها أولوية في تكوين وتشكيل مكانة الإنسان في المجتمع ومقبوليته بين الناس، حتى على درجة النبوة، فكيف ببقية الكفاءات والقدرات؟! ولربما كان تقديم عنصر الأخلاق على التديُّن في خصوص إقامة العلاقة الزوجية في الحديث النبوي: (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه) دليلاً آخر على ضرورة إعادة النظر في معيار تقييم الآخرين في بعض المواضع.

• تقييم علماء الدين:

في الخبر الصحيح سنداً عن معاوية بن وهب قال: (سمعت أبا عبدالله «عَلَيْهِ السَّلامُ» يقول: اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم)، فقيمة هذا الإنسان مهما ارتفعت علمياً، ستذهب سدىً بسبب التجبر الذي يستتبع سوء الخلق في عدة نواح. وأستذكر هنا في قراءةٍ لي لكتاب (أعيان الشيعة) للعلامة السيد محسن الأمين وهو يترجم لأحد العلماء الكبار، بعد أن يصف علمه، قال ما معناه: (ولكن في خلقه زعارة). وكأن القارئ حين يصل إلى هذا الاستدراك تنمحي كل إيجابيات الصورة والوصف السابق.. وما ذاك إلا لأن الوجدان الإنساني قائم على ذلك.

• إنصاف الموقف:

وأكثر من ذلك.. فقد تختلف مع إنسان، وقد تتنازع معه حول أمر، ولكن حين تشهد منه قيمة أخلاقية صادقة، فإنك لا تملك إلا أن تحترم ذلك الموقف، وبالتالي تقدِّر له تلك الصفة التي تجلّت، وفي الخبر أن النبي قال في شأن ابنة حاتم الطائي الأسيرة: (خلّوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق. فقام أبوبردة بن

نيار فقال: يا رسول الله، الله «عَزَّ وَجَلّ» يحب مكارم الأخلاق؟ فقال رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» : والذي نفسي بيده، لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق!). وفي حديث نبوي آخر: (إنَّ العبدَ لَيبلغُ عَظيمَ دَرجاتِ الآخرَة بحُسنِ خُلقِه، وإنَّه لضعيفُ العبادَة).

• موقف البابا:

بابا الفاتيكان أعلن عن عزمه على تقديم استقالته من موقعه كحبر أعظم للكاثوليكية، فهو على الرغم مما يؤخذ عليه في مواقفه وتصريحاته ـ خاصة فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين ـ وفي إدارته للملفات عموماً، إلا أن الإنصاف يستدعي أن يُحتَرم ويُقدَّر له هذا الإعلان الذي جاء وفق بيانه إدراكاً منه بأنه لا يستطيع النهوض بمهامه بسبب كبر السن وضعفه. والأمر الآخر الأهم أنه قال: (في عالمنا اليوم، الذي هو عرضة لتغيرات هائلة، ويهتز بأسئلة ذات صلة عميقة بحياة الإيمان. فلكي تحكم قارب الكنيسة البطرسية، وتنادي بالإنجيل، فإن قوة العقل والجسد ضروريتان. القوة التي وهنت وتدهورت في الشهور القليلة الماضية، إلى الدرجة التى أدركت فيها عدم قدرتي على الوفاء بالتزاماتى الموكلة إلى لإدارة شئون الكنيسة). وهو إن كان صادقاً فيما قاله من أسباب الاستقالة فهذا يؤكد إخلاصه لعقيدته، وأنه صاحب رسالة، وإن اختلفنا معه فيها. وهو ما يستدعي الاحترام أن يتنازل الإنسان الذي يملك هذا الموقع الحساس حين يجد نفسه غير قادر على أداء المهام المنوطة به.

الآن تعال وانظر إلى ما عندنا، وبأقل من هذا المستوى، حيث تجد من يتبوأ منصباً دينياً بسيطاً في مسجد هنا أو في مركز ديني هناك، ويضعف عن أداء وظائفه، وبالكاد يؤديها.. فإنك تجده لا يتخلى عن موقعه، ولا يسمح لأحد بأن يُعينَه في المهمة، وكأن المسألة شخصية.. وكأن المنصب إرث شخصي لا علاقة له برسالة مقدسة يحملها الإنسان.. وعلى هذا فقس الحال في المجال المدني، مع المدراء ووكلاء الوزارة وسواهم..

• موقع الأخلاق:

إن الأخلاق في المفهوم الإسلامي تمثّل أحد الأهداف الكبرى التي انطلقت الرسالة الإسلامية كلها لإتمام حركتها، وإذا كانت كلمة الأخلاق تنطلق من طبيعة السلوك الإنساني الفردي أو الاجتماعي تجاه النفس وتجاه الآخرين وتجاه الحياة بشكلٍ عام، فإنّ المسألة تغدو في صلب عمل وحركة الرسالات التي انطلقت لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتمثّل ركيزة أساسية وذات أولوية في عملية التقييم التي نحتاجها في تفاعلنا مع قضايا الحياة.

هل أنت جعفري؟

(أوهايو ـ الولايات المتحدة)

٤ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ
١٦ مارس ٢٠١٣ م

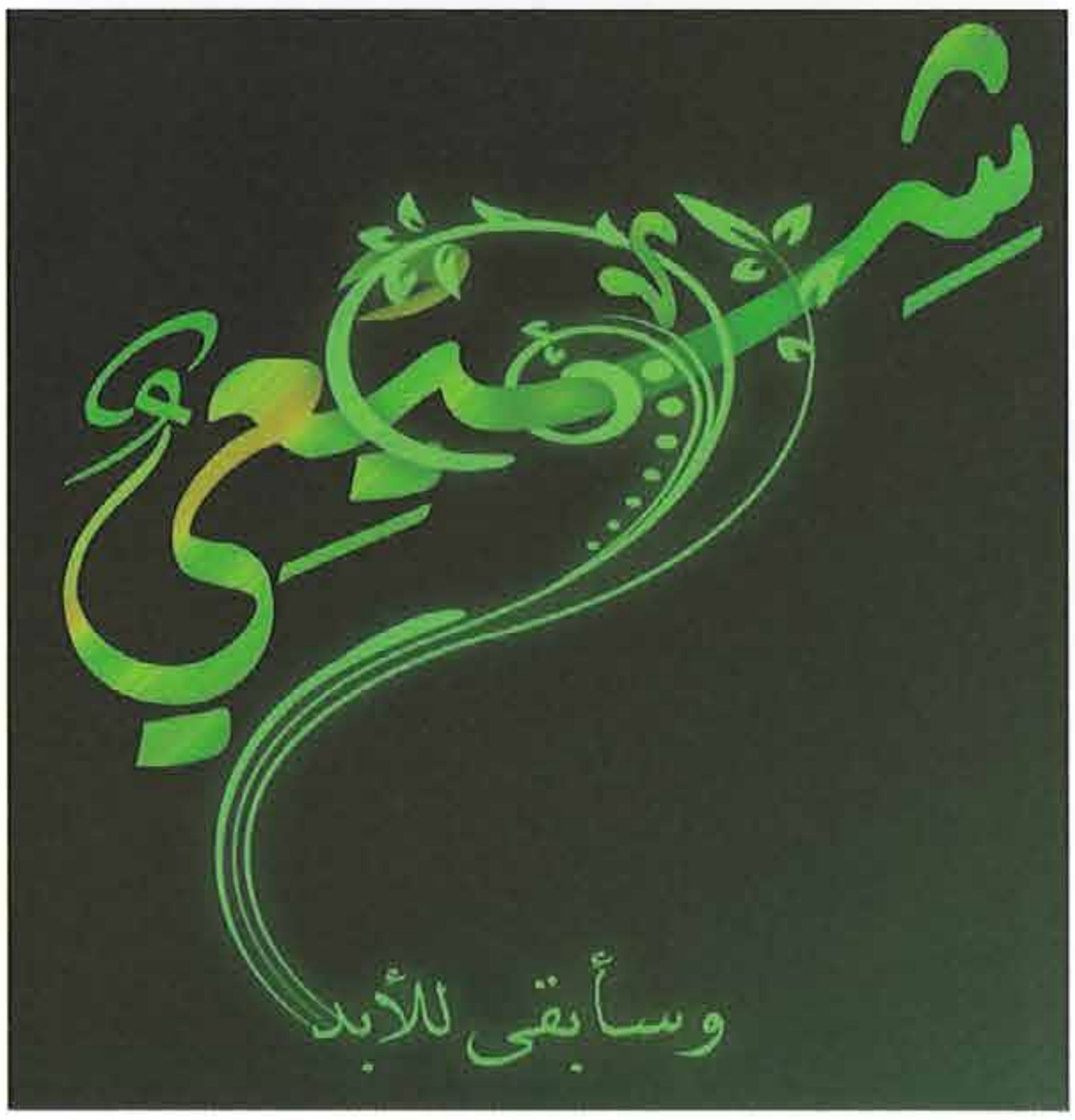

يتشرف الفرد الشيعي بانتمائه إلى مدرسة الإمام جعفر بن محمد الصادق «عَلَيْهِما السَّلامُ» والتي تمثل الامتداد لمدرسة جده النبي الأكرم محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» ، وتمثل تبياناً وتفصيلاً للقرآن وللسنة النبوية على مستوى العقيدة والشريعة والأخلاق.

ولذا فإنه يفتخر حقاً بأن يقال له: هذا جعفري.. كما يشعر بالفخر لو قيل عنه: هذا مسلم.. ولكن من الضروري جداً أن يسأل نفسه أيضاً عن مدى مصداقية هذا الانتماء وكيفية تحققه؟ خاصة الشاب المتحمس لانتمائه لهذه المدرسة، حماسةً قد تبلغ في بعض الأحيان حد التعصب للانتماء إلى مدرسة علي والحسين وجعفر «عَلَيْهِم السَّلامُ» دون أن نجد عند كثيرين منهم التزاماً عملياً واضحاً بمضامين ورسالة تلك المدرسة وأخلاقياتها ومنهجها على مستوى السلوك.

قد يبرر البعض مثل هذا التعصب، باعتباره سمة لهذا العمر، إلا أن هذا لا يعفي الشباب من المسؤولية: ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾[القيامة:١٤-١٥]، في الوقت الذي نؤكد فيه أن الخطاب الديني أيضاً يتحمل جزءً من المسؤولية حين يركّز على أن الانتماء فقط هو الكفيل بالنجاة في الآخرة، ويقابله التهوين من شأن ما يصدر عن الفرد على قاعدة: (سوّدتُ صحيفة أعمالي.. ووكلت الأمر إلى حيدر) وهي العبارة التي لربما لم يقصد قائلها المعنى المتبادر إلى الذهن من الاكتفاء بالانتماء كعنوان واسم دون الالتزام بالمنهج.

• مسؤولية الخطاب الديني:

ومن المفترض أن يكون من مسؤولية الخطاب الديني أن يقدّم الصورة المتكاملة لحقيقة الانتماء والولاء، ويرفع اللَّبس الحاصل عند الشباب وغيرهم، لاسيما وأن الصورة القاصرة أوفق بالأهواء النفسية، وأقرب إلى المزاج الشخصي.. كما أن من مسؤولية الخطاب الديني أيضاً أن لا يدفع نحو المزيد من التعصب، لأن التعصب لا يولّد إلا التعصب، ومن ثم التصادم مع الآخر المختلف، ورفض ما يقوله الآخر وإن كان حقاً.. إلخ.

• فصل الإيمان عن العمل:

ومحور المسألة هو: هل يمكن بحال من الأحوال فصل الإيمان عن العمل، والعقيدة عن السلوك؟ عندما نستقرئ آيات القرآن الكريم نجد أنها لا تساعد على ذلك، بل وتؤكد عدم الفصل، باعتبار أنه قانون إلهي طوال تاريخ الرسالات السماوية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً، لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا، وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[النساء:١٢٢-١٢٤]. وليلاحظ القارئ الكريم حجم التأكيد على العمل الصالح المقترن بالإيمان وعدم الانفصال بينهما، وليلاحظ الأسلوب في بيان امتناع تحقق خلاف ذلك، وأنها مجرد أوهام تسري في أذهان البعض من المسلمين وأهل الكتاب.

• عقيدة الإرجاء:

والحق أنه لا يستقيم الفصل بين العقيدة والعمل إلا وفق عقيدة الإرجاء التي حاربها أهل البيت .. وقد روي عن الإمام جعفر الصادق «عَلَيْهِ السَّلامُ» أنه قال: (بادروا أولادكم الحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة).

هذه العقيدة تأخذ اليوم صوراً مختلفة، منها ادّعاء أن المهم هو طهارة القلب والروح والفكر، وأما ما يصدر عن الجوارح فهو ليس بذي أهمية، ومن هنا يبرر بعض الشباب عدم التزامهم بالصلاة مثلًا، أو عدم التزام الفتاة باللباس الشرعي، بأنها شكليات، والمهم هو المضمون وسلامة القلب.

ومنها ادعاء كفاية الولاء والحب لأهل البيت تمسكاً بدلالة بعض الأحاديث وإهمالاً لدلالة آيات وأحاديث كثيرة تقيّد تلك الدلالة وتضع لها الضوابط.

• تحذير الإمام علي:

وقد حذّر أمير المؤمنين علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» من ذلك حيث قال في خطبة طويلة: (.. فإنّ أمْر

النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» مثل القرآن: ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسـول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» الكلام له وجهان: كلام عام وكلام خاص مثل القرآن..).

وقد وقع نفس هذا الوهم من قبل، فقد سئل الصادق «عَلَيْهِ السَّلامُ» : (روي عنك أنك قلت: إذا عرفت فاصنع ما شئت! قال «عَلَيْهِ السَّلامُ» : بلى. قال: وإن زنى وإن سـرق؟ فقال له: ما أنصفتـمونا أن كُلفنا بالعمل ووُضِع عنكم. قال: إذن كيف أقول؟ قال: قل: إذا عرفت فافعل ما شـئت من قليل الخير وكثيره فإنه يرجع عليك).

• الجعفري الحقيقي:

إن الجعفـري الحقيقي هو مَـن كان مثل أصحاب الصـادق، مثل ابنِ أبي يعفور وأبي كهمس وفُضيل سُكَّرة الذين ـ بحسب رواية الشـيخ الصدوق ـ بكوا حين رُدَّت شهادتهم من قبل القاضي بسبب انتـمائهم إلى مدرسة الإمام جعفر الصادق «عَلَيْهِ السَّـلامُ» ولما سئلوا عن سـبب بكائهم بيّنوا أن ذلـك خوفاً من عدم بلوغهم مسـتوى من الإيـمان والعمل الذي من خلاله يستحقون هذا اللقب.

الجعفري الحقيقي هو الذي يسعى لأن يكون كما قال إمامه جعفر الصادق «عَلَيْهِ السَّلامُ» حين قيل له: (إنّا نُعيّر بالكوفة فيُقال لنا جعفريّة، فغضب أبو عبد الله «عَلَيْهِ السَّلامُ» ثـمّ قال: إنّ أصحابَ جعفر منكم لقليل، إنّما أصحابُ جعفرٍ مَن اشتدّ ورعُه، وعمل لخالقه).

وأخيراً فإن الجعفري الحقيقي هو الذي يأخذ بوصية إمامه جعفر الصادق كما في الحديث الصحيح عن أبي أسامة زيد الشحام قال: قال لي أبوعبدالله «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (اقرَأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي: السلام، وأوصيكم بتقوى الله «عَزَّ وَ جَلَّ» والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» . ادُّوا الأمانة إلى من ائتـمنكم عليها بَراً أو فاجراً، فإن رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» كان يأمر بأداء الخيطِ والمِخيَط، صِلوا عشائرَكم واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وأدّوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدَق الحديث وأدى الأمانة وحسُنَ خلقُه مع الناس، قيل هذا جعفري، فيسرَني ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدبُ جعفر، وإذا كان على غير ذلك، دخل عليَّ بلاؤه وعارُه وقيل هذا أدب جعفر، فوالله لحدّثني أبي «عَلَيْهِ السَّلامُ» أنّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» فيكون زينَها، آداهم للأمانة وأقضاهم للحقوق وأصدقَهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعُهم، تُسأل العشيرةُ عنه فتقول: مَن مثلُ فلان؟ إنه لآدَانا للأمانة وأصدقُنا للحديث).

١١ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٣ مارس ٢٠١٣ مـ

موسى والعبد الصالح

(فلوريدا ـ الولايات المتحدة)

تحدث القرآن في سورة الكهف [٦٠-٨٢] عن قصة غريبة طرفاها الرئيسيان النبي موسى ابن عمران «عَلَيْهِ السَّلامُ» وعبدٌ صالح لم تكشف الآيات عن شخصيته الغامضة، ومصدر علمه، حتى قيل أنه ملَك وليس من الإنس! وهناك عدة ملاحظات تسجَّل على القصة:

• قصة فريدة:

لم ترد هذه القصة أو ما يشابهها في ما هو متوافر من العهد القديم الذي يشمل التوراة والزبور وكتباً أخرى، والعهد الجديد بما يشمل الأناجيل الأربعة وكتباً أخرى. وقد اتخذ البعض من ذلك ذريعة للتشكيك في أصل القصة. نعم هناك قصة تُنسب للنبي إيليا (إلياس) وتابعه يشوع تشبه في جوها العام قصة النبي موسى والعبد الصالح، وإن اختلفت معها في كثير من التفاصيل، وهي موجودة في التراث اليهودي خارج نطاق العهد القديم.

• متى وقعت الأحداث؟

لم تحدد القصة الفترة الزمنية من حياة النبي موسى بن عمران «عَلَيْهِ السَّلامُ»، وقد تناول القرآن فصولاً من قصته، ابتداءً من المولد وإلقائه في اليم، مروراً بقتله القبطي ثم هروبه إلى مدين، ثم استقراره لعشر سنوات بعد لقائه الفتاتين وزواجه من إحداهما، ثم عودته إلى مصر وبداية مبعثه وتكليم الله له، دخوله على فرعون مع هارون وكل أجواء الدعوة والتحدي والمعاجز التي شهدها في تلك الفترة، ثم خروجه من مصر مع بني إسرائيل وغرق فرعون، ثم التوجه إلى فلسطين والأحداث الكثيرة التي مرّ بها مع بني إسرائيل، ومن ثم الاستقرار في أرض سيناء في مرحلة التيه. ولا نعلم بالتحديد متى جرت أحداث القصة، ولكن لربما نطمئن إلى أنها لا تخص مرحلة ما قبل النبوة، لأن من الواضح أن الآيات تتحدث عن أمر إلهي



له بالتوجــه إلى مكان محدد وانتظار حدوث شئ غريب ســيكون هو علامة موضع اللقاء، وضرورة تلقي النبي موسى «عَلَيْهِ السَّلامُ» العلم من ذلك العبد الصالح.

• ماذا تعلم موسى؟

لم تذكر الآيات ما طبيعة العلم الذي تلقاه النبي موسى من العبد الصالح، بل هل تلقى شيئاً من العلم الإلقائي على يديه أم أن ذلك تــم من خلال المواقف الثلاثة التي عايشاها فقط لا غير.

• رمزية القصة:

اعتبــر البعض أن حادثة الســفينة وخرقها رمزت للنبي موســى «عَلَيْـهِ السَّـلامُ» ما جرى له في طفولته حيــن أوحى الله لأمه بــأن تلقيه في اليــم، فوثقت الأم بذلــك، فرعته يد العناية الإلهية حتى أعاده إليها كمرضعة له. وكان من المفترض به أن يستذكر عناية الله «عَزَّ وَجَلَّ» حين خرق العبد الصالح السفينة ولا يحتج عليه. وأن حادثــة قتل الصبي رمزت بالنســبة إلى موســى حادثة قتله للقبطي، وكيف أن العناية الإلهيــة تدخلت من جديــد لتنقذه من مكر المتربصين به السوء، وكان من المفترض به أن يثق بالإرادة الإلهية في هذه الحادثة أيضاً. وأخيراً فإن إقامة الجدار على الكنز ترمز إلى النتائج العظيـمة التي سيحققها النبي موسى بــمــرور الوقت، وعليــه أن يثق بالله في هذا الطريــق. وهذا بالطبع من باب التحليل وقد تلاحظ عليه ببعض الملاحظات.

• الأدب الجم:

عند التــمعن في التعبير الوارد في كلام النبي موسى عند بدء اللقاء، سنلاحظ أدباً جماً عند هذا النبي الكريــم فيــما حدّث به القرآن، قال الله «عَـزَّ وَجَلَّ»: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَــى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْــدًا﴾[الكهف:٦٦].

والملاحظ على ذلك عدة أمور:

١ـ الاستئذان في الاتباع: ﴿هلْ أَتَّبِعُكَ﴾.

٢ـ التعبير بالاتباع لا المصاحبة وفي ذلك دلالة على التواضع الكبير عند نبي من أولي العزم.

٣ـ لم يقل: (على أن أتعلم) بل قال ﴿عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ﴾ فالفاعل هو العبد الصالح والمتعلم هو موسى، وفي ذلك دلالة أخرى على التواضع واحترام المعلم.

٤ـ تبعيض التعلم في قوله: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ ولم يقل (ما عُلِّمْتَ)، لأن موسى «عَلَيْهِ السَّلامُ» يدرك أن كل العلم الذي يملكه الآخر لا يتحصل في زمن محدود، وهو نتاج تفاعل مع الحياة وخبراتها.

٥ـ وصف العلم الذي يطلبه بالذي يرشده دون ما سواه ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾، فقد يمتلك الإنسان معلومات كثيرة لا ترشده إلى شيء، بل قد تضله، وأما موسى فإن غايته هو العلم الذي يرشده.

• غاية اللقاء:

ويبقى السؤال الكبير: لماذا أراد الله من رسوله موسى «عَلَيْهِ السَّلامُ» أن يلتقي بهذا العبد الصالح؟ وما غاية سرد القصة في القرآن؟ باعتقادي أن جواب ذلك يتلخص في الآية[٦٧]: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.. فمن يتتبع سيرة هذا النبي يجده شخصية انفعالية، ويتضح ذلك من خلال الموارد التالية:

١ـ قتله القبطي وندمه: ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ، قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[القصص:١٥-١٦].

٢ـ قرب تكرر نفس ردة الفعل بعد فترة وجيزة: ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ﴾[القصص:١٩].

٣ـ هروبه وهو يتلقى كلمات الله في بداية الوحي فيمات حكاه القرآن دون أن يلتفت إلى الوراء: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ﴾[القصص:٣١].

٤ـ حين أمره الله بالذهاب إلى فرعون، كان أول ما طلبه من ربه: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[طه:٢٥-٢٨]. وفي ذلك دلالة على إدراكه للحالة الانفعالية السريعة التي قد تُفسد عليه المهمة، وتؤثر على بيانه وتعبيره.

٥ـ ردة فعله العنيفة على أخيه حين عاد إلى بني إسرائيل وقد أخبره الله أنهم عبدوا العجل من بعده، دون أن يستعلم من أخيه ما جرى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ

أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِيَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْـوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُـرُّهُ إِلَيْهِ﴾[الأعراف:١٥٠]، فلم تسـلم منه الألواح التي هي من عند الله: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾[الأعراف:١٥٤].

٦ـ ردود فعلـه السـريعة والمتكـررة في أحداث قصته مع العبد الصالح، على الرغم من وعوده المتكررة بالتسليـم وعدم السؤال: ﴿قَالَ سَـتَجِدُنِي إِن شَاء الله صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا.. قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَـيْئًا إِمْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا.. قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْـرًا.. قال أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَـيْئًا نُّكْرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْـتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا، قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَـيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّـي عُذْرًا.. قَالَ لَوْ شِـئْتَ لاتَّخَـذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

• غاية القصة:

بالطبع فإن ما سبق لا يعني أن النبي الكريم موسى «عَلَيْهِ السَّلامُ» قد ارتكب ذنباً يخرجه من حدود الدائـرة المتفق عليها بين المسـلمين فيـما يخص العصمة، ولكنها الطبيعة الإنسانية التي يغالبها الأنبياء في ترقيهم في طريق الكمالات، كمـا عبّر عن ذلك الإمام علي «عَلَيْهِ السَّـلامُ» حيث قال في شـأن النبي «صَلَّـى اللهُ عَلَيهِ وَآلِـهِ» : (ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيـماً أعظم ملك من ملائكته يسـلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهـاره، ولقد كنت معه أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به). ولعل الله أراد لموسـى أن يتغلب على هذه الحالة الانفعالية التـي وإن كانت خالصة لوجه الله وللحق والعدالة، ولكنها لا تتناسب والمهمة المنوطـة به، والعنوان الذي يحمله كنبي من أولي العزم، فكان لابد وأن يعالجها.. فمرَّ في تلك التجربة الحية المتفاعلة مع الناس على اختلافهم واختلاف الظروف، لتتكشـف له تلك الحقيقة في نهاية المطاف.

إن ما سـبق يـمثـل مجرد فكـرة تحليلية حاولـت من خلالها أن أجيب على تسـاؤل طالما شـغل بالي في خصـوص هذه القصة الغريبة المضمـون والغايـة.. وتبقى الغاية من سـردها في القرآن مسألة أخرى، ولربـما كانت في طول سـائر القصص القرآني التي حكت تجارب الرسل كي يستفيد منها النبي في حركته الرسـالية، ومن ثـم يسـتفيد منها سائر المسلمون، مع بيان ما للعلم من أهمية، وضـرورة التواضع للعلمـاء، والتواضع في طلـب العلم، والصبر في هذا الطريق، وعدم الغلـو في صفات الأنبياء.. والله «عَزَّ وَجَلَّ» العالم بحقيقة الأمور.

شجاعة الزهراء عليها السلام

١٨ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ - ٣٠ مارس ٢٠١٣ م

عُرّفت الشجاعة بأنها: (الجرأة والإقدام وشدة القلب عند الشدائد وبالتالي التغلب على رهبة الموقف).

وحين نتحدث عن الشجاعة فإننا لا نتحدث عن ساحات القتال، فهناك شجاعة الكلمة، والشجاعة العلمية حيث تطرح قناعتك العلمية وإن خالفت الرأي المشهور، والشجاعة الأدبية حين تعتذر من خطأ ارتكبته، وشجاعة الموقف حين تكون منصفاً ولو من نفسك وأقربائك، وغير ذلك.

• عدة عناصر:

وبهذا المفهوم للشجاعة تتداخل عدة عناصر لتكوّن هذه الصورة.. الهدف المحرِّك، والصبر والثبات، القوة النفسية التي تفعّل القوة الجسدية. وقد يتصور البعض أن الشجاعة تعني الانجرار وراء العاطفة، ولكن الحق أن تكامل صورة الشجاعة لا يتحقق إلا من خلال دور القوة العقلية التي توجّه القوة النفسية نحو الهدف وتضبط حركتها لئلا يتحول الإنسان من موقع الشجاعة إلى موقع التهور أو العدوان والبغي أو غير ذلك.

• سيرة الزهراء:

وحين نعود الى سيرة الزهراء «عَلَيْها السَّلامُ» نجد الشجاعة بعناصرها ومقوماتها حاضرة في شخصيتها بكل وضوح، لاسيما في خطبتها التي واجهت بها المسلمين بعد وفاة النبي مبيّنة لهم جملة من الحقائق. وتتضح الصورة أكثر حين نسترجع حقيقة أنها وقفت ذلك الموقف الشجاع وهي في ريعان الشباب، وفي محضرها كل الأسماء الكبيرة بعناوينها من صحابة رسول الله، فلم يغير ذلك من موقفها شيئاً.

يقول الكاتب المصري توفيق أبوعلم وكيل وزارة العدل الأسبق، والمسؤول عن حرم السيدة نفسية بمصر في كتابه (أهل البيت): (أوتيت الزهراء رضوان الله عليها كسائر أهل البيت حظاً عظيماً من الفصاحة والبلاغة. فكلامها متناسب الفِقر، متشاكل الأطراف، تملك القلوب بمعانيه، وتجذب النفوس بمحكم أدائه ومبانيه، فهي في البيان من أغزر القوم مادة، وأطولهم باعاً وأمضاهم سليقة وأسرعهم خاطراً، وإنه ليتبين ذلك

خاصة في خطبتها وكلامها في بيعة أبي بكر، وخلافها معه بشأن فدك).

• عناصر شجاعتها:

أما الهدف من موقفها الشجاع فقد كان واضحاً وهو نصرة الحق المتمثل في موقف زوجها الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» .. وأما الصبر والثبات فقد كانا عنوان موقفها الذي ما تغيّر حتى ودّعت هذه الدنيا الفانية.. وأما القوة النفسية التي تفعّل القوة الجسدية فقد تجلّت في شخصيتها، وانعكست في كلماتها.

ولو أخذنا المقطع التالي من خطبتها لبان لنا ذلك بوضوح قالت «عَلَيْها السَّلامُ» : (كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ، أَوْ نَجَمَ قَرْنُ للشيطان، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بأخمصِه، ويُخمد لهبها بسيفه، مَكْدُوداً في ذاتِ اللهِ، مُجْتَهِداً في أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رِسُولِ اللهِ سِيِّدَ أَوْلِيلءِ اللهِ، مُشَمِّراً ناصِحاً ، مُجِدّاً كادِحاً، وأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ).

تَطأ ذُيُولَها، ما تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسولِ الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» ، حَتّى دَخَلَتْ عَلى أَبي بَكْر وَهُو في حَشْدٍ مِنَ المهاجِرين والأَنصارِ وَغَيْرِهِمْ فَنيطَتْ دونَها ملاءة فجلست ثم أنّت أنة أجهش القوم لها بِالْبُكاءِ. فَارْتَجَّ الْمَجلِسُ. ثُمَّ أَمْهَلَتْ هَنِيَّةً حَتَّى إذا سَكَنَ نَشيجُ القوم، وهَدَأَتْ فَوْرَتُهُمْ، افْتَتَحَتِ الْكَلامَ بِحَمدِ اللهِ وَالثناءِ عليه والصلاةِ على رسولِ الله، فعادَ القومُ في بُكائِهِمْ، فَلَما أَمْسَكُوا عادَتْ فِي كلامِها).

وفي هذا رد بليغ على الذين يعتبرون أن التزام المرأة الستر الشرعي سيعيقها عن أداء مسؤولياتها في الحياة، وعن اتخاذ المواقف الشجاعة في الظروف العصيبة.

• ملهمة النساء:

لقد كانت السيدة الزهراء «عَلَيْها السَّلامُ» بذلك، الملهِمة لمن خلفها من النساء، إذ اقتدين بها في مواقف شبيهة واجهن بها الظلم والباطل بكل شجاعة .. في موقف ابنتها العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين «رَضِيَ اللهُ عَنْهُا» في محفلي ابن زياد ويزيد.. وفي موقف الصحابية الجليلة أم الخير البارقي التي كانت تقف في وسط المقاتلين في صفين تهاجم خصوم الإمام عليٍّ «عَلَيْهِ السَّلامُ» بأعنف القول، و تحث مَن كان في جيش الإمام علَى نصرته قائلة: (أيّها الناس إلى أين تُريدون رحمكم الله عنِ ابن عمِّ رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» وزَوجِ ابنتِه وأبي ابنَيه؟!

• مبادئ راسخة:

ويضاف إلى ما سبق أنها لم تتخلّ عن قيمها ومبادئها وعفّتها وحيائها لتُقدِم على تلك الخطبة، بل كما ذكر النص أنها: (لاثَتْ خِمارَها على رأسِها، واشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وأَقْبَلَتْ في لُمَةٍ مِنْ حَفَدتِها ونساءِ قَوْمِها،



.. ها هو مُفلِّقُ الهام ومُكسِّر الأصنام، إذ صلّى والناسُ مُشركون، وأطاع والناسُ مُرتابون). ولما أمر معاوية بعد استشهاد الإمام علي بجلبها إليه، مذكِّراً إياها بكلامها في صفين خوّفها بالقتل فقالت: (والله، ما يسوءني يا ابن هند أن يُجري الله ذلك على يدِ مَن يُسعدني الله بشقائه).

• الشهيدة بنت الهدى:

وهكذا ألهمت الزهراء في عصرنا هذا الشهيدة بنت الهدى آمنة الصدر أخت الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر، التي عملت مع أخيها في النشاط الدعوي من خلال الحوزة النسائية والتأليف، وثبتت معه في مواجهة صدام وزمرة البعثيين، فحُبِسَت، فكانت بحسب شاهد عيان تتلو قوله تعالى وهي تتلقى أصناف التعذيب: ﴿مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾.. حتى إذا أدخلت على المقبور صدام بدأت تتلو آيات من القرآن الكريم مما أثار سخطه، فأمر بقتلها. ولما كُشف عنها بعد ذلك وُجدت آثار التعذيب وقد أحرق شعر رأسها بشكل كامل، وظهرت بقع الحروق والجراحات العميقة في جسدها.. ويضيف مساعد مدير الأمن السابق في النجف الأشرف: (حينما جاءوا بجثمان العلوية أخذني الفضول لأرى وجهها.. وما أن فتحت القناع حتى سرَت في جسمي قشعريرة، ووقف شعر جسدي هيبة ورهبة مما جعلني أعيد القناع على ذلك الوجه الذي شع نوراً قتل به فضولي وشل يدي.. أحسست حينها أنها والله فاطمة أو زينب).

السلام عليك يا مولاتي يا سيدة نساء العالمين، السلام عليك يا مولاتي يا بنت خير البرية، السلام عليك يا مولاتي يا زوجة ولي الله، السلام عليك يا مولاتي يا أم الحسن والحسين، السلام عليك أيتها الصديقة الشهيدة، السلام عليك أيتها الرضية المرضية، السلام عليك أيتها الفاضلة الزكية، السلام عليك أيتها التقية النقية، السلام عليكِ وعلى من سِرْنَ معك في درب طاعة الرحمة، فلقين الله مؤمنات صالحات عفيفات طاهرات.

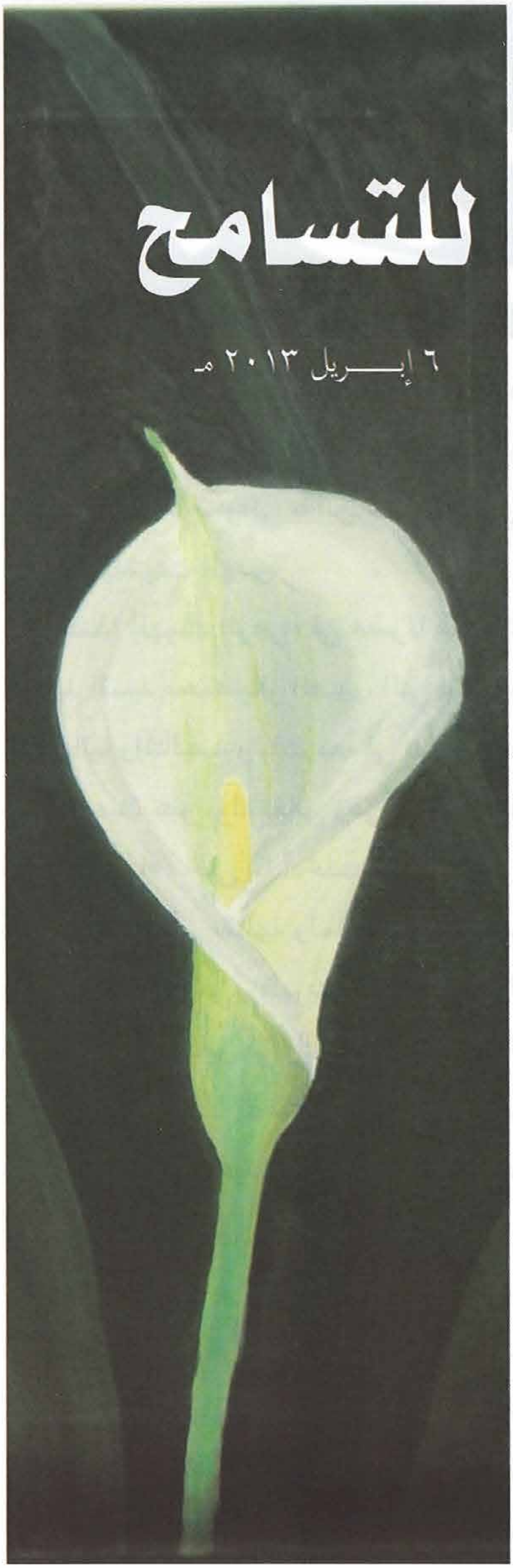

دعـــوة

٢٥ جمادى الأولى ١٤٣٤ هـ

﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[الجاثية:١٤-١٥].. نزلت الآيتان في مرحلة دعوة النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» قومَه إلى الإيمان.. حيث كان يدعوهم فيها بكل صور المحبة، ويُواجَه بكل صور الاضطهاد. وفيهما عدة دلالات مهمة:

١ـ حيث كان المؤمنون يتحفّزون للمواجهة، وللدفاع عن أنفسهم، دعاهم الله إلى المزيد من الصبر في الدعوة، والصفح عنهم ﴿قُل لِّلَّذِيَن آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾، فلربما اهتدوا، ولربما كان التصادم معهم يدفع لتعقيد الأمور، وإغلاق طرق التراجع.

٢ـ تأكيد على أن مواقف المشركين ناشئة عن جهل منهم، لا عن منطق ودليل، ففي قوله سبحانه: ﴿لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ﴾ تعبير عن جهل المشركين بحقيقة الإيمان ونتائجه،

وبالتالـــي فهم لا يتـمنون مـــا فيه الخير لهم مما أُعِد للمؤمنين فـــي الآخرة، من المغفرة والرحمة والجنة.

٣ـ ثـــم تؤكد الآيتان علـــى أن الجزاء في الثواب والعقاب من شؤون الله، لا من شؤون الناس.. وكأن الآية تقـــول: هل تتصورون أن شيئاً من ذلك يفوت الله كي تتدخلوا في هذا الشأن، ولو بالمسارعة في إصدار الأحكام؟

٤ـ كما تؤكد الآيتان على المسؤولية الفردية ضمـــن قاعدة: ﴿وَلاَ تَـــزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:١٦٤]، فـــلا تقلقوا من خلط الأوراق وضياع الحقائق وأخذ المحسن بالمسئ.

• في الدائرة الإسلامية:

وقد اســـتوحى الإمام الصادق «عَلَيْهِ السَّـلامُ» من الآية الأولى قاعدة عامة كما جاء في الحديث الذي رواه داود بن كثير عنه في تفســـير قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللهِ﴾ قال: (قـــل للذين مَننّا عليهم بـمعرفتنا) أي بالاعتقاد بالإمامة في علي وآله (أن يغفروا للذين لا يعلمون، فإذا عَرفوهم فقد غُفِر لهم).

وفي هذا الحديث عدة دلالات:

١ـ دعـــوة للتســـامح فـــي إطـــار مـــا بين المذاهب.

٢ـ دعـــوة لعدم التدخل في الشـــأن الإلهي في الحكم على النـــاس. فالله لم يوكِل أحداً للحُكم على الناس في مصيرهم الأخروي.

٣ـ ضرورة عدم التسرع في الحكم على أحد، فلربـما كانت الحقيقة التي آمن بها الإنسان غير بعيدة عن أن يصـــل إليها الآخرون، فالله لم يوكل أحداً للتحدّث باســـمه في المصير الأخروي الذي ينتظر الناس.

• سعد بن معاذ:

عندما دخـــل الصحابي الجليل ســـعد بن معاذ في الإسلام على يد على يد مصعب بن عمير، وُصف بأن إسلامه كان عظيـم البركة، لمكانته في قومه من الأوسيين، فآمن كثيرون بإيـمانه.. ولما استشهد على أثر جرح أصيب به في الخندق، خرج رســـول الله «صَلَّـى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» في تشـــييعه حاسرا حافيا وقال: (إن الملائكة تشيّع سعداً) ثـم أنزله بنفسه إلى القبر ولحّده فما لبثت أم ســـعد أن قالت: (يا سعد، هنيئاً لك الجنة)، لمـــا رأته من اهتـمام النبي، فإذا برســـول الله يقول: (يا أم سعد، مه، لا تجزمي على ربك..).

وهكـــذا في الدائـــرة المذهبيـــة الواحدة، فقـــد نهى الأئمة «عَلَيْهِم السَّـلامُ» أتباعهم عن اتخاذ المواقف العنيفة ضد بعضهم البعض بسبب الاختلاف في مســـتوى المعرفـــة الإيـمانية، ومن ذلك:

١ـ عـــن عبدالعزيز القراطيســـي: (قال لي الإمـــام الصادق «عَلَيْهِ السَّـلامُ» : يـــا عبدالعزيز، إنَّ الإيـمانَ عشرُ درجات بـمنزلة السُّلَّم، يُصعَد

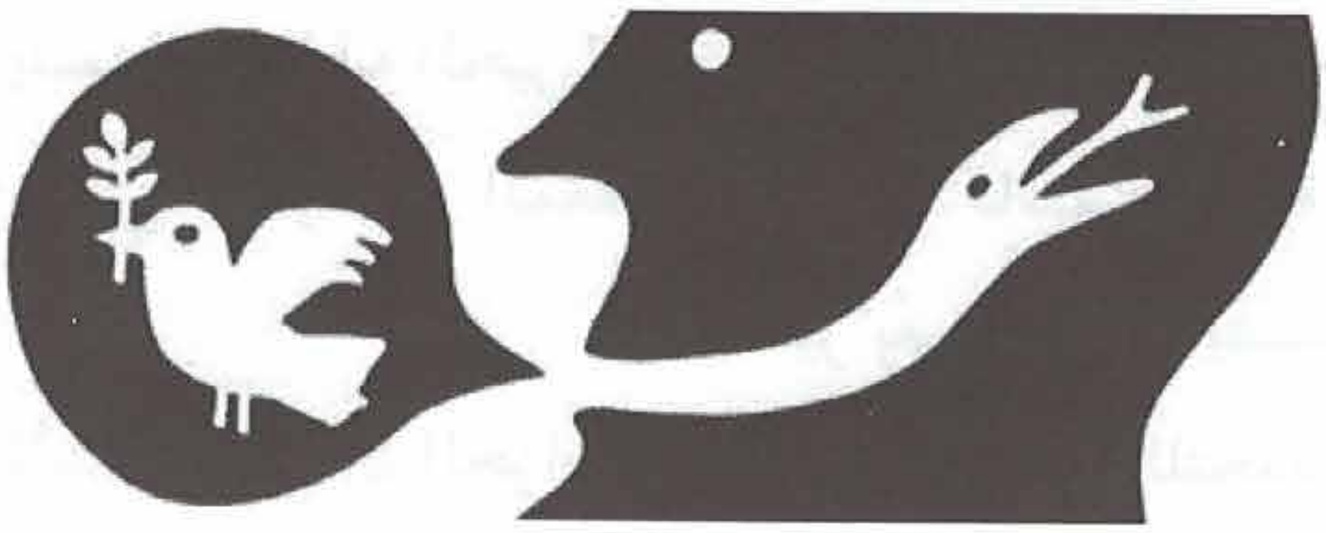

منه مِرقــاة بعد مِرقــاة، فلا يقولــنَّ صاحبُ الإثنين لصاحبِ الواحد لســتَ على شــئ، حتى ينتهي إلى العاشــر. فلا تُســقِط مَن هو دونك، فيُســقِطُك مَن هو فوقَك. وإذا رأيت مَن هو أسفلَ منك بدرجة فارفعه إليك برفق ولا تحملنّ عليه ما لا يُطيق فتكســره فإنّ من كسر مؤمناً فعليه جبرُه).

٢ـ وعنــه «عَلَيْهِ السَّــلامُ» : (ما أنتــم والبراءة؟! يبرأ بعضُكُم مــن بعــض. إن المؤمنين بعضُهم أفضــلُ من بعض، وبعضُهــم أكثرُ صلاة من بعــض، وبعضُهم أنفذُ بَصَراً من بعض، وهي الدرجات، حيث قال تعالى: ﴿هُم دَرَجاتٌ عِندَ اللهِ﴾).

٣ـ وعن عمار بن أبي الأحوص قال: (قلت لأبي عبد الله «عَلَيْهِ السَّــلامُ» : إن عندنا قوماً يقولون بأميــر المؤمنيــن، ويفضّلونه علــى الناس كلهم، وليــس يصفون ما نصف من فضلكم، أنتولاهم؟ فقال لي: نعــم، في الجملة، أليس عند الله ما لم يكن عند رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» ولرســول الله ما ليس عندنا، وعندنا ما ليس عندكــم، وعندكم ما ليس عند غيركم؟ إن الله وضع الإســلام على سبعة أسهم: على الصبر ثــم قســم ذلك بيــن الناس... فــلا تحملوا علــى صاحــب الســهم ســهمين، ولا على صاحب الســهمين ثلاثة أســهم... فتُثقلوهم وتنفِّروهم، ولكن ترفّقوا بهم وســهِّلوا لهم المدخل... أما علمت أن إمارة بني أمية كانت بالسيف والعنف والجور، وإن إمامتنا بالرفق والتأليــف والوقار والتقية وحســن الخلطة والورع والاجتهــاد، فرغّبوا الناس في دينكم وفيــما أنتــم فيه).

• رفق ورحمة:

إن مدرسة الإسلام التي تجلّت في نهج أهل البيت «عَلَيْهِم السَّــلامُ» هي مدرســة الرحمة والرفق ورحابة الصدر، لا مع الذين يوافقونها فحسب، بل حتى مع الذين يخالفونها، ومن هنا كانت الساحة الثقافية والساحة السلوكية لقادة هذه المدرســة ولأتباعها مفتوحة علــى عناوين المحبة وصفاء المشــاعر ولين الجانب، بل وحتى مواجهة الإســاءة بالإحسان وهو ما دفع كلَّ منصــف لقبول الحــق أو للتراجع عن موقفه الصدامــي تحت عنــوان: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام:١٢٤].

الدين والسياسة ـ القسم الأول

٣ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ

١٣ إبريل ٢٠١٣ مـ



وفق ما نفهمه من المنظور الإسلامي من المفترض أن يلعب الدين دور الموجِّه للسياسة والراسم لخطوطها العريضة، بدلالة: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد:١٥].

كما أن من المفترض بالقائمين على السياسة أن يعملوا ـ ضمن مسؤولياتهم المتعددة ـ على ترسيخ موقع الدين في المجتمع، بدلالة قوله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلله عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[الحج:٤١].

• الدين بمفهومه الواسع:

وذِكْر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الآية يوسّع أفق مفهوم الدين هنا، فالمسألة ليست مجرد ممارسات عبادية، بل تشمل قضايا من قبيل العدالة الاجتماعية ومنظومة الحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم، والمساواة أمام القانون، وفرص الحياة الكريمة، والتنمية، وغير ذلك.

وما أورع كلمات أمير المؤمنين علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» في هذا الإطار حيث قال: (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنردَّ المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطَّلة من حدودك).

• فصل الدين عن السياسة:

ومن هنا ـ ووفق المنظور السابق ـ لا نستطيع قبول مقولة فصل الدين عن السياسة، وفصل السياسة عن الدين ولكننا في نفس الوقت لا نستطيع أيضاً قبول توظيف الدين في المصالح السياسية، ولا التلاعب في الدين من أجل السياسة. وخلل العلاقة بين الدين والسياسة يمكن تصوّره بعدة صور، من بينها:

• معركة التأويل:

وما اصطلح عليها بمعركة التأويل يعني

إما بتوظيف الحق لمصلحة سياسية باطلة، وبتعبير آخر (كلمة حق يراد بها باطل)، وإما بالتلاعب في دلالة النص وتفسيره بصورة باطلة. وعادة ما يصعب في معركة التأويل تمييز الحق من الباطل، خلافاً لمعركة التنزيل التي يمتاز فيها الباطل عن الحق بصورة أكثر وضوحاً.. وكلا المصطلحين من نتاج حديث مروي عن النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» .

• خاصف النعل:

ولنلاحظ الخبر التالي الوارد في الموسوعة الحديثية المبوَّبة على موقع (الدرر السنية مرجع علمي على منهج أهل السنة الجماعة) نقلاً عن أمهات المصادر عند إخواننا من أهل السنة عن أبي سعيد الخدري: (كنا قعوداً ننتظرُ رسولَ الله فخرجَ إلينا من حُجْرةِ عائشةَ فانقطعتْ نعلهُ فرمَى بها إلى عليّ ثم جلسَ فقال: إن منكُم لمن ليقاتلنَّ على تأويلِ القرآنِ كما قاتلتُ على تنزيلهِ فقال أبو بكرٍ: أنَا. قال: لا. قال عمرُ: أنَا. قال لا، ولكنه خاصِفُ النعلِ في الحجرةِ. قال رجلٌ الزُّبَيْدِيّ: فأتى رجلٌ عليّاً في الرحبةِ فقال: يا أميرَ المؤمنينَ، هل كان في حديثِ النعلِ شيء؟ قال: اللهم إنّكَ لتشهدُ أنّه مما كان رسولُ اللهِ يَسُرّهُ إليّ). وتحت الخبر عبارة: (رواته عدول أثبات).

• ملاحظات مهمة:

قبل توضيح دلالة القتال على التأويل لابد من بيان بعض الأمور:

١ـ مجموع الأحاديث المشابهة في المضمون والواردة في هذه الموسوعة ١٤ حديثاً، منها ما عُبّر عنه بـ (رجاله رجال الصحيح) أو (صحيح).

٢ـ ما معنى سؤال الرجل: (هل كان في حديثِ النعلِ شئ)؟

عند العودة إلى نص آخر حول ذات الحدث نفهم السبب، وفيه: (ثم التفت إلينا علي، فقال: إن رسول الله قال: مَن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار).

وهذا يعني أن سؤال الرجل كان مبنياً على تشكيك البعض بأصل الحدث، وهو ما واجهه الإمام «عَلَيْهِ السَّلامُ» بكلامه الأخير.

٣ـ لماذا قال الإمام: (اللهم إنّكَ لتشهدُ أنّه مما كان رسولُ اللهِ يُسِرُّهُ إليّ)؟ في أحد النصوص قال الرواي: (فجئنا نبشِّرُهُ. قالَ: فكأنَّهُ قد سمِعَهُ من رسولِ الله).

أي لم يحضر الإمام علي الحدث، ولكنه لما أُخبِر فهموا منه أن النبي قد أعلمه بأنه سيتحمل هذه المسؤولية.

• المراد من التأويل:

الآن نعود إلى السؤال الرئيس: ما طبيعة هذا التأويل الذي حاربه الإمام بأمر النبي ودفع حياته ثمناً لقتاله.. وما هي مصاديقه؟

قد يكون التأويل هنا بمعنى توظيف الحق

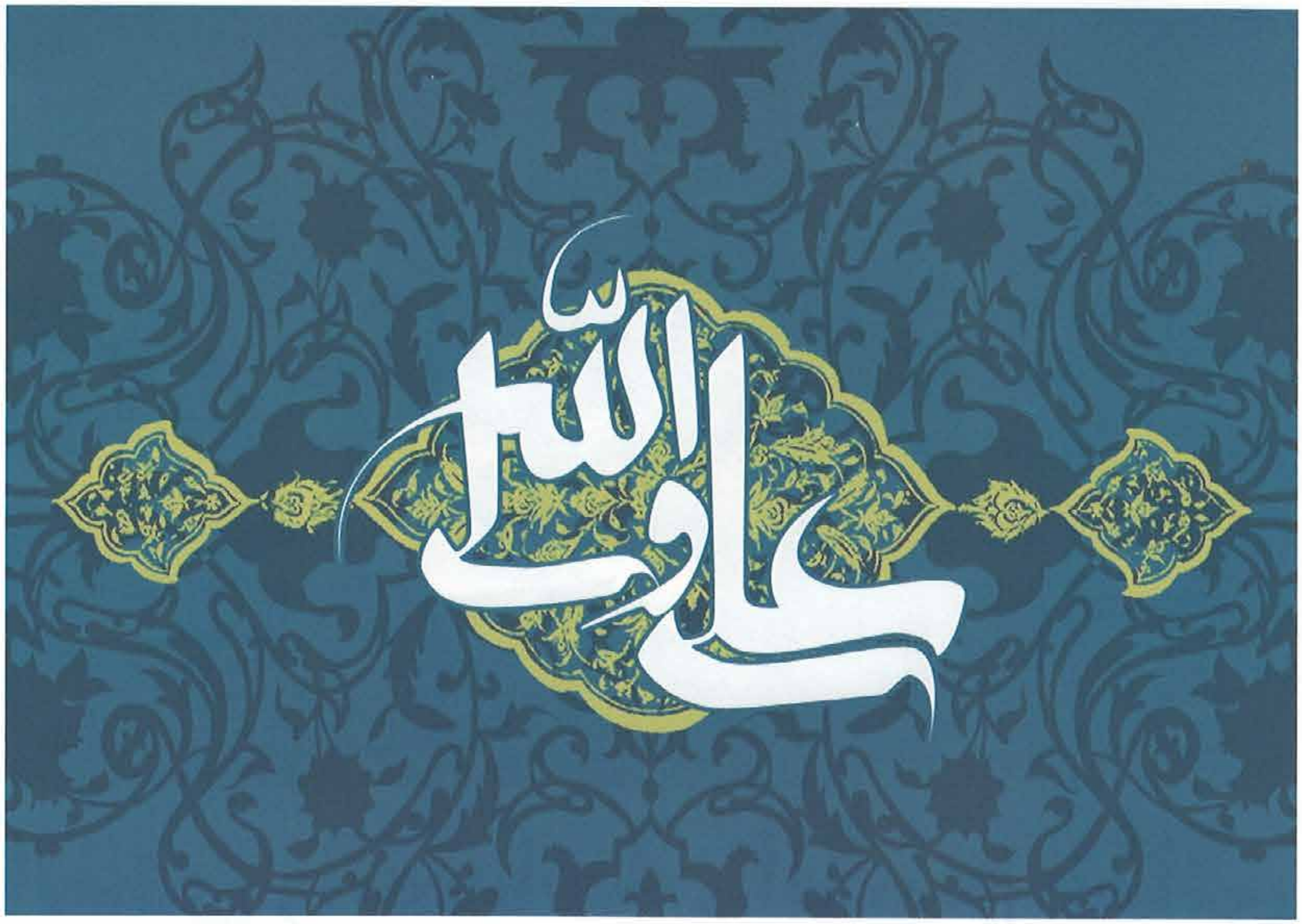

لمصلحة سياسية باطلة، وهو ما يتضح من خلال نفس الخبر ولكن بتفصيل الله عليكم رجلاً منكم امتحن اللهُ «عَزَّ وَجَلَّ» قلبَه للإيمانِ لِيضربَ رقابَكم على الدِّينِ. فقال أبو بكرٍ: أنا هو يا رسولَ اللهِ. قال: لا. قال عمرُ: أنا هو يا رسولَ اللهِ؟ قال: لا، ولكنه خاصفُ النَّعلِ في المسجدِ. قال: وكان قد ألقى إلى عليٍّ نعلَه يخصِفُها). (رواته عدول أثبات)

فالنبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» يوجه الناس إلى أنه سيكون هناك تلاعب في المواقف السياسية وخلفياتها، وأن علي بن أبي طالب «عَلَيْهِ السَّلامُ» يمتلك من البصيرة والسداد والحكمة ما يتمكن من خلالها أن يميّز ما هو الموقف الصحيح في مثل هذه المواقع التي يختلط فيها الحق والباطل. الأمر الذي سيعارض مصالح البعض ويدفعهم للمواجهة وإعلان الحرب، وبالتالي سيقاتلهم الإمام علي من أجل إحقاق الحق.

كما قد يكون التأويل بمعنى التلاعب بدلالات النصوص الدينية، وبالتالي تفريغ الدين من مضامينه طمعاً في تحقيق مكاسب سياسية معينة، وهذا ما سنتحدث عنه وعن مصاديقه التاريخية، وكذلك حول الصور الأخرى لخلل العلاقة بين الدين والسياسة في المقال المقبل بإذن الله.

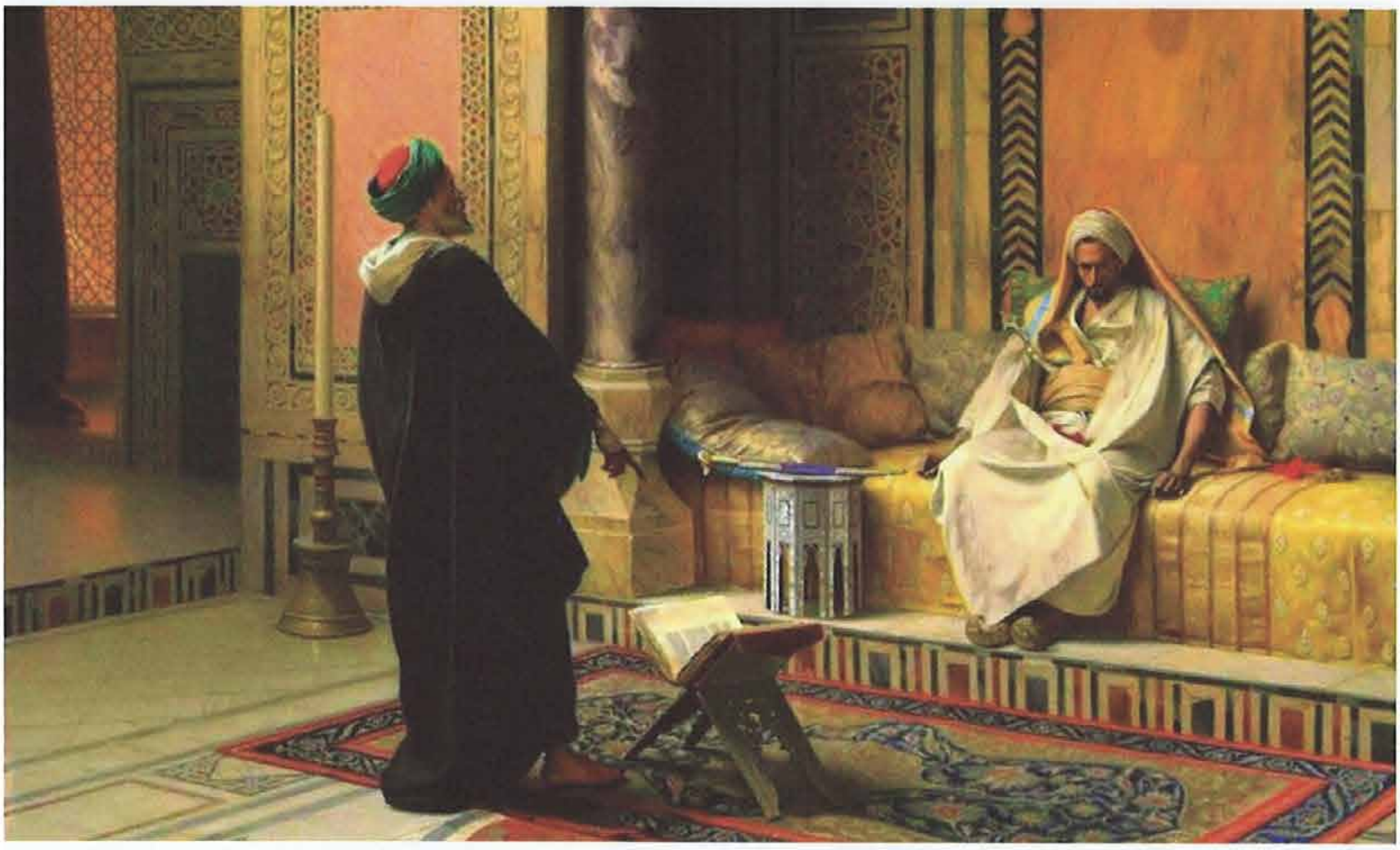

الدين والسياسة ـ القسم الثاني

١٠ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ - ٢٠ إبريل ٢٠١٣ مـ

تناولت في المقال الماضي موضوع الخلل في العلاقة بين الدين والسياسة، وتناولت جانباً من الصورة الأولى، وهي معركة التأويل والتي تعني من جهة (توظيف الحق لمصلحة سياسية باطلة)، وانتهينا من الحديث في ذلك.. وتعني من جهة أخرى (التلاعب في دلالة النص لمصلحة سياسية باطلة).

عندنا في القرآن نصوص كثيرة تتحدث عن القضاء والقدر وعن الإرادة الإلهية من قبيل قوله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللهُ﴾[الإنسان:٣٠] وقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[الأنفال:١٧]. ولكن فلنلاحظ كيف يتم تغيير دلالة تلك النصوص لتوظيفها لمصلحة سياسية معينة، ففي كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة: أن معاوية لما نصّب ابنه يزيد واعترض عليه عبدالله بن عمر أجابه: (إني أحذرك أن تشق عصا المسلمين، وتسعى في تفريق ملأهم، وأن تسفك دماءهم، وإنَّ أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء، وليس للعباد خيرة من أمرهم).. وهذا النوع من معركة التأويل أخطر من الأول، لأن الأول يزول عادة بموت الأشخاص وانتهاء صراعاتهم، أما هنا فالخطر يكمن في بقاء الفكرة وامتدادها وتجذرها.

• الصورة الثانية:

من صور الخلل في العلاقة بين السياسة والدين: ارتداء عباءة الدين، وتوظيف هذا الظاهر لتحقيق المصالح السياسية.. بالطبع فإن هذا ليس بالأمر الجديد ولا الخاص بالإسلام، فالإمبراطور قسطنطين الأول الوثني الذي عاش في القرن الميلادي الرابع وكان يحكم الإمبراطورية الرومانية الغربية لما أراد أن يوسّع مملكته عمد إلى إعلان إيقاف اضطهاد المسيحيين من رعاياه واعترف بالمسيحية كدين، ومزج مجموعة من العقائد والطقوس الوثنية في المسيحية بقيت إلى هذا اليوم، فكسب قاعدة جماهيرية عريضة مكّنته من مد امبراطوريته إلى الشرق، ووحّد الإمبراطوريتين الغربية والشرقية تحت حكمه.

• المأمون والتشيع:

وفي صورة قريبة من ذلك نجد المأمون العباسي بعد أن قتل أخاه الأمين، أصبح منبوذاً عند العباسيين في بغداد، فأسس لنفسه عاصمة في (مرو) بتركمنستان، وهناك بدأ التودد لآل علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» الذين كانوا يمثلون مع أنصارهم جبهة مضطهدة ومعارضة كبيرة، ونجح في ذلك بعد إعلان تشيعه وتنصيب الإمام الرضا «عَلَيْهِ السَّلامُ» في مقام ولاية العهد، واتخاذ اللون الأخضر شعاراً وغير ذلك من إجراءات.. حتى إذا وصل إلى غايته، اغتال الإمام الرضا ومحمد ابن الإمام الصادق وغيرَهم من البيت العلوي، ثم عاد إلى بغداد بعد أن كسب ود العباسيين فيها ووحّد الدولة العباسية تحت حكمه القوي.

• حمامة الحرم:

وهكذا نجد أن ابن سعد وغيره من المؤرخين يعدّون عبدالملك بن مروان أحد فقهاء المدينة، ويروون عن نافع قوله: (لقد رأيت عبد الملك بن مروان وما بالمدينة أشد تشميراً ولا أطلب للعلم منه)، بل كان فِعلُه حجة شرعية عند بعضهم، فابن شهاب الزهري لما سئل عن ربط الأسنان بالذهب، قال: (لا بأس به، ربط عبد الملك بن مروان أسنانه بالذهب!).

ووُصف عبدالملك بأنه كان عابداً ناسكاً قبل الخلافة حتى لُقِّب بحمامة الحرم، ولكنه كما في (البداية والنهاية) لابن كثير: (لما سُلِّم على عبد الملك بالخلافة كان في حجره مصحف، فأطبقه وقال: هذا فراق بيني وبينك).

ويروي ابن الأثير في (الكامل في التاريخ): (حجَّ بالناس عبد الملك فخطب الناس بالمدينة فقال بعد حمد الله والثناء عليه، أما بعد، فإني لست بالخليفة المستضعَف، يعني عثمان، ولا بالخليفة المداهن، يعني معاوية، ولا بالخليفة المأفون، يعني يزيد. ألا وإني لا

أداوي هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتُكم، وإنكم تحفظون أعمال المهاجرين الأولين ولا تعملون مثل أعمالهم، وإنكم تأمروننا بتقوى الله وتنسون ذلك من أنفسكم، والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه. ثم نزل).

• الصورة الثالثة:

الدس وتحريف النص الديني لأهداف سياسية محضة.. ولعل أوضح صورة لذلك مجموعة الأحاديث التي توجب إطاعة السلطان ولو كان جائراً باغياً شيطاني الحقيقة. ومنها ما روي عن حذيفة بن اليمان عن النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» : (... يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله ان أدركت ذلك. قال: تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع).

ولا أتصور أنه يوجد في التراث الإسلامي ما هو أكثر فائدة من هذا الخبر لعشاق السلطة من هذا النص الذي أربأ بالنبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» أن يكون قد قاله!

• المرشحون بين الجنة والنار:

إن الأمثلة المعاصرة للتلاعب في دلالات النص الديني لتحقيق الأغراض السياسية كثيرة، ومنها ما يُصدره البعض من أحكام حول حرمة التصويت لغير المرشح الإسلامي الفلاني، أو دخول النار لمن لا يصوّت للحزب الإسلامي الفلاني، وأمثال ذلك، اعتماداً على نصوص من قبيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين﴾[التوبة:١١٩]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُم الكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤] وأمثال ذلك.. أما المتلبّسون باللباس الديني لغرض الوصول إلى مطامحهم السياسية فقد ملؤوا المشهد السياسي المعاصر، كما ملأت فضائحهم بعد ثورات الربيع العربي وسائل الإعلام حتى أزكمت الأنوف.

وهكذا شهدنا الورطة التشريعية التي عاشتها بعض الأحزاب الدينية في التعارض بين واقع الظلم والفساد والثورات والمطالب الجماهيرية، وبين النصوص الداعية للخضوع لظلم الحكام وفسادهم، مما خلق حالة من الفوضى الفتوائية أحياناً، أو دَفَع ـ تارة ـ لتقديم تبريرات باردة، أو لمراجعة تلك الأحزاب لأجنداتها وأهدافها الاستراتيجية تارة أخرى في ظل صدمة ثقافية وميدانية. وستكون لنا وقفة مع صور أخرى من الخلل في العلاقة بين الدين والسياسة، وعن صور المواجهة التي نهض بها أئمة أهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» وأنصارهم في هذا الإطار.

الدين والسياسة

القسم الثالث

١٧ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ
٢٧ إبريل ٢٠١٣ مـ

استعرضت في الأسبوعين الماضيين بعض صور الخلل في العلاقة بين الدين والسياسة، فكان الحديث عن معركة التأويل، وعن التلبس بالدين، والدس والتحريف في النصوص، كل ذلك من أجل أهداف سياسية معينة.

أمـا الصورة الرابعة للخلل بينهما فتتـمثل في التظاهـر بالغيرة على الدين أو المذهب بإثارة قضية دينية أو مذهبية، بهدف إلهاء الناس عن الفساد السياسـي والاقتصادي والإداري القائم من جهة، وإضفاء حالة من الشـرعية على الجهة السياسـية المعينـة (الحاكم أو الحـزب .. إلخ) بكونها المدافعة عن الدين أو المذهب، ومنعاً عـن الخروج أو التـمرد عليهـا من جهة أخرى. مثـال ذلك قصة فتنة خلق القرآن التي حدثت في العهد العباسي، فقُتِل فيها وسُـجن وعُذّب مَن خالف متبنّى السـلطة السياسـية، كل ذلك بادعاء السلطة غيرتها على العقيـدة الصحيحة وعلى كتاب الله، بينـما الهدف الحقيقي كان سياسيا.

وذات الشـئ تـمثل في الصراع العثـماني الصفوي الممتد عبر قرون، وكل طرف يدعي الحمية على مذهبه، بينـما كان الأمر في كثير من الأحايين مجرد أهداف سياسية وتوسعية وتنافسـية بحتة، وتـم توظيف عنوان الحمية والغيرة والانتصار للمذهب كوسـيلة لتهييج الشـارع هنا أو هناك، ولحشـد المناصرين تحت شعار طائفي.

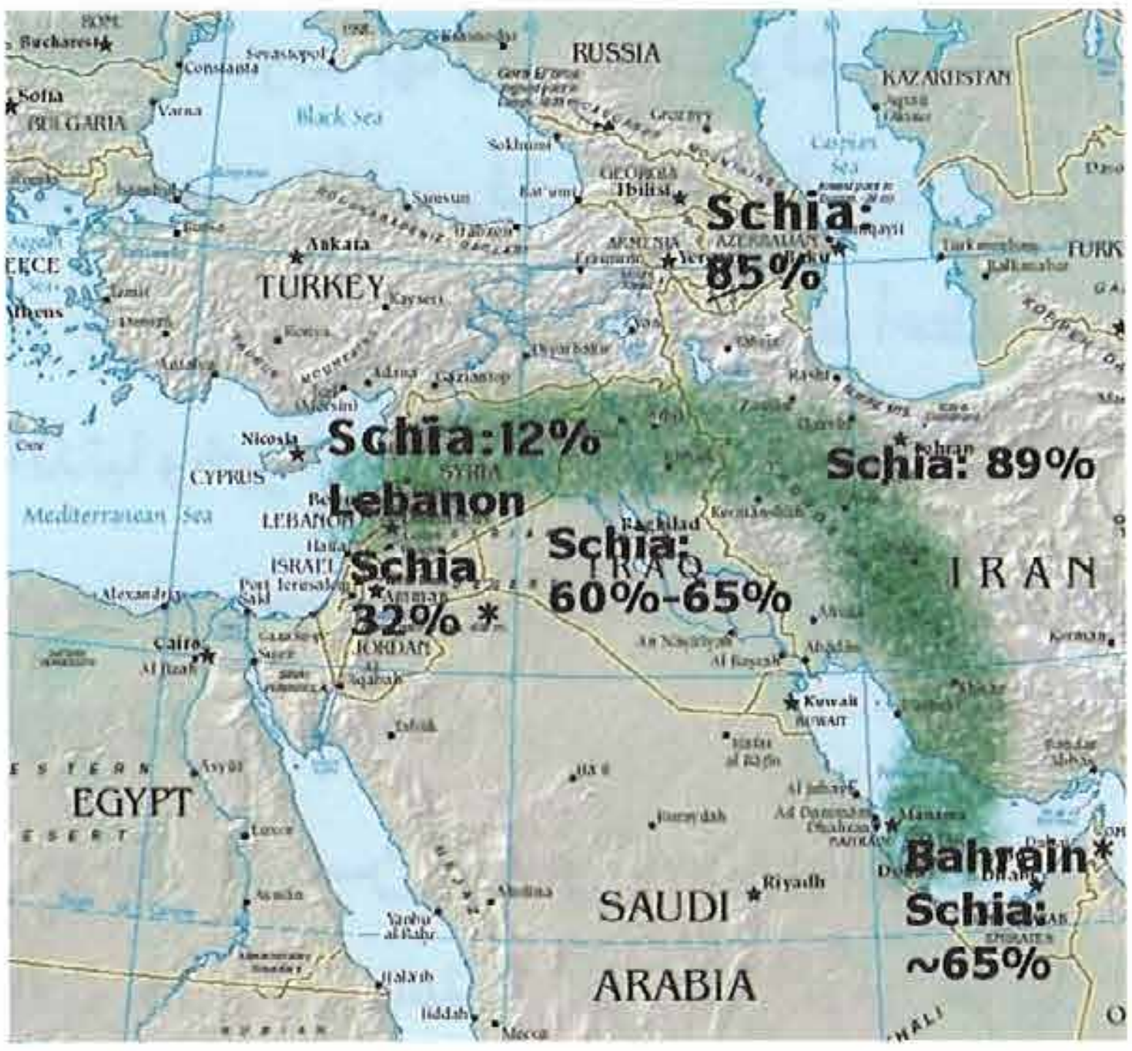

استعرضت في الأسبوعين الماضيين بعض صور الخلل في العلاقة بين الدين والسياسة، فكان الحديث عن معركة التأويل، وعن التلبس بالدين، والدس والتحريف في النصوص، كل ذلك من أجل أهداف سياسية معينة.

أمـا الصورة الرابعة للخلل بينهما فتتـمثل

• الهلال الشيعي:

ونلاحظ اليوم كيف تعمل بعض الحكومات والأحزاب على استغلال عناوين معينة دينية أو مذهبية وتثيرها لنفس الأهداف السـابقة، وهـي أبعد ما تكون عـن الغيرة على الدين

أو المذهب، فإثارة عنوان الهلال الشيعي أو المد الشيعي من قبل البعض إنما انطلق في ظاهره من الحمية على أهل السنة والتخويف من انتشار التشيع، وهو في الواقع جاء كردة فعل على التلاحم الشعبي السني الشيعي أبان العدوان الصهيوني على لبنان ومن ثم على غزة. وخدم في الأساس ذلك العدو والدوائر الاستكبارية التي تعمل على تفكيك كل مواقع وأسباب القوة في المنطقة.

• ردود أفعال متباينة:

وهكذا تعمل بعض الأحزاب الإسلامية على استغلال أحداث معينة وفق أجندتها، وتحرك الجماهير، وفي المقابل نجد منها سكوتاً مطبقاً في حالات مشابهة، كما في بعض حالات الإساءة للنبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» أو القرآن، الأمر الذي يثير علامة استفهام كبرى عن مصداقية تلك الاحتجاجات وصدق نواياها ومنطلقاتها. وننتقل إلى النقطة الأخرى، وهي كيفية مواجهة الأئمة «عَلَيْهِم السَّلامُ» وأنصارهم لصور الخلل في العلاقة بين الدين والسياسة.

• المواجهة الفكرية:

وذلك ببيان حقيقة مفهوم السياسة وصفات الحاكم وفق المنظور الإسلامي، ومعنى القضاء والقدر والجبر والتفويض وغيرها من القضايا ذات البعد الديني والتي استغلت سياسياً، علاوة على التحذير من التيارات الفكرية المنحرفة التي تؤسس وتمد هذا الوضع الخاطئ بالشرعية. وقد بدأ ذلك في خطب وكذلك رسائل أمير المؤمنين علي للأشتر ولأهل مصر ولمحمد بن أبي بكر وغيرها. واستمر على يد بقية الأئمة الذين دفعوا أحيانا ثمن مواجهاتهم في أكثر من موقف بالتضييق والسجن والقتل. وعلى نهجهم سار أنصارهم، كأبي ذر الغفاري الذي برز لتخرصات كعب الأحبار في أكثر من موقع حين كان يوظف المفاهيم الدينية لمصلحة سياسية باطلة أو لتبرير وضع فاسد، ففي نص أنه: (شال أبوذر العصا فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الألم، وقال: يا ابن اليهودي! تقول لرجل مات وترك هذا المال إن الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة وتقطع على الله بذلك، وأنا سمعت رسول الله يقول: ما يسرني أن أموت وأدع ما يزن قيراطاً؟)..

وكان الثمن الذي دفعه أبو ذر لتلك المواقف الشجاعة أن نُفي حتى توفي غريباً.

• كشف النوايا الحقيقية:

وراء بعض الصور التي عرضناها، ففي الخبر أنه: (أرسل أبو جعفر المنصور للصادق: لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟) رغبة منه في التظاهر بالتقرب إلى العلماء وأهل التقوى، لإضفاء مزيد من الشرعية على

حكمه، ولربـما لاستغلال ذلك في الحصول على فتاوى قد تسـعفه فـي بعض المواقف (فقال «عَلَيْهِ السَّلامُ»: ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنّيك عليها، ولا تعدها نقمة فنعزيك عليها، فلم نغشاك؟).

• المواجهة العسكرية:

كما حدث في زمن علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» في الصراع مع خصومه، مع سـعي الإمام قـدر الإمكان لتجنـب المواجهة العسـكرية والدفع نحو إصلاح الأمور بالطريقة السلمية، حتى اتهموه بالجبـن في أكثر من موقع فقال: (أيها الناس إني قـد راقبتُ هؤلاء القوم كـي يرعووا أو يرجعوا ووبختهم بنكثهـم وعرفتهم بغيَهم فلم يستجيبوا، وقد بعثوا إلي أن أبرز للطعان واصبـر للجلاد، إنـما تُمنيك نفسُـك أماني الباطل وتعدُك الغـرور. ألا هبلتهم الهبول، لقد كنـت وما أُهـدّد بالحـرب ولا أُرهَب بالضـرب، ولقد أنصف القـارة من راماها) كنايـة عن أن الحرب هـو ميدانه (فليُرعِدوا وليُبرقوا فقـد رأوني قديـماً، وعرفوا نكايتي، فقد رأوني أنا أبوالحسـن الـذي فللتُ حدّ المشركين وفرّقتُ جماعتهم، وبذلك القلب ألقـى عدوي اليوم وإني لعلى ما وعدني ربي من النصر والتأييد وعلى يقين من أمري وفي غير شبهة من ديني).

• الثورة الحسينية:

وهكذا تكررت المواجهة العسـكرية على يد سيد الشهداء الحسـين بن علي «عَلَيْهِما السَّلامُ» بعد ذلك، وعمل أهل البيت على التأكيد على قضية الحسـين وإبقائها حيـة بصورة دائمة لرمزيتها في المواجهة مع الباطل السياسـي، من خلال التأكيـد على الزيارة الحسـينية، وعلى إحياء ذكرى عاشوراء، وتشجيع الشعر الحسيني وغير ذلك.

إن السياسة كما نفهمها من مدرسة الإسلام إنـما تعني تدبير شـؤون الناس حتى يـمكن أن يحصل المواطن على حياة عزيزة كريـمة عادلة مسـتقرة يعيش فيها إنسانيته، ويتعامل مـن خلال ذلك مـع العالم تحت الشـعار القرآني: ﴿يَـا أَيهَا النَّاسُ إِنَّـا خَلَقنَاكُم مِن ذَكرَ وأُنثى وَجَعَلنَاكم شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُـمْ عِنـدَ اللهِ أَتْقَاكُـمْ إِنَّ اللهَ عَلِيـمٌ خَبِير﴾[الحجرات:١٣].. وأن الدين هو فريضة عدل، وأن السياسـة بـمعناها الإنسـاني هو دين، وأن الدين بـمعناه الإنساني الاجتـماعي هو سياسـة: ﴿لَقَدْ أَرْسَـلْنَا رُسُـلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْط﴾[الحديد:٢٥].. ومن هنا كان الشعر والمحور الذي تدور حولـه حركة إمام آخر الزمـان هـو: (ليـملأ الأرض قسـطاً وعدلاً بعدما ملأت ظلماً وجوراً).

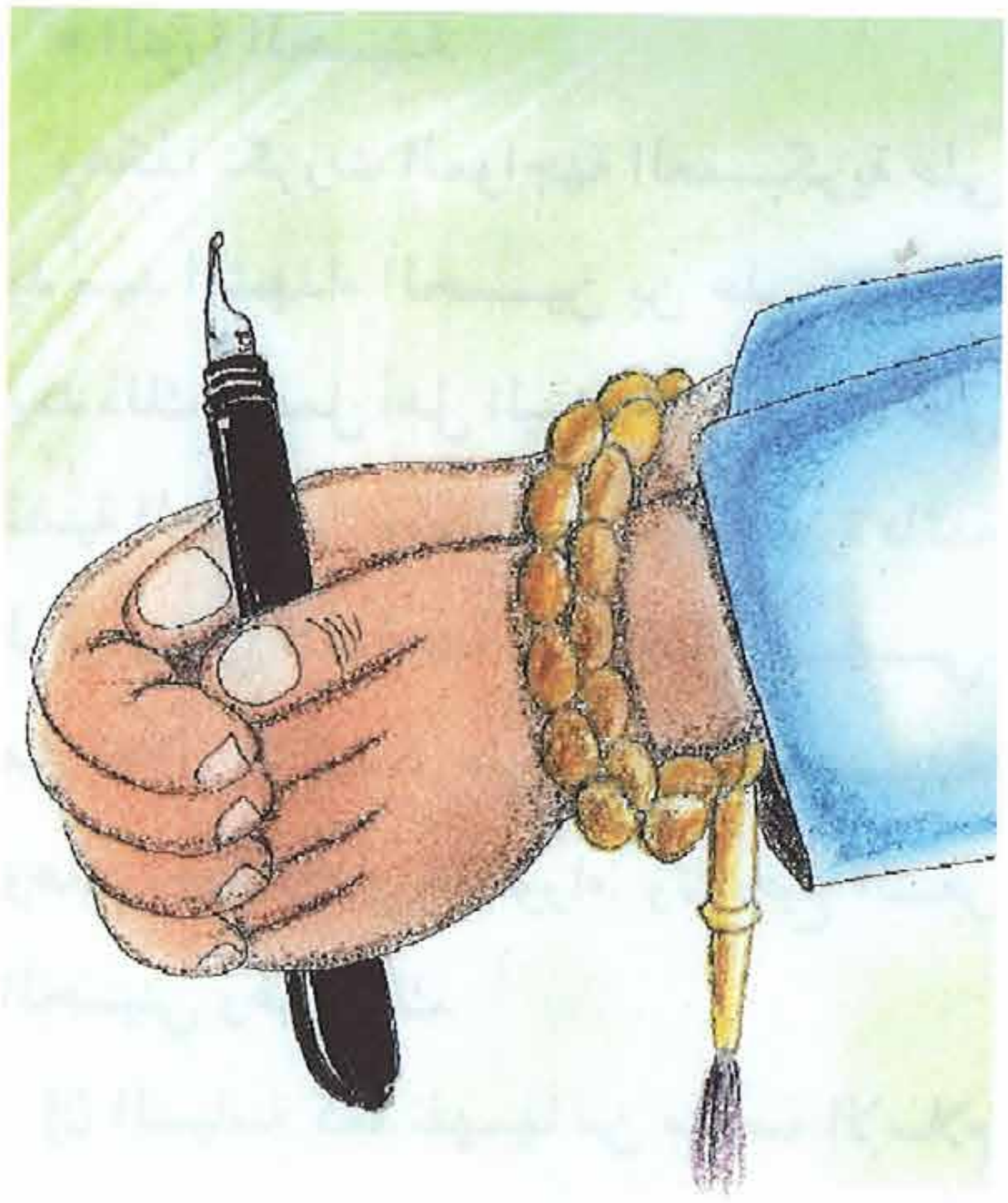

قانون الإعلام الموحد

٢٤ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ

٤ مايو ٢٠١٣ مـ

قال «عَزَّ وَجَلَّ» : ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنّ السّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[الإسراء:٣٦].

تتحدث الآية في جانب منها عن مسؤولية الإنسان أمام الله «عَزَّ وَجَلَّ» عن وسائل المعرفة الحسية والعقليّة، فيُسأل عما سمع، وما النتائج التي رتّبها على ذلك، ويُسأل عما رأى، والنتائج المترتبة على ذلك، ويُسأل عن العقل وعما وعاه من خلال الحواس والتفكير، أو عن تكاسله عن إعمال دوره.

• الحرية المسؤولة:

وهذا يؤكد الفكرة التي تقول أن الإنسان ليس حراً بصورة مطلقة في فعل ما شاء، بل هو حر في إطار القانون الإلهي الذي ينظِّم مسألة الواجب والمحرّم.. ومن ضمن ذلك حرمة الإضرار بالنفس وبالآخرين وبالبيئة المحيطة إلخ. وتحت هذا الإطار القانوني الإلهي أيضاً يأتي عنوان ضرورة التقيد بالقوانين التي تنظّم الحياة في المجتمعات وفيما بينها وإن كانت وضعية، ما دامت تصب في الصالح العام.. فالتقيد بقوانين البلدية والمرور والصحة وغير ذلك أمر ضروري من وجهة نظر شرعية، ويندرج شرعاً تحت عنوان: (حفظ النظام العام).. ومن هنا كان اعتماد الدساتير في الدول أمراً مهماً جداً، للحاكم والمواطن في الوقت ذاته.

• استغلال سيئ:

ولكن المشكلة تكمن في استغلال بعض السلطات لهذه النقطة لتضييق الحريات، بذريعة مواجهة خطر هنا أو هناك، بل تصل الأمور أحياناً إلى مستوى من التقنين وكأن المشرِّع لا يعيش في هذا الزمن ولا يدرك خصوصياته. ومشروع قانون الإعلام الموحّد الذي قُدِّم من قبل وزارة الإعلام، وأثار جدلاً واسعاً خلال الأسابيع الماضية، وتم سحبه مؤخراً، يعاني من هذه المشكلة بكل وضوح. صحيح أنه يبدأ بعبارات جميلة كما في المادة الثانية: (حرية الرأي مكفولة، ولكل إنسان حق

التعبير عن رأيه ونشـــره بالقول أو الكتابة أو غيرهما، وذلك وفقاً للشـــروط والأوضاع التي يبينها هذا القانون) ولكن مشـــكلته الأساسية في هذه الشـــروط والأوضاع، حتـــى أن إدارة الفتـــوى والتشـــريع اعتبرت أن فـــي مواده ما يتعارض مع الدستور الكويتي. بل احتوى على ما يتعارض مع مواثيق دولية وأقليـمية وقعت عليها الكويت فيـما يتعلق بحقوق الإنســـان وحرية الصحافة وغير ذلك، وهو تكرار لذات الخلل في قوانين الإعلام السابقة.

• شبكات التواصل الاجتـماعي:

ومن الملاحظـــات المهمة على مشـــروع القانون هـــذا أنه أدرَج ولأول مرة شـــبكات التواصل الاجتـماعي في مواده بـما يشـــمل: (المنتديـــات والمدونات وغـــرف المحادثة وغيرها من المواقع الشـــخصية) مع شئ من الغموض، إذ لم يذكر أية تفاصيل تخص هذا البند في الوقت الذي أســـهب في الصحافة والفضائيـــات وغيرهمـــا. وعلـــى الرغم من ســـحب المشروع، إلا أن الحديث عن تقنين هذا البند لا زال متداولاً. وإدخال هذه الأمور ضمن الحالة الرقابية يعطي تصوراً بأنه يراد للكويت أن تتحول شـــيئاً فشيئاً إلى ما يشبه وضع بعـــض الدول البوليســـية التي تراقب وتحاسب كل اثنين يتحدثان؟ وهل بالإمكان أصلاً مراقبة ومحاســـبة كل هذا الكم الهائل من التواصل في عالم الإنترنت؟ وهل يـمكن ضمان عدم اختراق الحســـابات الشـــخصية للبعـــض والدس فيها، ليحاسَـــب البرئ بعد ذلـــك على أمر لم يرتكبه.. واختراق المواقع الإســـرائيلية التابعة لأهم وأخطر الوزارات والكيانات الاقتصادية الإســـرئيلية لم يـمضِ عليه أكثر من شهر.

وهل يـمكن أن ننشئ مجتـمعاً سوياً أخلاقياً وســـلوكياً وسياسياً من خلال هذا التحول في الدور الرقابي والعقابي؟ ولنا في ســـوء حال بعـــض المجتـمعات التي تعيـــش مثل هذا الكبت والتقييد خير عبرة، سواء على الصعيد الأخلاقي أو الاجتـماعي أو السياسي.

ومـــن الملاحظـــات المتكـــررة فـــي هذا المجال هـــو المادة التي تتحدث عن ضرورة استصدار ترخيص قبل طباعة أي مطبوع.. ولا بأس بذلك، ولكن واقـــع الحال يحكي عن أن الجهة الرقابية التـــي تراجع المطبوعات تعاني في كثيـــر من الأحايين من عدم الحياد أو ضيـــق الأفق، ما يجعلهـــا تـمارس دورها بـمزاجية أحياناً، وبتعصب أحياناً أخرى.

خاصة مـــع ملاحظة المادة التي تنص على: (حظر طبع أو نشـــر أو بـــث أو إعادة بث أو عرض ما من شـــأنه: المساس بالذات الإلهية أو الملائكـــة أو القـــرآن الكريـم أو الأنبياء والرســـل «عَلَيْهِم السَّـلامُ» أو الصحابـــة الأخيار أو

زوجات النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» أو آل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» المعاصرين للرسول «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» بالتعرض أو الطعن أو السخرية أو النقد أو التجريح).

فالبحث التاريخي أحياناً يصنّف بأنه طعن ومساس بالشخصية، بل حتى مجرد نقل الخبر يعتبر كذلك.. ولو أريد تطبيق هذه المادة لكانت كل الموسوعات الحديثية والتاريخية وكتب التفسير والأدب ممنوعة لتضمنها صوراً واضحة من المساس بالشخصيات بالصورة المذكورة.. فهل يمكن الالتزام بذلك؟ ثم لا يمكن فهم معنى المنع مع توفر النسخ الإلكترونية من هذه الكتب على الإنترنت؟ فهل سيتم حجب هذه المواقع أيضاً وهي بالآلاف؟ وهل سيمنعون المحاضرات المبثوثة على اليوتيوب وهي تتضمن ما هو أسوأ بمراتب مما تحتويه بعض الكتب وفق التصنيف السابق؟ ثم هل يجهلون طرق كسر الحظر؟

• تعديل المناهج:

وعلى ذكر الآل والأصحاب، هناك ضرورة للتعليق على ما تناقلته الصحف عن إدخال موضوع (الآل والأصحاب) في مناهج التربية الإسلامية.. ولا تحفّظ على أصل الموضوع، ولكننا نتحفّظ على المضمون الذي تعوّدنا أن يُطرح بصورة غير مباشرة فقط لتخطئة المسلمين الشيعة في عقائدهم وقراءتهم التاريخية للأحداث لا أكثر.. الأمر الذي يُفقد هذا التعديل قيمته وأهميته.

علينا أن نتحمل مسؤولية الصورة الجميلة التي ارتسمت عن الكويت في أذهان العالم.. الكويت ذلك البلد الذي يتمتع بسقف عال من الحرية والتجربة الصحفية والإعلامية الرائدة.. الكويت التي لا تستطيع أن تفصلها عن المشاركة الشعبية البرلمانية التي تسمح بالرقابة والتشريع.. الكويت التي عُرفت على مدى عقود بدورها الريادي الوطني والعالمي في خدمة التنمية الإنسانية.. الكويت التي تمتعت بدور ثقافي كبير ومتميز وخدمة واضحة للتنمية الثقافية العربية.. الكويت التي نعمت بالدستور منذ أكثر من نصف قرن، في حالة فريدة ومتميزة في المنطقة.. وإن على المشرِّعين أن يفكروا ألف مرة ومرة قبل أن يَشرَعوا في تشويه ومحو تلك الصورة البرّاقة في لحظة عنفوان وإحساس بالقوة، أو في لحظة انفعال تحتاج إلى الكثير من الحكمة كي تضبط لها توازن قراراتهم.. ولنعي أن استصدار مثل هذه القوانين وتنفيذ عقوباتها قد يكون الطريق الأسهل وفق ما يتصور البعض لتحقيق حالة من الضبط الأمني والسياسي ضمن مقاييس معينة، ولكنها تحمل في طياتها - وبكل وضوح - نُذُرَ الشرّ، وشررَ الفتنة.

تسبيح الزهراء عليها السلام



١ رجب ١٤٣٤ هـ - ١١ مايو ٢٠١٣ م

روى الشيخ الصدوق في علل الشرائع عن علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» أنه قال لرجل من بني سعد: (ألا أحدِّثُك عني وعن فاطمة؟) وكأنه «عَلَيْهِ السَّلامُ» تذكر في تلك اللحظات أيام الزهراء في حالة من الاشتياق غزت قلبه (إنها كانت عندي وكانت من أحب أهله إليه، وإنها استقت بالقربة حتى أثَّر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مَجِلت يداها) اخشوشنت من العمل في الأشياء الخشنة (وكسَحت البيت حتى اغبرَّت ثيابُها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دَكِنَت ثيابُها، فأصابها من ذلك ضرر شديد، فقلت لها: لو أتيتِ أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرَّ ما أنتِ فيه من هذا العمل. فأتت النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» فوجدت عنده حُدّاثاً) قوماً يتحدثون (فاستحت فانصرفت، قال: فعلم النبي أنها جاءت لحاجة، قال: فغدا علينا ونحن في لفاعنا، فقال: السلام عليكم. فسكتنا واستحيينا لمكاننا) ولابد أن السكوت بمعنى عدم الرد بصوت مسموع، لا بمعنى عدم الرد مطلقاً لأن رد السلام واجب أو أن رد سلام الإذن غير واجب كما ذكر المجلسي (ثم قال: السلام عليكم. فسكتنا، ثم قال: السلام عليكم. فخشينا إن لم نرد

عليه أن ينصرف، وقد كان يفعل ذلك، يسلم ثلاثاً، فإن أذِن له وإلا انصرف. فقلت: وعليك السلام يا رسول الله، ادخل. فلم يَعْدُ أن جلسَ عند رؤوسنا، فقال: يا فاطمة ما كانت حاجتك أمس عند محمد؟ قال: فخشيت إن لم تجبه أن يقوم قال: فأخرجتُ رأسي فقلت: أنا والله أخبرك يا رسول الله، إنها استقت بالقربة حتى أثَّر في صدرها، وجرت بالرحا حتى مجِلت يداها، وكسحت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكِنت ثيابُها فقلت لها: لو أتيت أباك فسألتيه خادماً يكفيك حرَّ ما أنت فيه من هذا العمل. قال «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ»: أفلا أعلمكما ما هو خير لكما من الخادم؟ إذا أخذتما منامكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبّرا أربعاً وثلاثين، قال: فأخرجت «عَلَيْها السَّلامُ» رأسها فقالت: رضيت عن الله ورسوله، رضيت عن الله ورسوله، رضيت عن الله ورسوله).

وحفظ الزوجان وصية النبي، ففي صحيح مسلم: (قال علي: ما تركته منذ سمعتُه من النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ». قيل له: ولا ليلة صفين؟ قال: ولا ليلة صفين).. ولعل المقصود ليلة الهرير التي كانت أشد ليالي صفين قتالاً وقتلاً وأثراً. وتوارث أهل البيت تلك الوصية علماً وعملاً، فعن الصادق «عَلَيْهِ السَّلامُ» أنه قال: (يا أبا هارون، إنا نأمر صبياننا بتسبيح فاطمة كما نأمرهم بالصلاة، فالزمه، فإنه لم يلزمه عبدٌ فشقي).

• عاطفة النبي:

وبين يدي حديث عن الباقر «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (ما عُبد الله بشيء من التحميد أفضل من تسبيح فاطمة «عَلَيْها السَّلامُ» ولو كان شيء أفضل منه لنحله رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» فاطمة «عَلَيْها السَّلامُ»). وهذا يجرنا إلى نقطة مهمة ونحن نتناول هذه المسألة، فلا شك أن النبي كان يملك عاطفة قوية تجلّت في مواقف عديدة عند تعامله مع المستضعفين والأطفال والعبيد وغير ذلك، وتجلّت هذه العاطفة في تعامله مع أبنائه وأبنائهم بصورة أكبر.. وهذا شيء طبيعي. ولكن من المهم أن ندرك أن هذه العاطفة الجياشة ما كانت لتحرف النبي عن الاستقامة التي أُمِر بها حيث خوطب من السماء: ﴿فَاستَقِم كَما أمرت﴾[هود:١١٢]، على الرغم من أن هذه العاطفة من القوة بحيث تجر الأب إلى التخلي عن مبادئه طلباً لرضا أبنائه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخونُوا أَمَاناتِكم وَأنتُم تَعلَمُونَ، واعْلمُوا أنَّما أمْوالُكم وَأولادُكم فِتنةٌ وَأنَّ اللهَ عِندَهُ أجْرٌ عَظيمٌ﴾[الأنفال:٢٧-٢٨].. أي أن هذه المحبة قد تصل إلى مرتبة توقع الإنسان في خيانة ما يؤمن به، فتهلكه وهو يحسب أنه يحسن صنعاً! بالطبع فإن طلب الخادم من النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» لم يكن ليمثل نوعاً

من الخيانة في ما لو استجاب النبي للزهراء، ولكن المسألة هي في عدم نزوله عند ضغط العاطفة حين صار بين خيارين، لأن الله تعالى يقول: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[الكهف:٤٦].

فاختار لها الأفضل، فنالت تلك التسبيحة المباركة التي كانت وما زالت وستبقى تلهج بها الألسن عبر الزمان لتخلّد ذكرى الزهراء «عَلَيْها السَّلامُ» في تجلياتها الروحية عبر الزمان. وفي الخبر عن الصادق: (من سبّح تسبيح فاطمة قبل أن يُثني رجلَه من صلاة الفريضة، غفر الله له. ويبدأ بالتكبير). وإذا كان النبي قد تخلى عن الخيار الأول ـ لأنه لم يكن الأفضل ـ مع كونه مشروعاً، فكيف بالذين يُرضون أبناءهم من خلال السبل غير المشروعة؟ أيمكن أن يكونوا صادقين في ولائهم للنبي وآله؟

• البناء الروحي للأبناء:

وهناك نقطة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها، وهي أن على أولياء الأمور أن يهتموا بالبناء الروحي لأبنائهم كما يهتمون بتلبية حاجاتهم المادية، وأحياناً بالمستوى الذي يدمِّر الأبناء دلالاً بدلاً من أن ينفعهم، فيجعلهم اتكاليين، ضعفاء أمام متغيرات الحياة، وقد يبلغون من خلال ذلك مستوى سيء من العقوق للوالدين، كما يولون الماديات أهمية قصوى في الحياة، ويتصاعد حب الذات عندهم إلى أقصى مستوياته، بحيث يظن أحدهم أنه هو محور الوجود، وأن على الجميع أن يكونوا في خدمته! وأي دمار للشخصية بعد هذا؟

إن التربية التي تولي الجانب المعنوي عناية شديدة هي التي تعين الفتاة في حياتها الزوجية المستقبلية، إذ تكون راضية قنوعة، لا تعيش جشع المادة، ولا تستغرق في عالم الكماليات، ولا تستهويها المقارنات مع أقرانها، ولا تُرهق زوجها بطلباتها، فضلاً عن أن تدفعه للطرق غير المشروعة للارتقاء في المستوى المادي.. لأن ذلك كله من الأسباب الخطيرة التي تدمِّر بيت الزوجية، وتجلب الشر إليه، وقد قال الله «عَزَّ وَجَلَّ» : ﴿وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[طه:١٣١]. لقد تخلت الزهراء «عَلَيْها السَّلامُ» عن سوارها والستر المضروب على باب بيتها حين علمت أن ذلك يُحزِن أباها كما في الخبر الذي رواه المسلمون في كتبهم، فقال كلمته الخالدة وهو في قمة الرضا: (قد فعلت.. فداها أبوها).. ومن هنا كانت السيدة الزهراء هي القدوة في عالم الزوجية، في رضاها ببساطة الحياة، وفي وقوفها مع زوجها في مختلف الظروف العصيبة، وفي نهوضها بمسؤولياتها تجاه أسرتها، فكانت سيدة النساء.

الإمام الباقر.. بين التقية والباطنية



٨ رجب ١٤٣٤ هـ- ١٨ مايو ٢٠١٣ م

أثناء لقائي بأحد الباحثين في الشأن الشيعي لفت نظري إلى مسألة تتعلق بتاريخ الشيعة الإمامية، فنحن نعلم أن لعنوان التقية حضوراً في جملة العناوين التي تُثار حول التشيع بشكل عام، وحول الإمامية بشكل خاص.

• ليست شأناً شيعياً:

وهذا الموضوع يُبحث تارة من حيث رد الشبهات، من خلال طرح تساؤلات من قبيل: هل كانت التقيّة شأناً شيعياً خاصاً، ونابعة من ذاتية فكرية جديدة على التفكير الإسلامي، أو بعيدة عن المنطلقات الإسلامية العامة؟

ليأتي الجواب بعد ذلك مؤكداً أن المسألة خاضعة لظروف معينة ضاغطة بشكل رهيب عاشها آل علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» وأتباعهم، اضطروا معها في بعض الأحايين إلى ممارسة عُقلائية في بعدها الإنساني، وشرعية في بعدها الإسلامي، كما تجلّت في البعدين من خلال ما أقدم عليه عمار ابن ياسر وهو تحت التعذيب في العهد المكي تلقائياً وبإيحاء من عقله، لتنزل الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ، مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النحل:١٠٥-١٠٦].

ويكفيك أن تعود لكتاب (مقاتل الطالبيين) للأصفهاني مثلاً، لتعرف نموذجاً من نماذج إرهاب السلطة الذي مورس تجاه آل علي وشيعتهم، الأمر الذي جعلهم التقية وسيلة من وسائل الدفاع عن النفس، وارتبط بالتالي بهم أكثر من أن يرتبط بسواهم ممن لم يعيشوا مثل هذه الاضطهاد.. ولا أريد الاستغراق أكثر في هذه الشبهة لأنها ليست محور الحديث.

• التقية والباطنية:

الشبهة الثانية التي تثار أيضاً في طول الحديث عن التقية هي تلك المتعلقة بعنوان (الباطنية)، بمعنى أن الإنسان يمتنع عن إظهار معتقداته ومتبنياته الفكرية وحتى

التشـــريعية الخاصة، ويُحتفظ بهـــا دائماً في إطـــار المؤمنين بتلك المبـــادئ. بل قد يتـم اللجـــوء إلى إخفائها عن الأتباع ما لم يبلغوا ســـناً محددة، أو بـــأن يأخذوا على أنفســـهم عهوداً معينة بالامتناع عن الإفصاح عنها ممن لا ينتـمون إلى ذات الدائرة المذهبية.

هذه الصورة قد نجدها عند الإســـماعيليين مثـــلاً، أو عنـــد الدروز، وهم الذين انشـــقوا عن الإســـماعيليين في الأساس، وكذلك عند العلوييـــن.. ولكننـــا لا نجدها عنـــد الإمامية حتـمـــاً، فكتب الإمامية وخطاباتهم وبحوثهم ومساجدهم وحسينياتهم مفتوحة للجميع، ولا يعيشون أية حالة باطنية.

• لماذا الإمامية مستثناة؟

وهذه هي المسألة التي تحتاج إلى تأمل.. فما الذي جعل التشيع الإمامي ينطلق بقوة ووضوح وبعيداً عن الحالة الباطنية طوال التاريخ على الرغم من كل الظـــروف القاهرة التي لازمته، وفرضت اللجوء إلى التقية من حين لآخر؟

فلعل مـــن الطبيعي لمن عـــاش كل تلك الظلامـــات عبـــر التاريخ أن يتحـــول لحالة مشـــابهة لما عليه الدروز أو الإســـماعيليون، علمـــاً بأن ما لاقاه الإمامية في بعض الظروف لا يقل قساوة عما لاقاه أولئك من اضطهاد.

ولعل الجواب قـــد اتضح من خلال البيان الســـابق، إذ أنه على الرغم مـــن كون التقية في تعاليـم أهـــل البيت «عَلَيْهِم السَّـلامُ» حالة مثبتة وحاضـــرة، إلا أنهـــا تبقـــى حالة اســـتثنائية اضطراريـــة، أما الأصل فهـــو الانطلاق بكل قوة ووضوح وشفافية من أجل نشر الجوانب الفكرية والشرعية والمعرفية التي تتبناها هذه المدرسة في ضوء ما ورثته عن رسول الله من قرآن وسنة، وتحقيقاً للوصية النبوية العظيـمة: (إني تارك فيكـــم الثقلين، أحدُهما أكبر من الآخر، كتابَ الله حبل ممدودٌ من السماء إلى الأرض، وعترتي أهلَ بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض).

ولذا نجد الإمام الباقر «عَلَيْهِ السَّـلامُ» ينطلق بكل قوة في إطار نشـــر التعاليـم بشـــفافية عندما ســـنحت له الفرصة فأكمل بذلك ما أسســـه والـــده زين العابدين «عَلَيْهِ السَّـلامُ» في الفترة التي لحقت استشهاد الإمام الحسين «عَلَيْهِ السَّلامُ»، ثـم جاء الابن وهو الإمام الصادق «عَلَيْهِ السَّـلامُ» ليتوّج تلك الجهود بـمدرسته العظيـمة في المدينة المنورة وفي الكوفة، حتى قال الحسن الوشاء عند مروره بـمسجد الكوفة: (أدركت في هذا المسجد تسعمائة شـــيخ كلهم يقول حدثني جعفر ابن محمـــد) وفيهم من يؤمن بالإمامة بالنص كما يقـــول بذلك الشـــيعة الإمامية، وفيهم من يعتقد بغير ذلك، بل وتلقى العلمَ منـــه بعضٌ من أئمـــة المذاهب الإســـلامية المشـــهورة كما لا يخفى. ويأتي هذا في ذات

الوقت الذي نجد فيه الإمـــام الباقر «عَلَيْهِ السَّـلامُ» بنفســـه يؤكد على مســـألة التقية حيث قال: (التقيـــة في كل ضـــرورة، وصاحبُها أعلم بها حين تنزل به). ولعلنـــا نفهم الفقرة الأخيرة من خلال روايـــة عبدالله بن عطاء قال: (قلت لأبـــي جعفر «عَلَيْهِ السَّـلامُ»: رجلان من أهل الكوفة أخذا فقيل لهما ابرءا من أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب «عَلَيْهِ السَّلامُ» فبرئ واحد وأبى الآخر، فخُلّي سبيل الذي برىء وقتل الآخر، فقال: أمّا الذي برئ فرجل فقيـــه في دينه، وأمّا الذي لم يبرأ فرجل تعجّل إلى الجنة). هذه الصورة هي التي التزمها أيضاً علماء مدرســـة أهل البيت ممـــن عاصروهم، وممن جاءوا في عهد الغيبة في العقد الثالث مـــن القرن الهجري الرابع فما بعد وإلى يومنا هذا اتباعاً لتعاليـم القرآن وأسوة بـمنهج النبي وآله «عَلَيْهِم السَّلامُ».

• عامل آخر:

وأتصـــور أن هنـــاك عاملاً آخر فـــي البين، يتـمثـــل في الحجم الكبير من الحث الوارد من قبل أهل البيت بضرورة عدم الانعزال عن المجتـمع الإسلامي الكبير، حتى في الظروف القاهـــرة والتـــي وصلت أحيانـــاً إلى صورة وحشية من الاضطهاد. فعن عبد الله بن زياد: (ســـلمنا على أبي عبد الله «عَلَيْهِ السَّلامُ» بـمنى ثـم قلت: يا بن رسول الله، إنا قوم مجتازون، لسنا نطيق هذا المجلس منك كلما أردناه، فأوصنا. قال: عليكم بتقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الصحبة لمن صحبكم، وإفشاء السلام، وإطعام الطعام، صلّوا في مساجدهم، وعـــودوا مرضاهم، واتّبعوا جنائزهم، فإن أبي حدثني أن شـــيعتنا أهل البيت كانوا خيارَ من كانوا منهـــم، إن كان فقيهٌ كان منهم، وإن كان مـــؤذّن فهو منهم، وإن كان إمامٌ كان منهم، وإن كان صاحبُ أمانة كان منهم، وإن كان صاحبُ وديعة كان منهـــم، وكذلك كونوا. أحبونا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم).

لقد تعلمنا في مدرســـة الإســـلام أن التقية وليدة الظروف، وليســـت حالة أصيلة، وهي تنتهـــي بانتهاء الأوضاع الصعبة التي تفرضها على الناس، ليبدأ الواقع بعد ذلك يتخذ لنفسه مســـاراً متجدداً في أجواء الحريات التي تتيح لكل صاحب فكر من أتباع مدرسة آل البيت أن يطرح فكره بالســـاحة، هذا من جهة، ومن جهة أخـــرى فإن وجود التقية يوجب محاكمة أولئك الذين يفرضون حالة الاضطهاد بأبشع صوره، لا أولئك الذين ينكفئون على أنفسهم هرباً من بشاعة الاضطهاد والقتل والسجون. وتأتي جدلية العلاقة بين التقية وبين مواجهة الباطل في أبعاده الدينية والسياسية ومسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتـمثل قضية مهمة تحتاج إلى معالجة، وهو ما أوكله إلى مناسبة أخرى بإذن الله تعالى.

في المقال الماضي كان الحديث حول علاقة التقية بالباطنية، وإتماماً للموضوع أطرح التساؤل التالي: قد يقول البعض أننا لا نجد حضوراً لنصوص التقية وممارستها في العهد الأول من الخلافة الإسلامية، سواء في الدائرة الموالية لعلي «عَلَيْهِ السَّلامُ» وآله، أو في الدوائر الأخرى التي اختلفت مع الموقف الفكري أو التشريعي أو السياسي للخلافة الحاكمة.. الأمر الذي يشكك في مشروعية ممارسة التقية داخل الدائرة الإسلامية، ويبقيها محصورة في حالات اضطهاد الكافرين للمسلمين، كما هو شأن عمار بن ياسر عنه الذي تناولناه في المقال السابق.

نحو مجتمعات بلا تقية

١٥ رجب ١٤٣٤ هـ - ٢٥ مايو ٢٠١٣ م

والملاحظة صحيحة، ولكن يبدو أن الاستنتاج في غير محله، فمن يقرأ تاريخ تلك الفترة يجد أن المسلمين كانوا يعيشون هامشاً واسعاً من حرية النقد والاختلاف في الرأي، سواء في الدائرة الفكرية أو الشرعية أو السياسية، وهذه الصورة الإيجابية وإن شابتها بعض المواقف السلبية، إلا أنها تبقى في دائرة الاستثناء، الأمر الذي لم يستدعِ حضور التقية ممارسةً ونصاً بصورة واضحة.. بينما بدأ الأمر يأخذ منحنى مختلفاً بتقادم الزمن، حتى غدا الإرهاب الفكري وإرهاب السلطة سمةً واضحةً لتلك الفترة الدامية من تاريخ المسلمين.

والشواهد على ذلك كثيرة، ففي كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البَر الأندلسي عن سعيد بن المسيب قال: (كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن، وقال في المجنونة التي أمر برجمها وفى التي وضعت لستة أشهر فأراد عمر رجمها فقال له علي: إن الله تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا الحديث.. وقال له: إن الله رفع القلم عن المجنون، الحديث.. فكان عمر يقول: لولا علي لهلك عمر.. وروى عبد الرحمن بن أذينة الغنوي عن أبيه أذينة بن مسلمة قال: أتيت عمر بن الخطاب فسألته من أين أعتمر؟ فقال: إيت علياً فسله.

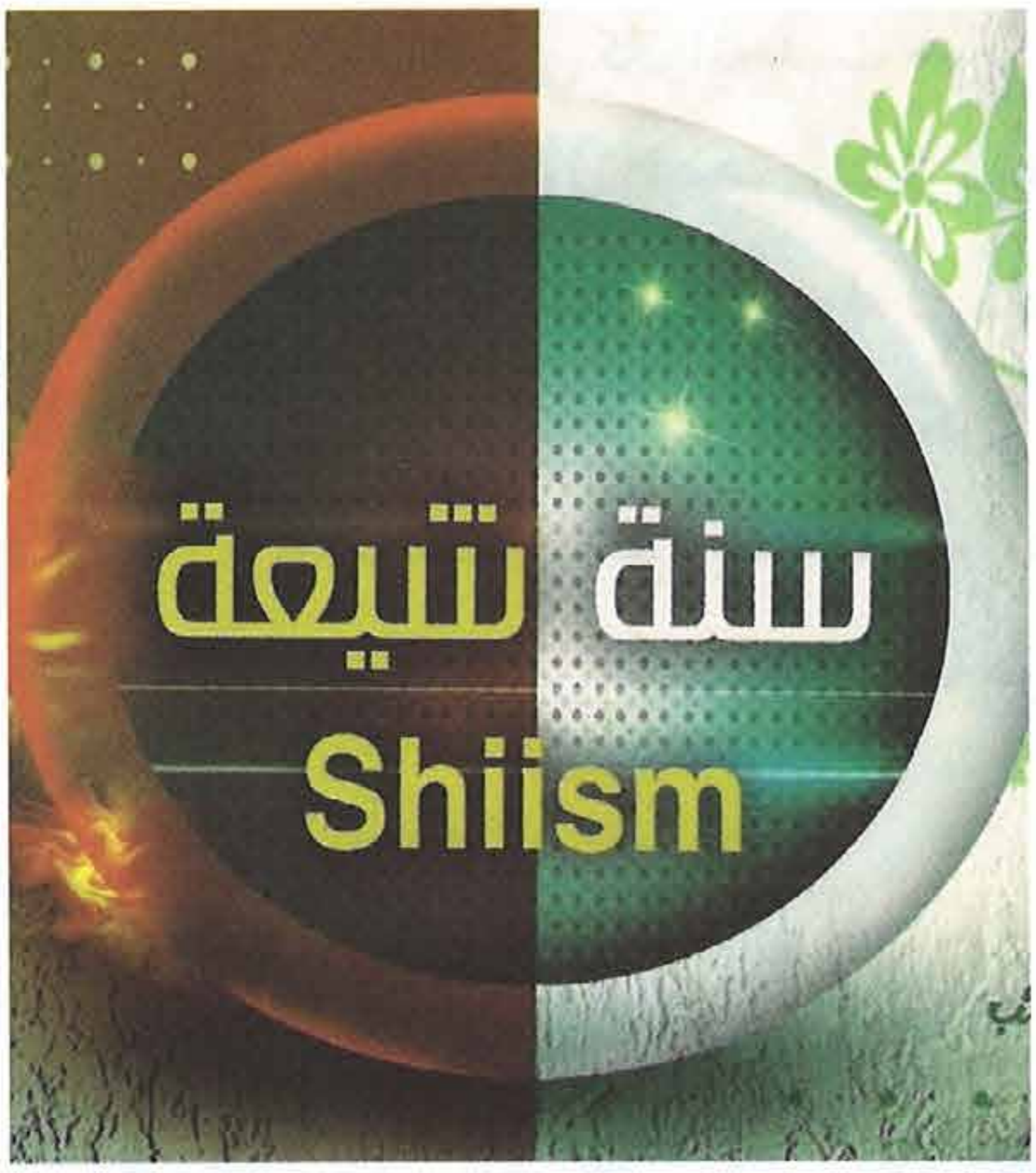

فذكر الحديث، وفيه قال عمر: ما أجد لك إلا ما قال علي. وسـأل شـريح بن هانىء عائشة أم المؤمنين عن المسح على الخفين فقالت إيت عليا فسله.. أما أنه لأعلم الناس بالسنة). وكان هذا عن قناعة تامة عند أصحاب رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» ففي نفس المصدر عن عبد الله ابن عباس قال: (والله لقد أُعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركَكم في العُشر العاشر).

وفي نهج البلاغة أن الخليفة عمر استشار علياً في الخروج لقتال الفرس فقال الإمام: (..فكن قطباً، واستدر الرّحى بالعرب، وأصلِهم دونَك نارَ الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقَضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهمّ إليك مما بين يديك. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكَلَبِهم عليك، وطمعهم فيك). وشبيه لهذا الكلام قاله عندما استشاره في الخروج إلى الروم كما في نهج البلاغة أيضاً.وفي نهج البلاغة أن رجلاً من الخوارج قال عن الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (قاتله الله كافراً ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه، فقال: رويداً، إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب) ولم تتحول المسألة إلى عقوبة سجن أو هدم دار أو منع من عطاء من بيت المال.. وهكذا كان الأمر قبيل وقوع حرب النهروان، وفي أجواء الحرب ومحاولات الإمام «عَلَيْهِ السَّلامُ» الحوارية لإقناع الخوارج بالرجوع عن القتال قال: (إنّ لكم عندنا ثلاثاً ما صحبتمونا: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه، ولا الفيء ما دمتم معنا، ولا نقاتلكم حتى تبدؤونا وننتظر فيكم أمر الله).. فأي محل للتقية في مثل هذه الأجواء؟

• تبدل الحال:

ولكن عندما تبدّل الحال بعد ذلك، اختلفت الظروف تماماً، ففي (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد حول أحداث سنة ٤٠ للهجرة حول صدور أمر كالتالي: (أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته فقامت الخطباء في كل

كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي، فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم.. فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل الا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض.. وولي عبد الملك بن مروان فاشتد على الشيعة، وولى عليهم الحجاج بن يوسف فتقرب إليه أهلُ النسك والصلاح والدين ببغض علي).

• تبعات العقدة:

هذا التاريخ الدامي المعقَّد الذي عاشته الأمة الإسلامية، حتى على مستوى إبداء الرأي الشرعي في مسألةٍ ما على خلاف ما تتبناه السلطة الحاكمة في عهد ما بعد الإمام علي، ورّثت ذهنيةً معقدةً في مواجهة المسائل الخلافية، بحيث بات من الصعب أن يفكّر عالمٌ على مذهب أهل السنة أن يختار رأياً في العقيدة أو في الشريعة أو في التاريخ من بين آراء الشيعة، أو أن يفكر عالم شيعيّ في اختيار رأي في شيء منها يلتقي برأي عالم سني، لأن ذلك يمثل انحرافاً عن خط التسنن أو خط التشيع، بحيث تحوّل هذان العنوانان إلى عنوانين يحبس كل فريق من المسلمين نفسه في دائرة أحدهما، فلا يملك الخروج منه، بحيث لو اطَّلع على نصٍّ يؤكد رأي الفريق الآخر، فإنه يضطر ـ لا شعورياً ـ إلى الطعن في سنده أو في دلالته مهما كانت عناصر الطعن ضعيفةً، أو يلجأ إلى التقية بين جماعته! ولو امتلك الشجاعة، وكسر حاجز التقية، فإنه يواجَه بتهمة الانحراف عن المهذب، ليصبح خارج دائرة الثقة العلمية في النطاق المذهبي.

هذا بالإضافة إلى أن هذا الأمر خلق حالة من الخوف أو التردد في الدخول في جدلٍ فكريّ موضوعي حول شيء من تلك القضايا.. لذا فإن من الضروري أن يسعى أصحاب العقول من العلماء والمفكرين لدراسة التجربة الإسلامية الرائدة لمعرفة كيفية التعاطي مع الواقع المعقد، انطلاقاً من النص، وكيفية ترجمته على أرض الواقع. وباعتقادي أن تجربة الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» في طريقة مواجهته للواقع الذي واجهه بعد وفاة رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» في مسألة الخلافة، وفي الواقع المعقد الذي واجهه مع خصومه أبان حكمه تمثّل تجربة غنية في هذا الإطار.

٢٢ رجب ١٤٣٤ هـ - ١ يونيو ٢٠١٣ م

الحكمة المفقودة

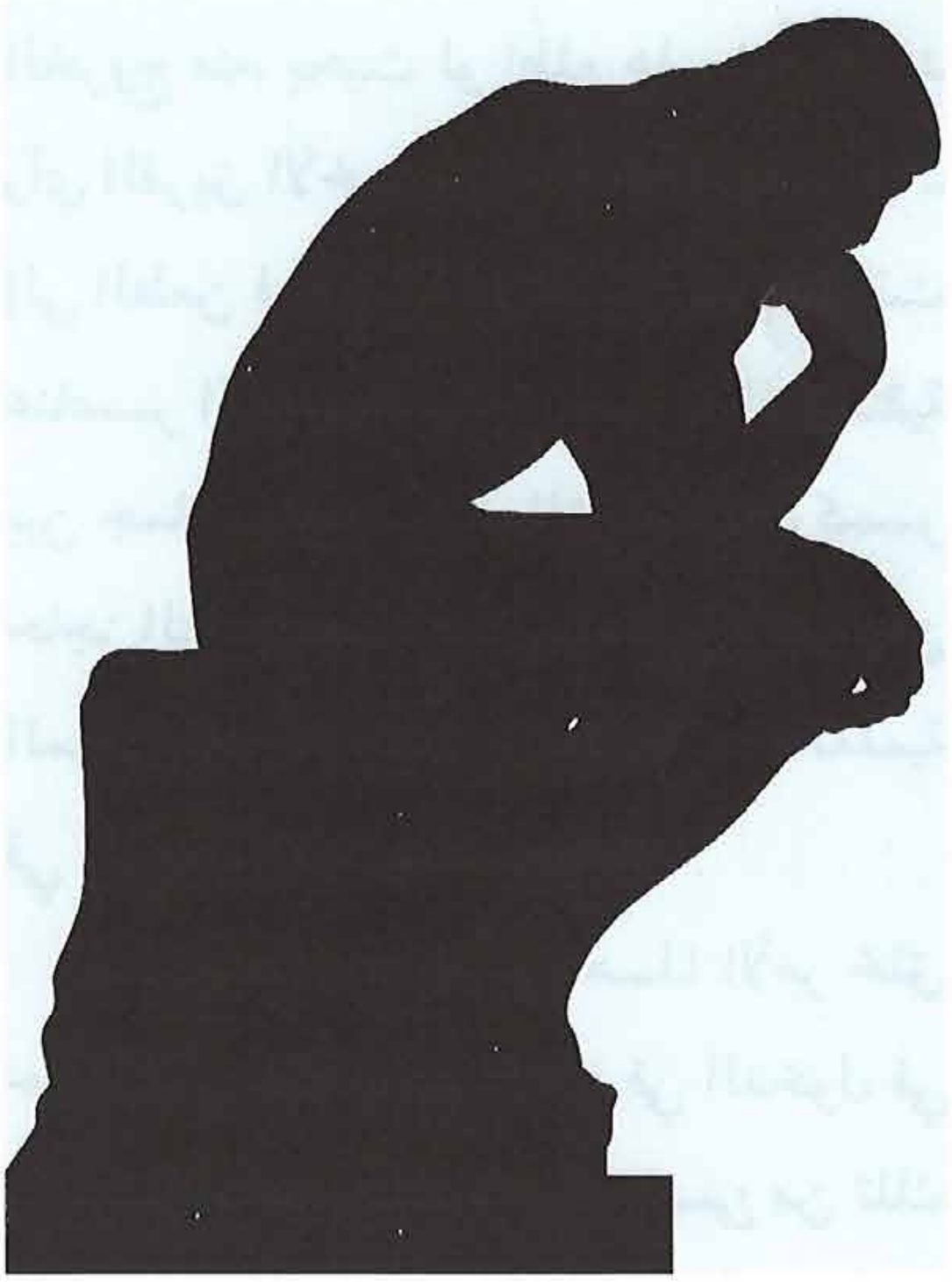

السابع والعشرون من شهر رجب يمثل وفق بعض النصوص ذكرى البعثة النبوية الشريفة، ويمثل وفق نصوص أخرى ذكرى الإسراء والمعراج. ونحن نسترجع هاتين المناسبتين، نتوقف عند مفردة من مفردات الغاية من إرسال الرسل كما أخبر القرآن الكريم.

يقول الباري «عَزَّوَجَلَّ»: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾[آل عمران:٨١]، وقال: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾[البقرة:٢٥١]، وقال في شأن عيسى «عَلَيْهِ السَّلامُ»: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾[آل عمران:٤٨] وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾[آل عمران:١٦٤].

• حكمتان:

وإذا كان اللغويون والمفسرون قد اختلفوا في بيان معنى الحكمة، إلا أنه يمكن القول أن الحكمة تعبيرٌ عن حالة الوعي الكامنة في داخل الإنسان التي تتيح له الرؤية الواضحة للأشياء، فتدفعه إلى الرأي السديد والتصرف السليم. وقد أحسن الزبيدي حين فسّر الحكمة في موسوعته اللغوية (تاج العروس) بأنها: (العلم بحقائق الأشياء والعمل بمقتضاها، ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية).. فهناك حكمة نظرية، تكفل للإنسان الرؤية الواضحة من خلال الفكر المتّزن الهادئ، ولكنها لوحدها لا تكفي، فلا يعتبر الإنسان حكيماً إلا من خلال انعكاس تلك الرؤى بصورة عملية تتمثَّل بالسلوك العقلاني والمستقيم والمتزن على أساس الوضوح في الخطى والأهداف.

هذه الحكمـــة النظرية والعملية تحتاج في تكوينها إلى عدة عوامل مـــن قبيل: البصيرة وحســـن التدبر ـ العلـــم والثقافة ـ الخبرة ـ غلبة العقل على العاطفة ـ التجرد والحيادية ـ الشجاعة والإقدام ـ المصداقية.

• أزمات محلية وإقليـمية:

وإذا كانت الحكمة مطلباً دائماً في الحياة، فإن الحاجة إليها تكون أكثر إلحاحاً في الأزمات، كما هو الحال اليوم على المســـتوى المحلي الإقليـمي معاً..

صحيـح أن الأمـــور فـــي البلـــد باتـــت أهـــدأ بكثيـــر عمـــا كانـــت عليه في أجواء الإنتخابـــات الأخيـــرة وما قبلهـــا، ولكن الجميع يقر أن الأزمة لم تعالج بصورة تامة، وأن مقوّمـــات انتقاض الجرح قائمة بشـــكل كبير.

أضف إلى ذلـــك العامـــل الطائفي الذي تتفاقم حدتـــه في العالم الإســـلامي ليـمثّل عاملاً آخر يقتحم الصورة، ولو بشكل توظيفي غير حقيقي.

• دور عملي لا إنشائي:

وللأســـف أن نفتقد اليوم دور الحكمة في الســـاحتين، وبشكل واضح.. وعندما نتحدث عن الحكماء، فإنـمـــا نتحدث عن أصحاب العقول والشجاعة والإقدام والمصداقية الذين يـمكـــن لهم أن يتدخلوا لنزع فتيل الأزمات، ولحل المشـــكلات ولتعديل الأوضاع التي فقدت اتزانها. كمـــا نفتقد دور الحكماء قبل نشوب الأزمات، حيث لا يتوقع من الحكيـم أن يبقـــى خاملاً حتـــى إذا اشتدت الأزمة تدخـــل، أو أن ينتـظـــر لجوء الآخريـــن إليه كـــي يتحرك، والـــذي قـــد يأتـــي متأخراً وبعد أن تفرط الأمـــور وتتعقد الحلول. ومـــن الخطـــأ أن نتصـــور انحصـــار دور الحكمـــاء في صورة بيانات إنشائية تنصح أو تأمر وتنهى، إذ ستبقى مجـــرد كلمات تنطلق في الهواء دون أن تأتي بنتيجة حقيقية على الأرض، فالمطلوب حركة فاعلة علـــى الأرض، وخارطـــة طريق عملية ومبنية على معطيات الواقع، وقرارات حازمة



تجاه من يسعى لإفساد المشاريع الإصلاحية الصادقة.

• دار التقريب:

ومن هنا ندرك أهمية إقامة مشـــاريع حقيقية ووفق معايير علمية من قبيل دار التقريب بين المذاهب الإســـلامية الذي أسس في منتصف القرن العشرين بجهود مباركة من المرجعيات الدينية الشيعية ومشيخة الأزهر، حيث يـمثّل تأسيساً لمشروع حكيـم يسبق نشوب الأزمات، ويؤسس لأرضية تحصر الأزمات الطائفية أو تؤجلها، أو تكون مركزاً لإطفاء ما ينشب منها بين الحين والآخر.. وإن المرء ليتحسّر حين يشـــهد انهيار مثل هذه المشروع تحت وطأة ضغوط سياســـية أو تدخلات دولية، بل وتشن حملة تسقيط لبعض شخصياتها، وليس وراءها سوى إفشال المشروع.

• مشاريع عديدة:

ولا تخلو أيضاً الساحة السياسية الإقليـمية والمحليـــة من نـماذج عملية على مشـــاريع وتدخلات حكيـمة أوقفـــت حروباً وأزمات عنيفة، أو منعت من نشـــوب فتن مهلكة، كما هـــو الحال في موقـــف المرجعية في العراق في إصدار فتوى بتحريـم الانتقام الفردي من البعثيين بعد سقوط النظام الصدامي، وكإقامة مؤتـمر الطائف الذي أوقف الحرب الأهلية الطاحنة في لبنان.

• البابا فرانسيس:

وقد لفت نظري مقال كتبه الأســـتاذ (فخري شهاب) يتحدث فيه عن شخصية بابا الفاتيكان الجديـــد وزهده وتواضعه، مبيّناً كيف أنه (مد يد الصداقة والتفاهم إلى العالم الإســـلامي حين اســـتدعى طفلا مســـلما وطفلة مسلمة إلى الفاتيكان، وغسل أرجلهما رمزاً لاحترام حضارتهما وديانتهما، وتأكيداً لتعاون العالم المسيحي معنا، ومواســـاتنا في المحن التي نقاســـيها). ثـم يضيف في مقاله: (أفهل في النجـــف والقاهرة وقم مـــن يـملك الحكمة لانتهاز هذه الفرصة لإصلاح ذات البين؟).

• رحابة العطاء:

لقد حفلت حيـــاة النبي الأكرم «صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وَآلِهِ» صـــوراً كثيـــرة للحكمة في بعديهـــا النظري والعملي، ويكفي المرء أن يطالع قصتي صلح الحديبية ثـم فتح مكة ليدرك عمق حكمته في بناء الواقع، وفي نزع فتيل الأزمات، وفي معالجة مواطن الخلل. وإذ أكد القرآن الكريـم على قيـمة الحكمة حيث قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[البقرة:٢٦٩] فإن هذا الخير الكثيـــر لا يخصّ الفرد الحكيـم في ذاته فقط، بل يـمتد ليشمل من حوله، لأن الإنسان الحكيـم لا تهمّه نفسه، بقدر ما يهمه أن يرى الخير يعم الوجود برحابته.

رهان النجوى

٢٩ رجب ١٤٣٤ هـ - ٨ يونيو ٢٠١٣ مـ

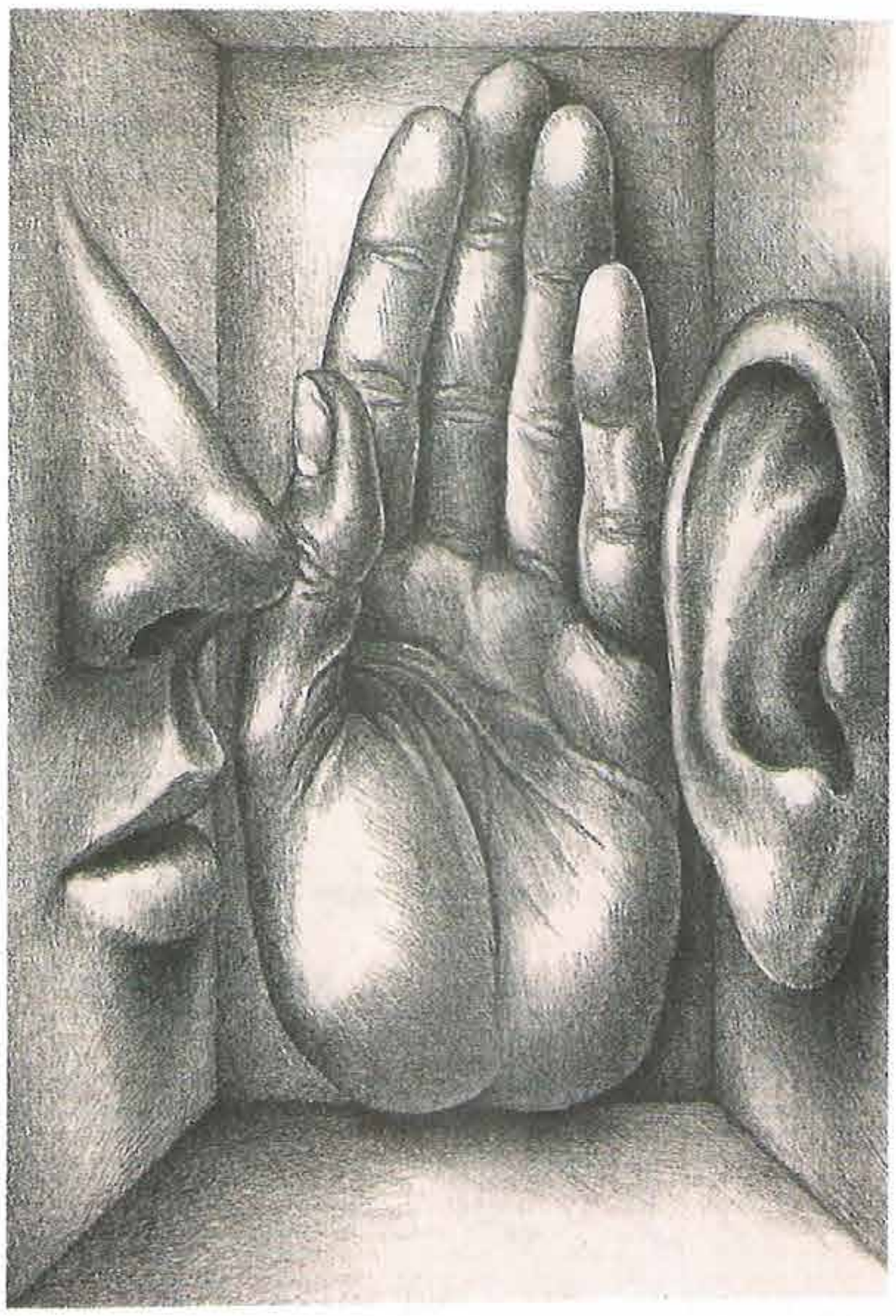

في القرآن الكريم حديث عن النجوى، أي الكلام الذي يدور في السر بين اثنين أو أكثر، من عدة جوانب:

• حادثة السرقة:

قال «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ [النساء:١١٤]، هذا المقطع من الآية القرآنية ارتبط بحادثة سرقة وقعت في المدينة المنورة، واتُّهِم فيها يهودي برئ، وأريد من خلال ذلك أن يُبرَّأ السارق المسلم، وأن تمارس الضغوط وأساليب الخداع في حق النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» من أجل أن ينحرف عن الحق، ويحكم لصالح مرتكب الجريمة، ضد ذلك اليهودي البرئ. وكعادة المجتمعات في تعاطيها مع الأحداث الساخنة، تدور الكلمة بين الناس، وغالباً ما تكون غير مسؤولة، أو موجَّهة بالعواطف المشحونة، أو مضخَّمة بالكثير من الإضافات التي لا ترتكز على الحقيقة، الأمر الذي يُخرج القضية عن سياقها الطبيعي وحجمها الحقيقي، ويفتح المجال للخوض في الكثير من الاستنتاجات الخاطئة، ولربما تكبر القضية البسيطة ككرة الثلج فتتحول إلى أداة تدمّر أسس السلم الأهلي، والأمن الاجتماعي.

ولكل ما سبق، فإن الكلمة تكون بصفة النجوى والحديث السري الخاص، الذي لا يجرؤ الإنسان أن يطلقه صراحة، لعدة اعتبارات، ولذا كانت النجوى في كثير من مواردها مصدر شر، وخلاف ذلك هو الحالة الاستثنائية، كما في حالات التناجي للإصلاح بين المتخاصمين، أو لمساعدة المحتاج بعيداً عن أعين الناس وأمثال ذلك: ﴿إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتَغَآءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[النساء:١١٤].

• الشعور بالرقابة الإلهية:

ولما كان من الصعب مراقبة الأحاديث السرية وتتبعها ومعرفة مصدرها الأساسي، يتشجع الكثيرون للتناجي في الباطل، ويجدون أمامهم فسحة واسعة لذلك، ولذا فقد وجّه القرآن الكريم إلى حقيقة يجب أن لا يغفل عنها الإنسان المسلم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[المجادلة:٧].

ولذا كانت التقوى عند الإنسان صمام أمان، يحفظه من الانزلاق في هاوية الغضب الإلهي، كما كان القرآن واضحاً في بيان الضابطة التي تجعل الأحاديث الخاصة مرضية عند الله ومباركة: ﴿يَا أَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوا بِالإِثْمَ وَالعُدوَانِ وَمَعصِيَتِ الرسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[المجادلة:٩]، وهذا يعني أن خوض الناس في الأحاديث الباطلة بتلك الصورة دليل ضعف التقوى وبشكل خطير!

• لا للاستهانة في الأمر:

ولربما استهان البعض بالأمر، فهو لا يعدو أن يكون نوعاً من اللهو، أو القتل لوقت الفراغ، ولربما استبطأ البعض العقاب الإلهي في مقابل الدور التخريبي الذي يمارسه في حق المجتمع من خلال تلك الأحاديث السرية الشريرة، فجعله يركن إلى تسويلات النفس والشيطان بإباحة هذا التصرف. ولذا جاء الخطاب القرآني محذّراً من مغبة تلك الاستهانة، لأن التعرض بالسوء لكرامة المؤمنين، وأعراض الناس، وأمن المجتمع، من الأمور التي تُدخِل الإنسان في دائرة سلوك المنافقين الذين مارسوا هذا الدور على عهد النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمَ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ والذي كان يشجّعهم على التمادي في ذلك: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا

الله بِمَـا نَقُـولُ﴾ أما العاقبة فهي كما قالت الآية في تتـمتها: ﴿حَسْـبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[المجادلة:٨].

• الدور الإبليسي:

ولا يكتفـي القرآن بإدخال المتناجين بالشـر فـي دائرة المنافقين، بـل بجعلهم في دائرة المطيعين لتسـويلات الشيطان الذي لا يشـعر بالراحة إلا وهو يرى الإنسان يسير في طريق الهلكة، والمجتـمع الإنساني ينساق نحو التدمير الذاتي لكل مقومات الخير في وجوده: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولكن هل يـملك الشيطان أكثر من الوسوسة؟ وبـما أن الإجابة بالنفي، فلذا فإن حيلته محدودة، ويبقى الإنسـان هو صاحب الخيار، وهو المسؤول عن فعله: ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[المجادلة:١٠].



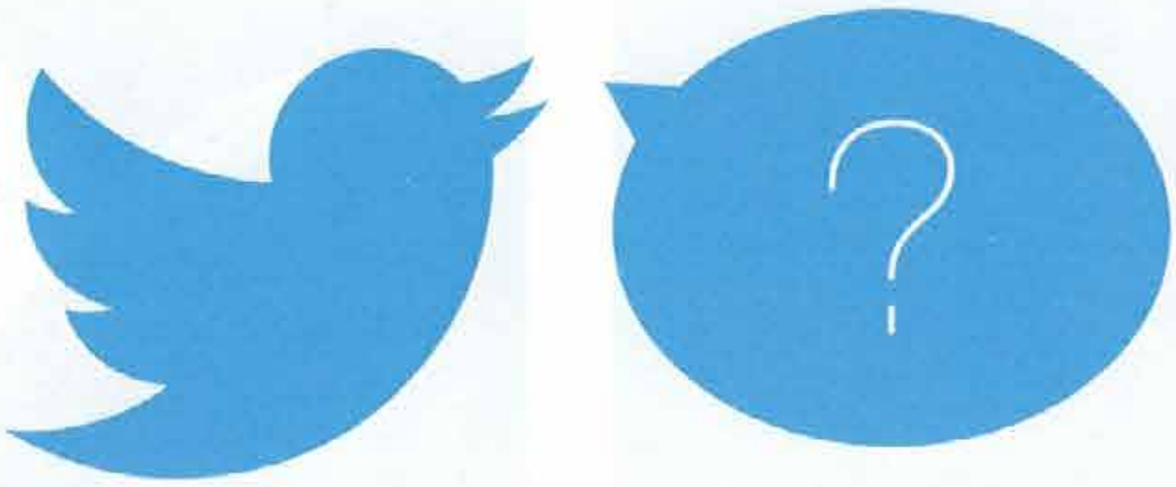

لقد رهن كثيرون حياتهم الدنيا ومصيرهم الأخروي باسـتخدام وسائل التواصل الاجتـماعي الحديثـة في التناجي الآثـم، مسـتهينين بـما يقومون به من دور سـلبي في البعد السياسـي والاجتـماعي والأمني والمعرفي، مسـتغلين ما توفره لهم تلك الوسائل من إمكانية التستر عند الخوض في أعراض الناس، وفضح أسرار البيوت، والتجسس على خصوصيات الآخرين، وبث الإشـاعات والأفلام والصور المثيرة للفتنة، ونفـخ روح العصبية الجاهلية، وتـمكين الطائفية، وتدمير أسس السلم الأهلي والأمن الاجتـماعي لمصالح حزبية، أو انسياقاً وراء عصبية جاهلية، فاختاروا بإرادتهم ـ ولو في حالة غفلة ـ أن يدخلوا في دائرة سلوك المنافقين وفي ولاية الشيطان ليواجهوا أمام الله مصيراً مخيفاً.. إن تغيّر وسـيلة التناجي بالإثـم لا يغيّر من حقيقة أن الإنسان مسؤول أمام الله عن قوله وفعله، ولو تستّر عن الناس، وقد قال «عَزَّ وَجَلَّ» : ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[الإسراء:٣٦].

تكون آيات القرآن سنداً للنبي وللمسلمين في مواجهة المواقف والظروف العصيبة التي يواجهونها في صراعهم الدعوي، وفي كشف المؤامرات التي كانت تُحاك ضدهم، ولمعالجة قضاياهم الاجتماعية والفكرية والسلوكية انطلاقاً من الأحداث ذاتها، لا بصورة تشريعات أو توجيهات مطلقة، الأمر الذي كان يؤدي إلى تخفيف العبء عن رسول الله، ويقوّي موقفه، ويسددّه في إجراءاته، وهو ما قد نفهمه من قوله: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

• وقائع ومعالجات:

ولذا نجد في القرآن الكريم آيات عديدة تتناول وقائع حدثت، وتوضِّح الأسباب أحياناً، كما أنها تضع الحلول، سواء أكان الموضوع في البعد الاجتماعي أو الفكري أو الدعوي أو العسكري أو غير ذلك، ويمكن أن نضرب بعض الأمثلة على ذلك:

البعد الاجتماعي: في معالجة قضية المرأة المشتكية من زوجها: ﴿قَد سَمِعَ اللهُ قَولَ التي تُجادِلُكَ في زَوجها وتَشتَكي إلى اللهِ واللهُ يَسمعُ تحَاورَكُما إنَّ اللهَ سَميعٌ بَصيرٌ﴾[المجادلة:١].

البعد الفكري: في معالجة قضية الأهلة وحقيقة البر، قال «عَزَّ وَجَلَّ» : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾[البقرة:٢١٧].

البعد الدعوي: في معالجة قضية خيار الدعوة بين المستضعفين وسادات قريش: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى، أَن جَاءَهُ الأَعْمَى، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى، أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى، فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى، وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى، وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى، وَهُوَ يَخْشَى، فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[عبس: ١-١٠].

البعد العسكري: في معالجة وضع حرج واجهه المسلمون في إحدى الغزوات: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾[النساء:١٠٢].

• واقعية الخطاب الإسلامي:

ومن هنا نقول بكل وضوح أن الخطاب القرآني ما كان خطاباً نظرياً يحلِّق في عالم الفرضيات والاحتمالات الفلسفية، بل كان خطاباً واقعياً يعالج قضايا الساعة، فيذكر أحياناً الحدث، ومن ثم يبدأ في المعالجة التشريعية والعملية، ويذكر أسس تلك المعالجة بما يفيد في معالجة وقائع قد تحدث في أي زمن لاحق، ويقدِّم الخطاب المتناسب مع ذلك

الحدث، سواء بأسلوب الأمر المولوي، أو النصح، أو تقديم المعلومة، أو التهديد، أو كشف الحقائق، أو غير ذلك.. بل إنه عمد إلى الانطلاق من القصص والأحداث التاريخية لمعالجة قضايا الساعة، وهذا يعني أنه انطلق من التاريخ إلى الحاضر والمستقبل.

• الصحيفة السجادية:

وما نجده من واقعية الخطاب القرآني ومعالجاته، والبعد الإنساني في بعض نصوصه، نجده ماثلاً في واقعية أدعية الإمام علي بن الحسين زين العابدين «عَلَيْهِ السَّلامُ» في الصحيفة السجادية.. وإذا كان الناس قد اعتادوا في تعاطيهم من الدعاء أن يجدوا خطاباً تقديسياً في البداية، ثم ينطلق الداعي في تقديم حاجاته بين يدي الله سبحانه في حالة من التضرع والاعتراف بالضعف أمام التحديات التي تفوق طاقته، أو في اتجاه مستقبله الأخروي المجهول، فإن أدعية الصحيفة السجادية توسع آفاق الدعاء فتعالج قضايا فكرية وأخلاقية واجتماعية وسلوكية وسياسية وغيرها.

ولنلاحظ كيف طرح الإمام قضية التفاعل الإيجابي مع جيوش المسلمين المنطلقة تحت لواء الدولة الأموية ـ المعادية لأهل بيت النبوة كما لا يخفى ـ من خلال دعائه لأهل الثغور، فقدَّم من خلال ذلك معالجة سياسية فكرية في كيفية التعاطي مع أوضاع مشابهة قد يواجهها أتباع أهل البيت «عَلَيْهِ السَّلامُ» في المستقبل: (اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ، وَأَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ..). وكيف قدَّم الموقف من صحابة النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» في قضيةٍ ما زالت تفجِّر الصراعات بين السنة والشيعة، فقال في الصلاة على أتباع الرسل: (اَللهمَّ وَأَصْحَابُ مُحَمَّد خَاصَّةً الَّذِينَ أَحْسَنُوا الصَّحَابَةَ، وَالَّذِينَ أَبْلَوْا الْبَلاَءَ الْحَسَنَ فِي نَصْرِهِ، وَكَانَفُوهُ وَأَسْرَعُوا إلَى وِفَادَتِهِ وَسَابَقُوا إلَى دَعْوَتِهِ واسْتَجَابُوا لَهُ حَيْثُ أَسْمَعَهُمْ حجَّةَ رِسَالاَتِهِ، وَفَارَقُوا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ فِي إظْهَارِ كَلِمَتِهِ، وَقَاتَلُوا الآباءَ وَ الأبناءَ فِي تَثْبِيتِ نبُوَّتِهِ).

وكيف قدَّم البعد الروحي والعملي في الدعاء عند المرض، ولم يكتفِ بسؤال الشفاء ومحو الذنوب كما اعتاد عليه الناس فقال: (فَمَا أَدْرِي يَا إلهِي، أَيُّ الْحَالَيْنِ أَحَقٌّ بالشُّكرِ لَكَ، وَأَيُّ الْوَقْتَيْنِ أَوْلَى بِالْحَمْدِ لَكَ، أَوَقْتُ الصِّحَةِ الَّتِي هَنَّأْتَنِي فِيهَا طَيِّبَاتِ رِزْقِكَ، وَنَشَّطْتَنِي بِهَا لابْتِغاء مَرْضَاتِكَ وَفَضْلِكَ، وَقَوَّيْتَنِي مَعَهَا عَلَى مَا وَفَّقْتَنِي لَهُ مِنْ طَاعَتِكَ أَمْ وَقْتُ الْعِلَّةِ الَّتِي مَحَّصْتَنِي بِهَا، وَالنِّعَمَ التِي أَتحَفْتَنِي بِهَا تَخفِيفاً لِمَا ثَقُلَ بِهِ عَلَى ظَهري مِنَ الْخَطِيئاتِ وَتَطْهيراً لِمَا انْغَمَسْتُ فيهِ مِنَ السَّيِّئاتِ، وَتَنْبِيهاً لِتَنَاوُلِ التَّوْبَةِ، وَتَذْكِيراً لِمَحْوِ الْحَوْبَةِ بِقَدِيمَ النِّعْمَةِ).

ومن المؤسف أن لا يتفاعل الكثيرون مع

أدعيــة الصحيفة الســجادية، ليكــون عُرضة للهجران، بلحاظ ما سبق، ولتوقعهم أن يكون الدعاء في نســقٍ لغويٍّ معيَّن يستدر دمعتهم فحســب، لينالوا بعد ذلك مطالبهم الفردية، غافليــن عن العطاء المهــم لتلك الأدعية في الأبعاد المختلفة.

• عالمية الخطاب وإنسانيته:

إن ما سبق يحمِّلنا مسؤولية إعادة النظر في الخطاب الإسلامي، لاسيما الخطاب المقدَّم من مرجعياتنا الدينية التي نأمل أن تنفتح على قضايا الساعة بصورة أوسع، وأن تقدِّم الحلول العملية لمعاناة الإنسان ككل بصورة منتظمة، باعتباره خطاباً يمثِّل مدرســة ســماوية ذات رسالة إنسانية عامة، تــماماً كما كان القرآن في بعض خطاباته وآياته التي لم تكن مؤطَّرةً في حدود جغرافيــة أو عقَدية معينة، وقد صُدِّرت تلك الآيات بقوله تعالى: ﴿يَا أيهَا الناسُ﴾ ﴿يَا بَنِي آدَمَ﴾ ﴿يَا أيُهَا الإنسان﴾.

وهــذا مهــم جــداً فــي تحقيــق عالمية الرسالة الإســلامية: ﴿وَمَا أَرسَلنَاكَ إلاَ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين﴾[الأنبياء:١٠٧] في مقابل محدودية الجغرافيا التي بُعث فيهــا النبي: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُم﴾[الجمعة:٢].

وإذا كانت بعض الخطابات الإسلامية تتسم بذلك، فإنها تدور في أوساط إعلامية محدودة، لا تقرع أســماع الكثير من المسلمين، فضلاً عن غيرهم، ولنتذكر كيف كان الإمام الخميني يخاطب مستضعفي العالم، فتتطاير كلماته في أرجاء العالم، ليتلقفها المستضعفون أياً كانت ديانتهــم أو لغتهم أو قوميتهم، ومهما ابتعدوا جغرافياً..

وإننــي لأتألم أحيانــاً أن أجد المؤسســة الفاتيكانية متــمثلة في بابا الكاثوليك تسبقنا في تقديــم خطاباتها العالمية في معايشــةٍ مع قضايــا الناس جميعاً ولاســيما المحرومين منهم، وبلغةٍ إنسانية رحيــمة، تتلاقفها وسائل الإعــلام العربيــة وغيرها، وتغيــب حوزاتنا العلمية في قضايا التاريخ أوالمسائل الخلافية أو تُقصِر خطاباتها على المؤمنين بــمدرستها العقدية.

إن هــذه الحقيقــة تجعلنــا نعتــرف أن خطابنا الإســلامي المعاصر يسير مبتعداً عن نسق الخطاب القرآني، وعن عالمية الرسالة الإســلامية التي حمل مشــعلها النبي الكرم وأهل بيته «عَلَيْهِم السَّلامُ».



بين المهدي والكليم

١٣ شعبان ١٤٣٤ هـ
٢٢ يونيو ٢٠١٣ م

عند الحديث عن أدلة الإيمان بالمسألة المهدوية، يطرح البعض آية: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضعِفُوا في الأرضِ ونَجعَلَهُم أئمةً وَنَجعلَهُم الوَارِثِين﴾[القصص:٥] كدليل مباشر على المطلب.

• أحدهما يُثبِت:

وخلاصة ذلك أن الله «عَزَّ وَجَلَّ» يخبر في الآية السابقة عما سيجري في المستقبل، وعلى وجه الخصوص في نهاية الزمان، بدليل استعمال كلمات (نريد، نمن، نجعل) بصيغة المضارع لا الماضي، واستعمال كلمة (الوارثين) أي الذين: (يرثون الأرض، أي أنهم آخر من يحكم الأرض، هذا معنى الوارثين، والمستضعفون هم المسلمون طبعاً، المسلمون هم الوارثون. إذن لابد من دولة إسلامية تعم أرجاء الأرض في آخر الزمان، حسب صريح القرآن الكريم، وهذا أمر مسلم به ليس فيه شك) هكذا جاء في كلمات البعض. وتمسك أصحاب هذا الرأي بما جاء عن الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» أنه قال: (المستضعفون في الأرض المذكورون في الكتاب، الذين يجعلهم الله أئمة: نحن أهل البيت، يبعث الله مهديَّهم فيعزهم ويذل عدوهم)، وفي ونص آخر عنه: (لتعطفّن الدنيا علينا بعد شِماسها) تمردها (عطف الضروس) الناقة الشرسة (على ولدها. وتلا قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضعِفُوا في

الأرضِ ونَجعَلَهُم أئمةً وَنَجعلَهُم الوَارِثِين﴾).

• وآخر ينفي:

وفي المقابل، ينفي آخرون علاقة هذه الآية بالمسألة المهدوية، بدليل أنها جاءت في ضمن الحديث عن موسى «عَلَيْهِ السَّلامُ» والوعد الإلهي له ولمن ينصره بوراثة أرض مصر وحكمها: ﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ، إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ، وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرضِ وَنَجعَلَهُمْ أَئِمةً وَنَجعَلَهُمُ الوَارِثِينَ، وَنُمَكِنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[القصص:٣-٦]. وأن الأفعال جاءت بصيغة المضارع: (ليبين أن المنّ على موسى والمستضعفين من بني إسرائيل بالتمكين في الأرض إنما سيكون بعد استضعاف فرعون لهم). وبين هذا الرأي وذاك لابد من وقفة مع أصل من أصول التعامل مع آيات القرآن الكريم، نبّه عليه الشهيد السيد محمد باقر الصدر حيث قال: (النقطة الجوهرية في تفسير القرآن الكريم تكمن بضرورة التمييز بين تفسير اللفظ على صعيد المفاهيم، وتفسير المعنى بتجسيده في صورة محددة على صعيد المصاديق). فالشهيد الصدر ينبِّه إلى نقطة مهمة وحساسة في التعامل مع جملة من الأحاديث التي تتضمن نصاً قرآنياً، على نحو التفسير أو التأويل أو الاستشهاد، قد تسبب في أحيان كثيرة نوعاً من النزاع بين أصحاب الآراء المختلفة، نتيجة الخطأ في التعامل مع تلك النصوص وفهم دلالتها. وخلاصة تلك النقطة التي تحل التناقض تتمثل في التفريق بين تفسير اللفظ وتفسير المعنى، فتفسير المعنى هو تجسيده في المصاديق الخارجية، وهذا هو التأويل. أما بيان اللفظ فهو التفسير، فالتأويل ـ بحسب الشهيد الصدر ـ ليس أمراً لغوياً، إنما هو عملية تجسيدية، تتمثل في البحث عن المصاديق.

• بطون القرآن:

ويبدو أن هذا هو المعنى المراد في بعض النصوص التي تتحدث عن وجود باطن أو بطون للقرآن، من قبيل المروي عن النبي أنه قال: (إن للقرآن ظهراً وبطناً)، فقد بيّن الإمام الباقر المراد من ذلك كما روي عنه: (ظهرُه: الذين نزل فيهم القرآن، وبطنه: الذين عملوا بأعمالهم، يجري فيهم ما نزل في أولئك). وهذا يعني أن المراد من بطن الآية انطباقها على الأحداث المتجددة فيما لو تكررت الشروط أو تشابهت المواقف، لا بمعنى أن الآية نزلت في الأحداث المتجددة وقصدَتها بذاتها. وهذا البيان يحل الإشكال الواقع

بين المستدلين بآية: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ استُضعِفُوا في الأرضِ ونَجعَلَهُم أئمةً وَنَجعلَهُم الوَارِثِين﴾ على المسألة المهدوية، وبين الرافضين لهذا الاستدلال، إذ سنقول حينئذ أن الآية نازلة في شأن الصراع بين موسى وبين فرعون، وهذا واضح من خلال قراءة الآيات السابقة واللاحقة. ولكنها في نفس الوقت منطبقة على المسألة المهدوية، بلحاظ أن الصراع بين المهدي وطواغيت زمانه سيكون صراعاً بين الحق والباطل، تماماً كالصراع بين موسى وفرعون، وستكون خاتمة المطاف أن يرث المهديُّ وأنصارُه الأرض بإقامة دولة العدل بإذن الله تعالى، وقد صح وتواتر عن النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» قوله في المهدي المنتظر: (يملأ الأرض قِسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجَوراً).

• وراثة الأرض:

وبهذا أيضاً يُحلّ التعارض بين الطرفين حول قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:١٠٥]، حيث استدل بها المؤيدون، معتبرين أن الله تعالى يتحدث في الآية عن وراثة المهدي وأنصاره للأرض وملئها عدلاً وقسطاً، بينما يتمسك الرافضون لهذا الاستدلال بسياق الآيات المحيطة بها، وهو يتضمن حديثاً عن الوراثة في الآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبعَدُونَ، لا يسمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ.... يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلقٍ نعِيدُهُ وَعدًا عَلَينَا إِنا كُنا فَاعِلِينَ، وَلَقد كَتَبْنَا في الزَّبورِ مِن بعدِ الذِّكر أنَّ الأرضَ يَرثهَا عِبادِيَ الصَّالحون﴾ [الأنبياء:١٠٢-١٠٥]. أما ما جاء في الزبور (مزامير داود) فنصُّه بالترجمة العربية: (لأَنَّ عَامِلِي الشَّرِّ يُقْطَعُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُم يَرِثُونَ الأَرْضَ.. أَمَّا الْوُدَعَاءُ فَيَرِثُونَ الأَرْضَ، ويتلذَّذونَ في كَثرة السَّلامَة.. لأنَّ المبَاركينَ منه يرثون الأرض، والملعونين منه يُقطعون.. الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الأَبَدِ) [المزمور ٣٧].

والحل بسيط وفق القاعدة التي قدمها الصدر، وتكمن في القول بانطباق الآية على المسألة المهدوية دون نزولها فيها على وجه التحديد. إن من الجهل أن نحوِّل المسألة المهدوية التي أراد لها النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» أن تكون رايةً تجمع كل المسلمين حول غايةٍ رساليةٍ هي تمكين العدل في الأرض، إلى عنوانٍ لصراع آخر بين المذاهب الإسلامية، تتراشق الأطراف من خلالها بالتُّهم، ويُسفِّه بها بعضُهم بعضاً.. إنه الشمس التي ينتظر طلوعَها المسلمون، بل والمستضعَفون في العالم.. فهل سيشك عاقلٌ بالشمس إذا طلعت؟



٢٠ شعبان ١٤٣٤ - ٢٩ يونيو ٢٠١٣ مـ

سورية .. والعدل المنتظَر

عن النبي الأكرم «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» : (لا تقوم الساعة حتى تـمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً. ثـم يخرج رجل من عترتي أو أهل بيتي يـملؤها قسـطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً)..

من الواضـح أن العدل هـو محور حركة الإمام المهدي «عَلَيْهِ السَّـلامُ» وغايتها، وهو ما يتسق مع غاية من غايات إرسـال الأنبياء «عَلَيْهِم السَّـلامُ» طوال التاريخ: ﴿لَقَدْ أَرْسَـلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد:٢٥].

• دعوة وقوّة:

تحقيق هذه الغاية احتاج إلى استعمال القوة فـي مواجهة الباطل في بعض المواضع، بعد أن أقام الأنبياء حججهم وأتـمّوها، فووجهوا بالعدوان والعنف والقتل والتشريد وإعلان الحرب، مما اضطرهم لمواجهة القوة بالقوة

كمـــا نقرأ في تتـمة الآيـــة: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُـــلَهُ بِالْغَيْـــبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، وكذلك ســـيلجأ الإمام المهدي «عَلَيْهِ السَّـلامُ» إلى اســـتعمال القوة في مواجهة الظلم المنتشر.

ولعل الفارق بين ســـيرة الأنبياء وبين حركة الإمام المهدي هي أنهم يستغرقون في الدعوة وتبليغ الكتاب والرســـالات والتشـــريعات الســـماوية مدداً طويلة، ثـم تبـــدأ المواجهة بالقوة.

بينـما يبدو أن ظروف حركة الإمام المهدي مختلفـــة مـــن هـــذه الناحية، ولن تســـتدعي الظروف أو لن تسمح للاستغراق في الدعوة طويـــلاً، لتصل الأمور بعـــد ذلك إلى مرحلة المواجهـــة القتالية، بل لربـــما تكون المدة الفاصلة قصيرة.

• المهدي إمام العدل:

وعلـــى كل حـــال، يبقى أن العـــدل ـ دون ترديـــد ـ هو العنـــوان المرتبط بظهور الإمام المهدي، وبالتالي فإن أنصاره هم المناصرون للعدل، وأن المعســـكر الآخر الذي سيقاتله هو المعسكر المناصر للظلم. ولذا فإن على كل إنســـان يدعو بتعجيل الفرج والظهور أن يراجع نفسه ليرى إن كانت مواقفه في حياته الاجتـماعية والسياسية والاقتصادية مع العدل أم مع الظلم.

• الولاية والسياسة:

مـــن خلال تتبعي للتعليقـــات على التويتر ومـــا يدور من نقاش أرى أن كثيراً من الإخوة بدأت تختلـــط عندهم المفاهيـم والمواقف، حتى دخلت بعض الركائز الإيـمانية عندهم في حالة من الضبابية، فمســـألة الولاية عندنا كأتباع لمدرســـة أهل البيت «عَلَيْهِم السَّـلامُ» تـمثل مرتكزاً أساســـياً في المعتقد وفي التشريع.. الولايـــة لله وللرســـول ولآل بيته ممن أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً. وقد نُهينا عن تولـــي الكافرين والظالميـــن ولو كانوا أقـــرب الناس إلينـــا رَحِماً: ﴿يَا أَيُّهَـــا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِـــذُواْ آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إِنِ اسْـــتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيـمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَئِكَ هُـــمُ الظَّالِمُونَ﴾[التوبة:٢٣].. نعم قد تســـتدعي بعض الظـــروف الدخول فـــي تحالفات سياســـية معينة عندمـــا تلتقي المصالح علـــى أمر مـــا، دون أن يعني ذلك تـمييع مفهوم الولاية، ولا انســـحاب الحالة السياســـية على المتبنيات العقائدية والقيـم الأخلاقيـــة والوظائف الشـــرعية التي تـمثِّل ركائز الشخصية الإيـمانية.

• الوضع في سوريا:

الوضـــع القائم في ســـوريا الآن (خربط) الأمـــور عند الناس، إذ لم يعد كثيرون قادرين على التفريق بين الموقف السياســـي وبين

الموقف العقائدي.. لا أريد أن أناقش هنا أو أقيِّم أو أحكم على الانحياز الشيعي العام ـ إلا ما استُثني ـ لموقف السلطة الحاكمة في سوريا في الصراع القائم.. كما أنني لا أريد تصحيح موقف أو تأييد أي طرف من أطراف المعارضة ممن تحالف مع الشيطان، وحشد كل إرهابي تكفيري حاقد لذبح الأبرياء، والتمثيل بالجثث، وغير ذلك من المشاهد المقززة التي عمّت في الإنترنت، وبيّض بها أصحابها وجوه خوارج ذلك الزمان.

بل أريد مناقشة جانب آخر من المسألة.. إذ بات كثيرون يتحدثون عن النظام الحاكم في سوريا من منطلق ولائي مبدئي، وكأن النظام الحاكم في سوريا يمثّل جبهة الإيمان والولاء والحق والعدل.. هنا نقع في الخطأ الكبير، فهذا النظام نظام بعثي ظالم فاسد، كان إلى قبل سنتين يفتح معسكرات التدريب للقاعدة وأمثالها، ويفتح حدوده للإرهابيين من كافة أنحاء العالم لقتل أهل العراق وتفجير المراقد والمساجد والحسينيات والمواكب، ولن يتوانى عن تكرار الأمر لو استدعت مصلحته ذلك.

ومن سخريات القدر، أو من سنن الله سبحانه أن العراق كان يشتكي من فتح سوريا لحدودها للإرهابيين يجولون ويصولون عبرها كيفما شاؤوا، واليوم تشتكي سوريا من فتح هذه الحدود وعودة الإرهابيين إليها.. هذا النظام أوصل شعبه إلى حالة من القهر دفعتهم إلى الثورة، ثم سرعان ما تم سرقة الثورة وتحويل الأزمة إلى مسرح للصراع الدولي ولحرب استنزاف لسواد عيون الصهاينة وتحقيق المصالح الاستكبارية.

• الموقف الروسي:

فما بال البعض أضاع البوصلة حتى بات يتحدث عن حزب البعث وكأنه يمثل امتداداً للولاية السماوية؟ بل ليتجاوز الأمر ذلك، حتى باتت القوة الاستعمارية الشرقية روسيا في نظر البعض أمل المؤمنين ونصيرة المستضعفين وغير ذلك من المفاهيم المغلوطة والتي حذّر منها القرآن مراراً وتكراراً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلا مِنْهُم﴾[المجادلة:١٤].

لو جلَسَت روسيا على طاولة المفاوضات ووجدت ثمناً مقدَّماً من الغرب يسيل له لعابها، فإنها لن تتوانى في أن تبيع مواقفها كما باعتها مراراً، وقد قال «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿يَا أَيُّها الذِين آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا اليَهُودَ والنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾[المائدة:٥١-٥٢].

• موقفان مختلفان:

إن علينا أن نفرّق بين الموقف السياسي وبين المبادئ الولائية.. علينا أن نكون مع العدل، لأن تحقيق العدل من أسس مهام الأنبياء، وعنوان ثورة الإمام المهدي المنتظر، فحذارِ أن تميل قلوبُنا للظالمين، فنُخرج أنفسَنا من ولاية المهدي إلى ولاية أعدائه.. حذارِ أن نبيع قِيَمنا ونحن نشاهد قتل الأبرياء، فلا تتحرك فينا شعرة، فضلاً عن أن نفرح لذلك، لمجرد أنهم من المعسكر الآخر. ولنتذكر كيف انقلب حال صفوان الجمّال حين قال له الإمام الكاظم «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (يا صفوان، كلُّ شيءٍ منك حَسَنٌ جميل ما خلا شيئاً واحداً، قلت: جُعلت فداك أيّ شيء؟ قال: إكراؤك جمَالَك من هذا الرجل ـ يعني هارون ـ قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا للهو،



ولكني أكريته لهذا الطريق ـ يعني طريق مكّة ـ ولا أتولاه ولكنْ أبعثُ معه غلماني، فقال لي: يا صفوان، أيقع كراك عليهم؟ قلت: نعم جُعلت فداك، فقال لي: أتحبُّ بقاءَهم حتى يَخرجَ كراك؟ قلت: نعم، قال: فمن أحبَّ بقاءهم فهو منهم، ومَن كان منهم ورد النّار. فقال صفوان: فذهبت وبعت جمالي عن آخرها).

هكذا يكون التولّي والتبرّي في مدرسة الإسلام في تعاليم أهل البيت. ولنعلم أن من يعش الازدواجية في المعايير بين العدل والظلم لن يكون من جند إمام العدل المنتظر، وقد قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لله شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة:٨].

٢٧ شعبان ١٤٣٤ ـ ٦ يوليو ٢٠١٣ م

الغطرسة الدينية

عادة ما يتم تناول موضوع الكِبر من زاوية أخلاقية تحاول أن تعالج خللاً في شخصية الإنسان غير الملتزم بتعاليم الدين، أو الملتزم دينياً ولكنه يعاني من انتفاخ الشخصية لغناه المادي أومقامه الاجتماعي أوانتمائه العرقي أو القبلي أو غير ذلك.

• خطير جداً:

ولكن هناك نوع خطير جداً من الكِبر قليلاً ما تُسلّط عليه الأضواء، وهو الكِبر الديني.. أي حالة الانتفاخ (الفردية أو الجماعية) عند المتديّنين انطلاقاً من الإحساس بارتفاع القيمة الدينية على الآخرين. وإنما هو خطير جداً لأنه يرتدي رداء الدين والقداسة والارتباط بالسماء، ولأنه يُعطي للأمر بُعداً أخروياً مرتبطاً بالجنة والنار.. الأمر الذي يلبِّس على الناس الحقيقة، ويشرعن لهم انتهاك الحرمات.

• ذوالخويصرة:

أوضح مثال تاريخي على ذلك ما جرى عقب غزوة حنين والطائف، فعن أبي سعيد قال: (بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اعْدِلْ. قَالَ رَسُولُ اللهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ»: وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ. فَقَالَ عمرُ بنُ الخطاب: يا رسول الله، ائذن لي فيه أضرِبُ عُنقَه. قَالَ رَسُولُ الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ»: دعْه، فإنَّ لهُ أصْحاباً يَحقِرُ أحدُكُم صلاتَه معَ صلاتِهم، وصِيامَه مَع صِيامِهم، يَقرءُونَ القُرآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ).

فهذا الرجل كان يعاني من انتفاخ الشخصية في بعدها التديّني، حتى صار يرى أنه بلغ مبلغاً من التديُّن يفوق به النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» فاتهم النبي بالظلم في الوقت الذي يناديه بعنوان (رسول الله)!! وبيّن النبي أن هذا وأصحابه ينطلقون في انحرافهم وبغيهم ثم خروجهم من الدين من منطلق التدين! وقد دفعهم ذلك لاحقاً إلى تكفير علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» قائلين لمبعوثه عبدالله بن عباس قبيل معركة النهروان: (ويحك يا ابن عباس، كفرتَ بربك كما كفر صاحبك علي بن أبي طالب).

• غطرسة اليهود:

تحدث القرآن عن مثل هذا المرض الخطير في ضمن حديثه عن اليهود: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾[آل عمران:٧٥]. الذي دفع اليهود لافتراء ذلك هو ما جاء في الآية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾.. هذه النظرة الاستعلائية على غيرهم، دفعتهم لتقسيم البشرية إلى يهود وأغيار، ومن ثم إباحة كل تصرّف وحشي تجاههم، وقد بدأ الحاخام الأول في الجيش الصهيوني تعليماته في كراس وزِّع على الجنود بقوله: (الوحشية مطلوبة مع الأغيار)..



ومن هنا أباحوا لأنفسهم حرق دور (الأغيار) ومدنهم، ففي سفر يشوع عن اقتحام الإسرائيليين مدينة أريحا: (وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ، وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا)، ولذا قال الحاخام الأمريكي (مانيس فريدمان): (وقت الحروب، يجب تدمير الأماكن المقدسة للعرب، وهدم منازلهم، وقتل النساء والرجال والأطفال منهم).

• التكفيريون المتغطرسون:

وتمعّن الآن في منطلقات وسلوكيات التكفيريين من خوارج العصر بماذا يختلفون عن المنطق اليهودي وعن خوارج

ذلك الزمان؟ المرض هو ذاته، انتفاخ في الشـــخصية الفرديـــة أو الجماعية ليتحوّل المصلي الصائـــم القارئ للقرآن إلى موجـــود متوحش يـمثِّل بجثث خصومه، يلوك أحشـــاءهم، يقتل الأبرياء بدم بارد ما داموا ليسوا على منهجه، يحرق دورهم، يسرق، يغتصب، يرتكب كل موبقة، لأنهم من (الأغيار)! اســـتكبار من منطلق ديني! على الرغم من كل التعاليـم الإســـلامية التي حذّرت من الاستعلاء على الآخرين وقدَّمت إبليس كأوضح نـموذج على ذلك.

قال الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» في الخطبة القاصعة:

(فَاعْتَبِـــروا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْـــلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيـــلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلاَفِ سَنَة، لاَ يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَـــا أَمْ مِنْ سِـــنِي الاْخِرَةِ، عَنْ كِبْرِ سَـــاعَة وَاحِدَة، فَمَنْ بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟ كَلاَّ، مَا كَانَ اللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَـــراً بِأَمْر أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّـــملءِ وأَهْلِ الاْرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَد مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمىً حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ).



• جريـمة في مصر:

ما جرى في مصر بحق بعض الشـــيعة هو مثال حي لما ذكـــرت.. وأنا وإن كنت مخالفاً بصورة واضحـــة لما كان يصرّح به الشـــيخ المعتدَى عليه ولأسلوبه..

ولكن هذا شئ، وأن يُعتدى عليه وعلى مَن معه فأمر آخر. ولـــو كان قد ارتكب جرماً ما، بل حتى لو كان مرتداً، فهناك قضاء ومحاكمة واســـتماع للخصوم وشـــهود وأدلة وأيـمان وحدود تُدرأ بالشبهات، وغير ذلك..

فهل تطبيق الشريعة يعني العودة إلى قانون الغاب؟!

إن العدوان الوحشي الذي وقع في مصر وقبله في دير الزور يمثل حلقة في سلسلة الجرائم التي يرتكبها خوارج العصر من التكفيريين الظَّلاميين في بلاد المسلمين وخارجها، بحق السنة والشيعة، ما داموا بالنسبة إليهم من (الأغيار) فأباحوا ارتكاب كلِّ جريمة بشعة حرّمها الإسلام، مخالفين بذلك تعاليم القرآن وسنة النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» وسيرة أصحابه، وهم يتبجّحون ليل نهار بالدفاع عنها، في الوقت الذي يخالفونها عياناً جهاراً وفي أوضح مفرداتها كقوله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ»: (إياكم والمُثلة، ولو بالكلب العقور)، وما دفعهم لارتكاب ذلك كله إلا استكبارهم الديني، المعجون بجهلهم المطبِق بشريعة الإسلام، الممزوج بهوسهم الوحشي بالسلطة والحكم، المدفوع سياسياً من أطراف أخرى عالمية وإقليمية ومحلية، لها أجنداتها السياسية أوالحزبية، وتريد من خلالها الحفاظ على مكتسابتها السلطوية أو الامتداد الأفقي لتوسعة مديات حكمها أو نفوذها وقوتها، فأعطت الضوء الأخضر للقوى التكفيرية المعهودة بروحها الوحشية من أجل أن تدمِّر وتذبح وتحرق وتعيث في الأرض فساداً.

وما جرى في صيدا لبنان يأتي في ذات السياق، والمنطقة برمّتها مهددة بالانزلاق في مهاوي الاستكبار التكفيري. والعجب العجاب أن تبقى الأمور في دائرة الاستنكار في أحسن الحالات، بل واختار البعض الصمت..

نريد حراكاً فاعلاً، يا حكماء المسلمين ومرجعياتهم، ألستم مسؤولين عن المسلمين في كل مكان؟ في سوريا، في لبنان، في مصر، في العراق، في أفغانستان، وفي غيرها؟

ألم يحن وقت حراككم بالحوار والتفاهم والضغط من أجل حماية الأبرياء؟

ألا توجد في العالم الإسلامي مرجعيات وعقلاء يمكنهم الجلوس مع بعضهم البعض بشكل جاد وفاعل وعملي من أجل إنقاذ المنطقة من الهاوية التي تنحدر نحوها؟

هل سننتظر إلى أن تقع المزيد من المجازر ثم نوزع المعونات وبقايا الزكوات والأخماس على الناجين من جحيم العدوان التكفيري؟

أيكفي أن ندعو الله بتعجيل الفرج؟ أمِن الحكمة أن نسمح لجهلاء الأمة بمزيد من النفخ في نيران العصبية والتطرف والطائفية؟

أم ننتظر اليوم الذي تصل فيه النيران ـ لا سمح الله ـ إلى أطراف ثيابكم كي تشعروا بحرارة لهيبها؟

يسألونك عن الأهلة

٥ رمضان ١٤٣٤ هـ - ١٣ يوليو ٢٠١٣ مـ

مع دخول شـــهر رمضان المبـــارك في كل عام، يعود الحديث عن توحيد بداية الشـــهر عند المســـلمين عموماً، بل في البلد الواحد، بل بين أتبـــاع المذهب الواحد. وبدايةً لابد أن نعلم أن هذا الاختلاف بين المســـلمين، بل بين أتباع المذهـــب الواحد ليس بالأمر الجديد، والأسباب مختلفة، ومنها:

• رمضان لا ينقص أبداً:

الاختلاف في جواز كون شـــهر رمضان ٢٩ يومـــاً، فقد ابتدع البعض رأياً مفاده أن شـــهر شـــعبان لا يتم أبداً، وشهر رمضان لا ينقص أبـــداً، ووضعـــوا الحديث على لســـان أهل البيت وأثيرت مشـــكلة كبيرة آنذاك في هذا الإطار انعكست من خلال بعض الروايات.. وقد طرح الفقهاء هذه المســـألة في بحوثهم، ومثـــال ذلك الســـؤال الذي وجِّه للشـــريف المرتضى (ت٤٠٦هـ) كما في رســـائله: (عن شـــعبان وشـــهر رمضان هل تلحقهما الزيادة والنقصـــان؟ فيكـــون أحدهما تـــارة ثلاثين وتارة تســـعة وعشرين، وعمن قال: إن الزيادة والنقصان تلحقهما وسائر الشهور، هل يصير كافـــراً بذلك أم لا؟). فأجاب: (شـــهرُ رمضان كغيره من الشـــهور في أنه يجوز أن يكون تاماً وناقصاً، ولم يقل بخلاف ذلك من أصحابنا إلا شذاذ، خالفوا الأصول وقلّدوا قوماً من الغلاة، تمسكوا بأخبار رويت عن أئمتنا «عَلَيْهِم السَّلامُ» غير صحيحة ولا معتمَدة ولا ثابتة).

• عدم دقة الشهادة:

الاختـــلاف فـــي دقـــة التعاطي مع شـــهادة الشـــهود وترتيب الأثر على ذلـــك، وهذا ما نبّه عليه الإمام الصـــادق «عَلَيْهِ السَّـــلامُ» في حديث صحيح سنداً رواه عنه أبو أيوب الخزاز قال: (قلت: كم يجزي فـــي رؤية الهلال؟ فقال: إن شهر رمضان فريضة من فرائض الله فلا تؤدوا بالتظنـــي، وليس رؤية الهـــلال أن يقوم عدة فيقول واحد: قد رأيتـــه، ويقول الآخرون: لم نـــره، إذا رآه واحد رآه مائـــة، وإذا رآه مائة رآه ألف، ولا يجزي في رؤية الهلال إذا لم يكن في الســـماء علة أقل من شهادة خمسين، وإذا كانت في الســـماء علة قُبِلت شـــهادة رجلين يدخلان ويخرجان من مصر).

ومن طرائف مـــا يُذكر في هـــذا الباب ما رواه ابـــن خلّكان في (وفيـــات الأعيان) أنه: (تراءى هلال شهر رمضان جماعة، فيهم أنس بـــن مالك وقد قارب المائـــة، فقال أنس: قد رأيتـــه، هو ذاك، وجعل يشـــير إليه فلا يرونه. ونظر إياس إلى أنس وإذا شـــعرة من حاجبه قد انثنت فمسحها إياس وسواها بحاجبه ثم



قال له: يا أبا حمزة، أرنا موضع الهلال. فجعل ينظر ويقول ما أراه).

• أسباب الاختلاف:

وإذا أردنا أن نستقصي أسباب الاختلاف الحاصل في ذلك، فسنجد أن في البين عوامل عديدة، منها ما هو علمي فقهي، ومنها ما هو سياسي، بل ومنها ما هو شخصي أحياناً أخرى، وسأقتصر على البعد العلمي فقط لأبيّن بعضاً من أهم الاختلافات الفقهية بين المذاهب الإسلامية من جهة، وبين فقهاء المذهب الواحد من جهة أخرى، ليتضح لنا ما وراء هذا الانقسام. ومن أهم العوامل العلمية الفقهية:

• الشهر الطبيعي أم الشرعي؟

الاختلاف في كفاية اعتماد (الشهر القمري الطبيعي)، فالشهر القمري يبدأ طبيعياً من حين ولادة الهلال وذلك عندما يغيب قرص القمر في الظل ما بين الشمس والأرض، وعندها يكون محاقاً لا ينعكس منه ضوء الشمس. توقيت الولادة يُعرف بالدقة بالحسابات الفلكية لمئات الأعوام القادمة والماضية شهراً بشهر. فمن فقهاء المسلمين من يرى كفاية تحقق هذه الولادة لكي نقول ببدء الشهر في اليوم التالي منه، ولكل الكرة الأرضية. بينما يشترط فقهاء آخرون تحقق (الشهر القمري الشرعي)، أي لابد من مرور فترة زمنية كافية يكتسب خلالها القمر كمية من الضوء تكون كافية لكي تُشاهَد على الأرض بصورة هلال.

• الحسابات العلمية:

يفتي بعض الفقهاء بكفاية الحسابات الفلكية والفيزيائية الدقيقة لتحديد بداية الشهر القمري بشرط أن تؤدي إلى تحديد الولادة الطبيعية علاوة على إمكانية الرؤية بالعين، وإن لم يُر فعلاً بسبب العوامل الجوية أو التلوث أو عدم الاستهلال وغير ذلك. ويقولون بأن الروايات

الناهية عن اعتماد الحسابات إنما تتحدث عن الحسابات التي لا تورث علماً، كما كان عليه الحال في ذلك الزمان، وهذا ما نلاحظه في الرواية التالية: (كتب إليه أبوعمر: أخبِرْني يا مولاي إنه ربما أشكل علينا هلال رمضان، فلا نراه ونرى السماء ليست فيها علة ويفطر الناس ونفطر معهم، ويقول قومٌ من الحُسَّاب قِبَلِنا إنه يُرى في تلك الليلة بعينها بمصر وأفريقية والأندلس. هل يجوز يا مولاي ما قال الحُسّاب في هذا الباب حتى يختلف الفرض على أهل الأمصار فيكون صومُهم خلافَ صومنا وفطرُهم خلافَ فطرنا؟ فوقّع: لا صومَ من الشك، أفطِر لرؤيته وصم لرؤيته). وفي المقابل يشترط فقهاء آخرون حصول الرؤية بالعين، وعدم الاكتفاء بالنتائج العلمية مهما كانت دقيقة.

• الاعتماد على الأجهزة:

يفتي بعض الفقهاء بكفاية الرؤية بالأجهزة المقرِّبة كالتلسكوب وإن لم يُر الهلال بالعين المجردة، بينما يخالفهم آخرون فيشترطون الرؤية بالعين المجردة.

• وحدة الأفق أم الآفاق؟

يفتي بعض الفقهاء بكفاية الرؤية الثابتة في أي مكان على وجه الأرض للقول ببدء الشهر لكل الكرة الأرضية، بينما يشترط آخرون أن تكون الرؤية ضمن دائرة المناطق التي تشترك في الليل فقط، ويذهب فريق ثالث إلى اشتراط الرؤية المحلية أو في المناطق ذات الأفق الواحد. وعلى الرايين الأخيرين فإن توحيد المسلمين على يوم واحد في العالم أجمع لن يتحقق حتى في دولة المهدي المنتظر «عَلَيْهِ السَّلامُ» في آخر الزمان.

• العلم في مقابل الشهادة:

كما يفتي بعض الفقهاء برد شهادة الشهود إذا كانت متعارضة مع المعطيات العلمية الدقيقة، فلو توصلنا علمياً إلى استحالة رؤية الهلال لأنه لم يولد مثلاً، أو يغيب قبل الشمس، وشهد البعض بالرؤية بعد المغيب، فإن شهادتهم تُرد، وإن كانوا عدولاً ومهما كان عددهم كبيراً. وهناك عوامل علمية أخرى تؤثِّر في فتوى الفقيه في البين، ولذا فما دامت هذه الاختلافات موجودة فمن غير الممكن أن يتحقق توحيد مقلدي الفقهاء المختلفين، فضلاً عن توحيد المسلمين جميعاً، ومن الضروري التعامل مع هذا الموضوع بصورة علمية، وبعيداً عن العاطفة والتشنجات.. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن يعذر الناس بعضهم البعض في ما اختلفوا فيه من هذا الأمر، في المجتمع الواحد، وفي البيت الواحد، فالمسألة في غايتها تكليف شخصي، يعمل من خلالها كلٌّ وفق ما يتناسب وتكليفه وبما يرضي الله سبحانه.

كيف نقرأ تاريخ الأئمة؟

١٢ رمضان ١٤٣٤ هـ - ٢٠ يوليو ٢٠١٣ م

المسار التاريخي الممتد للواقع الذي عاشته بعض الكيانات، قوةً أو ضعفاً، غلبةً أو قهراً، ظالمين أو مظلومين، يؤثر في طريقة قراءة أجيالها اللاحقة لذلك التاريخ، إذ عادةً ما يتم إسقاط تلك الحالة على كل الصورة التاريخية، وإن اختلفت في الواقع في أجزائها وتفاصيلها.

وإذ عاش أتباع مدرسة أهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» في أغلب فترات العهد الإسلامي وضعاً غلب عليه طابع الاضطهاد والمظلومية، فقد أثّر هذا في طريقة قراءتهم لتاريخ آل النبي، بحيث أسقطوا رؤيتهم وأحاسيسهم وأمنياتهم وردود أفعالهم على هذه القراءة، ولربما جنحوا أحياناً إلى اعتماد قراءة قاصرة أو تأويلية للأحداث وللشخصيات بما يتواءم مع تلك الرؤى والأحاسيس والرغبات.

• القراءة الثورية:

فهناك القراءة الثورية المحضة التي لا ترى في حياة الأئمة «عَلَيْهِم السَّلامُ» إلا المواجهة الميدانية مع السلطات القائمة، وتحتار في كيفية تبرير سلوك سبعةٍ من الأئمة (ابتداءً من الإمام محمد الباقر وانتهاءً بالإمام الحسن العسكري) الذين لم يشاركوا في أية حركة ثورية، على الرغم من خروج أقرب المقربين إليهم أحياناً.. فالإمام محمد الباقر «عَلَيْهِ السَّلامُ» لم يخرج ثائراً مع أخيه زيد «رَحِمَهُ اللهُ» في العهد الأموي، كما أن

• صورة فسيفسائية:

من الواضح أن سيرتهم متنوعة، بين تجربة حكمٍ للإمامين علي والحسن، وثورة حسينية، وعطاء علمي وروحي على يد السجاد والباقر والصادق والكاظم، وتجربة ولاية عهد للرضا، ثم الصيرورة تحت الرقابة المباشرة أو ضمن بيت الخلافة العباسية على عهده ثم الجواد فالهادي فالعسكري.

ولذا فإن من يريد أن يعتمد على سيرتهم في بناء رؤية شرعية أو فكرية لابد وأن ينظر إلى كل هذه الصورة الفسيفسائية، مع الأخذ بعين الاعتبار أن سيرة الحسين «عَلَيْهِ السَّلامُ» لم تكن ثورية في كل مراحلها، بل مثّلت الأشهر القليلة من أواخر حياته المباركة، بينما استمر في مهادنة معاوية إلى أن مات الأخير..

وهكذا فإن سيرة الحسن «عَلَيْهِ السَّلامُ» لم تكن صلحاً محضاً، بل عايش فتنة الخليفة عثمان، ووقف موقف المانع من قتلِه، وخاض مع أبيه حروبَه، وتوجّه بجيشه نحو الشام بعد مقتل علي «عَلَيْهِ السَّلامُ»، إلا أن الظروف لم تعنه على الحرب فجنح للسلم.

إننا ونحن نستهجن موقف بعض أصحاب الإمام الحسن منه بعد أن عقد معاهدة الصلح عام ٤٠هـ ونستغرب الموقف الحدي الصادر من عبدالله بن الحسن ابن الإمام الحسن المجتبى تجاه الإمام الصادق حين رفض الانضمام لتحالفهم مع العباسيين ضد الأمويين، حتى قال له عبدالله: (إنّ الله لم يُطلعك على غيبه، ولم تقل ذلك إلا حسداً لابني)!

إننا في نفس هذا الوقت قد نكرر نفس الخطأ الذي وقعوا فيه حين نقرأ الإمام في موقع الحكم فقط، أو في موقع الثورة فقط، أو في موقع العبادة فقط! فلا نرتضي موقفاً لهم، أو نحكم على نص تاريخي مرتبط بسيرتهم بالاستحالة والبطلان، لمجرد مخالفته للصورة القاصرة التي بنيناها في أذهاننا عن سيرتهم، وهذا يعني أننا لو عايشنا عصرهم لوقعنا في نفس المخالفات التي نلوم عليها من عايشهم، لأننا نفصّل سيرتهم على المقاسات التي حددناها في أذهاننا من قبل.

• انعكاسات خاطئة:

بل وقد نرسم لهم صورة شخصية في أذهاننا منطلقة من شخصياتنا وطبيعة أحاسيسنا وأخلاقياتنا وتصرفاتنا، فنتصور أن ردود أفعالهم وتصرفاتهم ستكون مشابهة لهذه الصورة أو في سياقها. ولذا يقع البعض في حيرة في فهم حقيقة المصاهرات بينهم وبين الآخرين ممن اختلفوا معهم، بل ولربما رفعوا السيوف في وجوههم..

فقد تزوج الحسن من ابنة الصحابي طلحة، وبعد استشهاده خلفه عليها الحسين، الذي تزوج أيضاً من حفيدة أبي سفيان وهي ليلى أم

الإمام علـــي الرضا «عَلَيْهِ السَّـلامُ» لم يخرج مع عدد مـــن إخوانه (كزيد وإبراهيـــم وحمزة) وعمه محمد الديباج ابن جعفر الصادق الذين ثاروا على عهد العباســـيين، وهكذا لم يخرج الإمام موســـى الكاظم «عَلَيْهِ السَّـلامُ» من قبل مع الثائرين من آل البيت وعلى رأسهم الحسين الحسني (المعروف بصاحب فخ) على الرغم من عدم معارضته لأسباب ثورتهم.

• القراءة المأساوية:

وهناك القراءة المأســـاوية المحضة التي لا ترى في ســـيرة أهل البيت «عَلَيْهِم السَّـلامُ» إلا صور المآســـي والظلامات والمصائب من اعتقال وســـجن وتعذيب وقتل بالســـيف وبالسم، وهي لاشـــك حقائق ووقائع، ولكنها لا تمثل كل الصـــورة، ولذا تضطر هـــذه القراءة إلى تجاهـــل الإنجازات وصور التعامل الإيجابي مع الآخر، وتحتار في تفسير مواقف من قبيل زواج الإمام الرضـــا «عَلَيْـهِ السَّـلامُ» بابنة المامون، ثم زواج ابنه محمـــد الجواد «عَلَيْهِ السَّـلامُ» بالابنة الأخـــرى، وفي اللقاءات التـــي كانت تجري بين الأئمـــة وبين بعض حـــكام زمانهم بما يحيطهـــا أحياناً مـــن حفاوة، وفـــي الأموال والهبات التي كانت توزَّع من قبلهم «عَلَيْهِم السَّـلامُ» على المحتاجين والفقراء، والممتلكات التي كانوا يديرونها من بســـاتين وأعمال تجارية وغير ذلك، فكيف يتواءم كل هذا مع الوضع المأســـاوي كصورة وحيدة يقرؤها أو يقدِّمها البعض لسيرة الأئمة؟

• القراءة السلبية:

وهكذا لا يقدِّم البعض الأئمة «عَلَيْهِم السَّـلامُ» إلا في المشـــاهد العلميـــة والعبادية ذات البعد الفـــردي، وكأنهم كانوا بعيديـــن عن الواقع الـــذي يعيشـــونه، معزولين عـــن الأحداث المحيطة بهم، لا شأن لهم بالسياسة والثورة على الظلم، ولا اهتمام لهم بالقضايا العامة.

• انعكاسات القراءة الناقصة:

هذه القـــراءات الناقصة لها ســـلبية أخرى بجانب الســـلبية (المعلوماتية) وهي ترتبط بالاستناد عليها كأسس لتكوين الرأي الشرعي أو الموقـــف العملي تجاه قضايا الحاضر، أو في أســـلوب التعاطي مع الأحـــداث، أو في طريقـــة تكويـــن الشـــخصية الموالية لأهل البيت.. هل تُبنى على أن تكون ثورية معارِضة مقاتِلـــة على طول الخط؟ أم تكون شـــخصية منعزلة منكفئة على البعـــد العبادي الفردي؟ هل تنطلق فـــي الأطر العلميـــة والأكاديمية فحسب، وتتغافل عن أي حراك يدور حولها؟ هل تتصالح مع حكومـــات الزمان أم تتقاطع معها؟ هل تنفتح على الآخر المختلف معها، سواء على المســـتوى الرسمي أو العلمي أو الشـــعبي، أم تعيش التقية الدائمة التي تدفع إلى التحصين الذاتي؟

علـــي الأكبر، وتزوج الباقر من حفيدة الخليفة أبي بكر، فولدت له الإمام جعفراً الصادق الذي كان يقول كما نقل عنه السنة والشيعة: (ولدني أبوبكر مرتيـــن)، وكأن الإمام يقول إنه جدي، فإن كنتم تحترمونني فلا تسيئوا إلى جدي؟!

كما أســـموا أبناءهم بأسماء بعض الخلفاء وبعض الشخصيات التي عاشت النزاع معهم حول موضوع الحكم، فلعلي «عَلَيْهِ السَّلامُ» أبناء منهم عمر، وعثمان، وكنية أحدهم أبو بكر..

وللحســـن: عمرو وعبدالرحمـــن وطلحة وأبوبكـــر، وللإمـــام زيـــن العابديـــن: عمر وعبدالرحمـــن.. وقد يقول قائل إنها أســـماء مشـــتهرة ومعروفة ولا تشـــير إلى أحد بعينه، ولكن أقول ما الذي كان يدفعهم إلى اختيار هذه الأسماء مع وفرة الأسماء العربية الأخرى؟

لقد عـــاش الأئمة «عَلَيْهِـم السَّـلامُ» طهارة الروح، فلـــم يحملوا في قلوبهم حقـــداً يدفعهم إلى مقاطعـــة الحاكـــم والمجتمع ـ ســـواء على مســـتوى المصاهرات أو الأسماء أو التواصل الاجتماعي أو المشـــورة الصادقـــة أو مد يد العون بما يعود على الأمة بالخير والمنفعة ـ وإن اختلفـــوا معهم، ولا لصب اللعنات على الأمة، أو الاندفاع لتدمير مكتسبات الأمة من أجل الوصول إلى ســـدة الحكم، على الرغم مـــن يقينهم وتصريحهم في مناســـبات كثيرة بأنهم الأولى من غيرهم بهذا الأمر.

إن الحقيقة التي يجب أن نعرفها أن الأئمة في مواقفهم وعلاقاتهم لم يتحركوا من موقع العاطفة والانفعال، ولا بدافع تحقيق المصالح الشـــخصية، بل كانت أولويتهـــم أن يحملوا الأمانـــة التي حمّلهم إياها «صَلَّـى اللهُ عَلَيْـهِ وَآلِهِ» حيث قـــال: (إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلـــوا: كتاب الله، وعترتي أهـــل بيتي)، وأن يخدموا الرسالة، وأن يحققوا للأمة مصالحها، مهما جرّ ذلك إليهم من ظلم وجور، وقد قال ســـيدهم علي «عَلَيْهِ السَّـلامُ»: (لقد علمتم أني أحق بها مـــن غيري، ووالله لأســـلّمنّ ما ســـلمت أمور المســـلمين ولم يكن فيها جور إلاّ عليّ خاصّة، إلتماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه).



١٩ رمضان ١٤٣٤ هـ - ٢٧ يوليو ٢٠١٣ مـ

التنمية.. قعقعة السلاح.. والانتخابات



غالباً ما تكون قعقعة السلاح هي الصوت الأعلى، ولذا فإننا عادة ما نقرأ سيرة أمير المؤمنين علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» في سنوات حكمه من خلال حروبه، ونهمل أن لعلي «عَلَيْهِ السَّلامُ» في تلك السنين إنجازات على مستويات مختلفة، من بينها إنجازاته على مستوى التنمية في المجتمع.

• التنمية الاقتصادية:

في بحار الأنوار أنه خطب «عَلَيْهِ السَّلامُ» ذات يوم فكان فيما قال: (إنه ما أصبح بالكوفة أحد إلا ناعماً) صاحب نعمة وافرة أو في رخاء (إنَّ أدناهم منزلةً ليأكل البُر) فلا جائع في الكوفة، بل والطعام الأدنى هو البُر، والبُر أرقى من الشعير الذي اعتاد العرب أكله (ويجلسُ في الظل) أي يمتلك سكناً ومأوى (ويشربُ من ماء الفرات). والإمام يتحدث عن الحالة الاقتصادية للكوفة بما هي مدينة كبيرة، بتنوعها البشري، وميولات أبنائها المتضاربة، وفي إحصاء أجراه زياد بن أبيه بين (٤٥هـ - ٥٣هـ) بلغ عدد المقاتلة فقط ممّن يفرض لهم العطاء ستين ألفاً، وعيالاتهم ثمانين ألفاً. وتتضح الصورة أكثر عند دراسة كتابه إلى عامله على مصر مالك الأشتر، حيث يتبين فيها للقارئ معالم التنمية الاقتصادية واتجاهاتها وأهدافها عند الإمام، وسأعرض جزئية الضرائب فقط حيث كتب: (وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فإن في صلاحه وصلاحهم

صلاحاً لمن سواهم ، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهلـه. وليكن نظرُك في عِمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمـارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خفَّفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم، ولا يثقلن عليك شئ خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك).

ولو أخذنا هـذه المفردة فقـط في مقارنة بين سياسـة الإمام علي التنموية وممارسـة حكومات كثير من دول العالم الثالث لأدركنا حقيقة التنمية وأهدافها في دولته «عَلَيْهِ السَّلامُ».

• الرعاية الاجتماعية:

ولها صـور كثيرة، كان يقـوم على بعضها بنفسـه، حيث يخرج في آخـر الليل متنكراً ليوصـل المسـاعدات إلى بيـوت الأرامل واليتامـى والضعفاء، كما كان يتفقد بنفسـه شؤون الناس المختلفة، وما كان ليسمح بوجود مَن يستجدي ويمد يد الحاجة، وعاش هَمَّهم ولو كانوا يعيشون بعيداً عن مقر حكمه، ولم يملـك أن يعرفهم ليصلهم بالمعونة، فاختار أن يواسيهم حيث قال: (ولو شئت لاهتديت الطّريق إلى مصفّى هذا العسـل و لباب هذا القمح، و نسـائج هذا القـزّ، و لكن هيهات أن يغلبنى هواي، ويقودنى جشـعي إلى تخيّر الأطعمة، و لعلّ بالحجـاز أو اليمامة من لا طمَع له فى القُرص، و لا عهد له بالشّـبع أو أبيـت مبطاناً و حولي بطـون غرثى، و أكباد حرّى أو أكون كما قال القائل:

و حسبك داء أن تبيت ببطنة
و حولك أكباد تحنّ إلى القدّ

أأقنع من نفسى بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم فى مكاره الدّهر؟ أو أكون أسوة لهم فى جشوبة العيش؟).

وأما من اطّلع على شأنه، فقد بادر لمساعدته، ففي كتاب التهذيب للشـيخ الطوسـي: (مرَّ شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين: ما هذا؟ قالـوا: يا أمير المؤمنيـن نصراني، فقـال أمير المؤمنين «عَلَيْهِ السَّلامُ»: اسـتعملتموه حتـى إذا كبر وعجز منعتموه، أنفقوا عليه من بيت المال). وفي هـذا النص دلالة على أن الناس في هذا الشأن كانوا سواسية عند علي باختلاف أديانهم، وقد أوصى مالكاً الأشـتر بذلك، وحثّـه على أن يعاملهم جميعاً بحنان الأب حيـث قال: (فإنهـم صنفان إما أخ لك فـي الدين وإما نظير لـك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك

وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه)، وسيأتي ما يؤكد الفكرة ذاتها في نص لاحق.

واستمر «عَلَيْهِ السَّلامُ» على ذلك حتى آخر لحظات حياته، ففي كتاب الاختصاص: (ثم دخل الناس عليه قبل أن يستشهد بيوم فشهدوا جميعاً أنه قد وفر فيئهم وظلَف عن دنياهم) أي كان في خشونة من العيش (ولم يرتش في إجراء أحكامهم، ولم يتناول من بيت مال المسلمين ما يساوي عقالاً، ولم يأكل من مال نفسه إلا بقدر البُلغة، وشهدوا جميعاً أن أبعد الناس منهم بمنزلة أقربهم منه).

• التنمية السياسية:

وفي مجال التنمية السياسية، نشهد عملياً حالة واضحة من التشجيع على نيل الأفراد حقوقهم السياسية بجانب التنظير ووعظ ولاته والقائمين على إدارة شئون دولته بضرورة الأخذ بذلك، وهو يقدِّم صورة مشرقة للحاكم الفذ الذي يقبل الرأي الآخر، بل ويشجعهم على التصريح بما في مكنون قلوبهم، ويتجاوز عن زلاتهم، وفي ذلك رسم لهم معالم الطريق لطبيعة حكمه والعلاقة المتبادلة بينه وبينهم، قال: (فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني بما يُتحفظ به عند أهل البادرة) الذين يبادرون بردود فعل غاضبة (ولا تخالطوني بالمصانعة) التملق والنفاق (ولا تظنوا بي استثقالاً في حقٍّ قيل لي، فإنه من استَثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يُعرض عليه كان العمل بها أثقل عليه! فلا تكفّوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي). وضَمِن الإمام للمعارضة حقوقهم الاجتماعية والدينية والاقتصادية والأمنية ما دامت معارضتهم سلمية، ففي كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي: (أنه خطب بالكوفة، فقام رجل من الخوارج فقال: لا حكم إلا الله، فسكت أمير المؤمنين، ثم قام آخر وآخر، فلما أكثروا قال: كلمة حق يراد بها باطل، لكم عندنا ثلاث خصال: لا نمنعكم مساجد الله أن تصلوا فيها، ولا نمنعكم الفئ ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بحرب حتى تبدؤونا).

• ظروف صعبة:

كل هذا وعلي «عَلَيْهِ السَّلامُ» عاش فترة حكم في ظل عدم استقرار سياسي وأمني معروف، فقد عاش فتنة حرب الجمل، ثم صفين ثم الخوارج في النهروان، ثم توالت هجمات السرايا التي كان يرسلها معاوية لأطراف حكم علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» حتى قال: (فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنَّت عليكم الغارات ومُلكت عليكم الأوطان. هذا أخو غامد، قد وردت خيله الأنبار وقُتل حسان بن حسان البكري

وأزال خيلكم عن مسالحها، وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعاثها ما تمنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين ما نال رجلاً منهم كَلْم ولا أريق له دم. فلو أن امرءً مسلما مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان عندي به جديراً).

فماذا لو كان الوضع مستقراً سياسياً وأمنياً؟ لاشك أننا كنا سنشهد إنجازات أكبر وأكثر.

• الكويت والانتخابات:

وهذا يجرنا إلى الحديث عن الاستقرار السياسي في الكويت في إطار السلطتين التنفيذية والتشريعية، فالكل مدرك أنه ما لم نشهد استقراراً في هذا الإطار، فلن تكون هناك تنمية حقيقة وفاعلة وعلى أسس علمية ومدروسة، وستستمر حالة التخبط في التعامل مع الوفرة المالية التي يعيشها الاقتصاد الكويتي، وهي وفرة مؤقتة كما يؤكد الخبراء. وجانب مهم من مسؤولية تحقيق هذا الاستقرار يقع على عاتقك أنت أيها الناخب، ولدي هنا رسائل قصيرة وسريعة:

١ـ لا نريد أن نتبرأ من انتماءاتنا المذهبية، ولكن دعونا لا نحوِّل هذه الانتماءات إلى معاول هدم للمجتمع من خلال توظيفها سلبياً في العملية الانتخابية. فباختيارك للمرشح الأفضل كفاءةً ووعياً ونزاهةً وتقوىً ووطنية، بعيداً عن عناوين التعصب الطائفي والقبلي والعرقي والعائلي، تساهم في تحقيق هذه التنمية التي طالما تشتكي من تعثرها.

٢ـ بيعك لصوتك يعني أنك قد بعت وطنك للفاسدين، وليس في الأمر أيُّ غطاء شرعي أو مبرر عقلي، ولا حق لك حينئذ أن تحتج على سلبية هنا أو خطأ هناك، فالذين يشترون الأصوات هم فاسدون لا محالة، ولن يعملوا إلا لمصالحهم، وبالتالي فإن المشتري مُدان كما البائع والوسيط بلا فرق.

٣ـ الولاءات المعلبة التي لا تأتي عن تفكير وتدبّر في من هو الأصلح، بل تأتي استجابةً لعصبية عرقية أو طائفية أو حزبية لن تغيِّر من المشهد شيئاً، وستعيد المجلس إلى سيرته الأولى.. ولو أن الناخب يعي تبعات صوته الذي يُدلي به في لحظة مُستصغَرة من الزمن، لشعر بثقل تلك اللحظة، ولفكّر مِن قبلُ وتدبَّر فيمن يستحق أن يضع ثقته فيه، ويسلِّم أزمَّة البلد بيده.. فكن حراً فيما تختار.

٤ـ إن سعي بعض الأطراف لدفع الناس للكفر بالعملية الديمقراطية يجب أن يدفعك للمزيد من الحماسة في الحفاظ على هذا المكتسب الشعبي الذي يمثّل حقاً كفله لك الدستور، وضمانة مهمة في أمن البلد واستقراراه وازدهاره.

القدس.. قضيتنا الكبرى

٢٦ رمضان ١٤٣٤ هـ
٣ أغسطس ٢٠١٣ مـ



﴿قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾[يوسف:٨٥].. طال الزمن بالقضية الفلسطينية حتى بات كثيرون يتحدثون بنفس هذه النبرة عندما يتناول أحدنا هذه القضية. [تالله تفتأ تذكر فلسطين حتى تكون حرَضاً (لا ميت فيُنسى، ولا حي فيُرجي) أو تكون من الهالكين.. إلى متى ستبقى تحمل همَّ هذه القضية؟! وقد طواها النسيان، وطغت على المشهد في المنطقة أحداثٌ أكثر سخونة ودموية.. من سوريا إلى مصر فليبيا فتونس فالعراق.. أما آن الوقت لكي يتم طي صفحة هذه القضية، فتتفرغ المنطقة لمستجدات قضاياها ومعالجة أوضاعها المأساوية وبناء مستقبلها؟ هذا هو الواقع، وعلينا أن نقبل به كما هو، وإلا سنبقى في وحول الماضي التي ستعرقل حركتنا للأمام، أو نغوص فيها تدريجياً حتى تبتلعنا!].

لعل كثيرون هم الذين باتوا يفكرون بهذه الصورة، ويقتنعون بهذه الفكرة، وإن منعَهم الحياء أو الخوف من التصريح به.

• بين العقيدة والأخلاق:

ولكن الذي يتعامل مع القضية لا من منطلق سياسي تحليلي، أو كحدث عرَضي

أصـــاب جزء من الأمـــة، أو بنظـــرة تفكيكية ترى أن ينشـــغل كلٌّ في حدوده الوطنية.. بل من منطلقٍ عقائـــدي يقوم على وعيً للصراع الذي تعيشـــه الأمة الإسلامية ـ ومركزُ وقلبُ هذا الصـــراع هو القضية الفلســـطينية ـ لن يقبل بهـــذا المنطق ولو تخلى الجميع عنها، وأداروا لها ظهورهم.

• فلسطين المغتصبة:

وهكذا هو الحال فيمن يتعامل مع القضية من منطلق أخلاقي لا يسمح له بالقبول بكل الجرائم التي ارتُكبت وما زالت تُرتَكب في إطار العدوان على الفلســـطينيين، وسياســـة التمييز بحـــق (فلســـطينيي ٤٨)، واغتصاب الأراضي، وبناء المستوطنات، وإحكام الخناق علـــى أبناء الضفة وغزة، ومـــا تقوم به مؤخراً من تغيير بطاقات هويَّة المقدســـيّين، بحيث صـــارت تحمل صفـــة (مقيم) فـــي المدينة، وليس صفة مواطن، وتحديد صلاحيّتها بعشر سنوات فقط! علماً بأن السلطات الصّهيونيّة، ومنذ احتلال القدس، سحبت بطاقة الهويّة من نحو ١٥ ألف مقدسيّ، وأحالتهم إلى لاجئين! وغير ذلك من الجرائم التي لا يمكن لها أن تسقط مهما امتد بها الزمن.

• يوم القدس:

ومن هنا كان التاســـع من أغسطس من عام ١٩٧٩ يومـــاً مشـــهوداً، إذ انطلق الاحتفاء بيوم القـــدس العالمي، بنداءٍ مـــن الإمام الخميني معتبـــراً إياه (رمـــز مواجهة المســـتضعفين للمســـتكبرين)، وباعتبار القضية الفلسطينية القضيـــة المركزية التي يجـــب أن تبقى حية وفاعلة، لأن (مســـألة القدس ليســـت مسألة شخصية، وليست خاصة ببلدٍ ما ولا هي مسألة خاصة بالمسلمين في العصر الحاضر بل هي قضيـــة كل الموحدين والمؤمنين في العالم، الســـالفين منهم والمعاصرين واللاحقين) بحسب الإمام الخميني، ولأن (إسرائيل تعتبر بنظر الإســـلام والمســـلمين وكلّ الموازين الدولية غاصبـــة ومعتدية، ونحن نرى أن من غير الجائز التهاون والتســـاهل في الوقوف بوجه اعتداءاتها.. لقد قلت مراراً ولا بدّ أنكم ســـمعتموني: أن إســـرائيل لن تكتفي بهذه الاتفاقيات، وإنها تعتبـــر الحكومات العربية من النِّيل إلى الفرات حكومات غاصبة).

• موقف مبدئي:

بمثل هذا الوضوح فـــي الرؤية دعم الإمام الخمينـــي القضية الفلســـطينية قبل انتصار الثورة الإســـلامية في إيران، وذلك حين كان في منفاه في النجف الأشرف، وقد أطلق فتواه بكل قـــوة بلزوم نصرة القضية الفلســـطينية، وجواز المساهمة مالياً من خلال (الخمُس) لدعـــم المقاومة الفلســـطينية، والتي تمثلت آنذاك في منظمة التحرير الفلسطينية. يومها

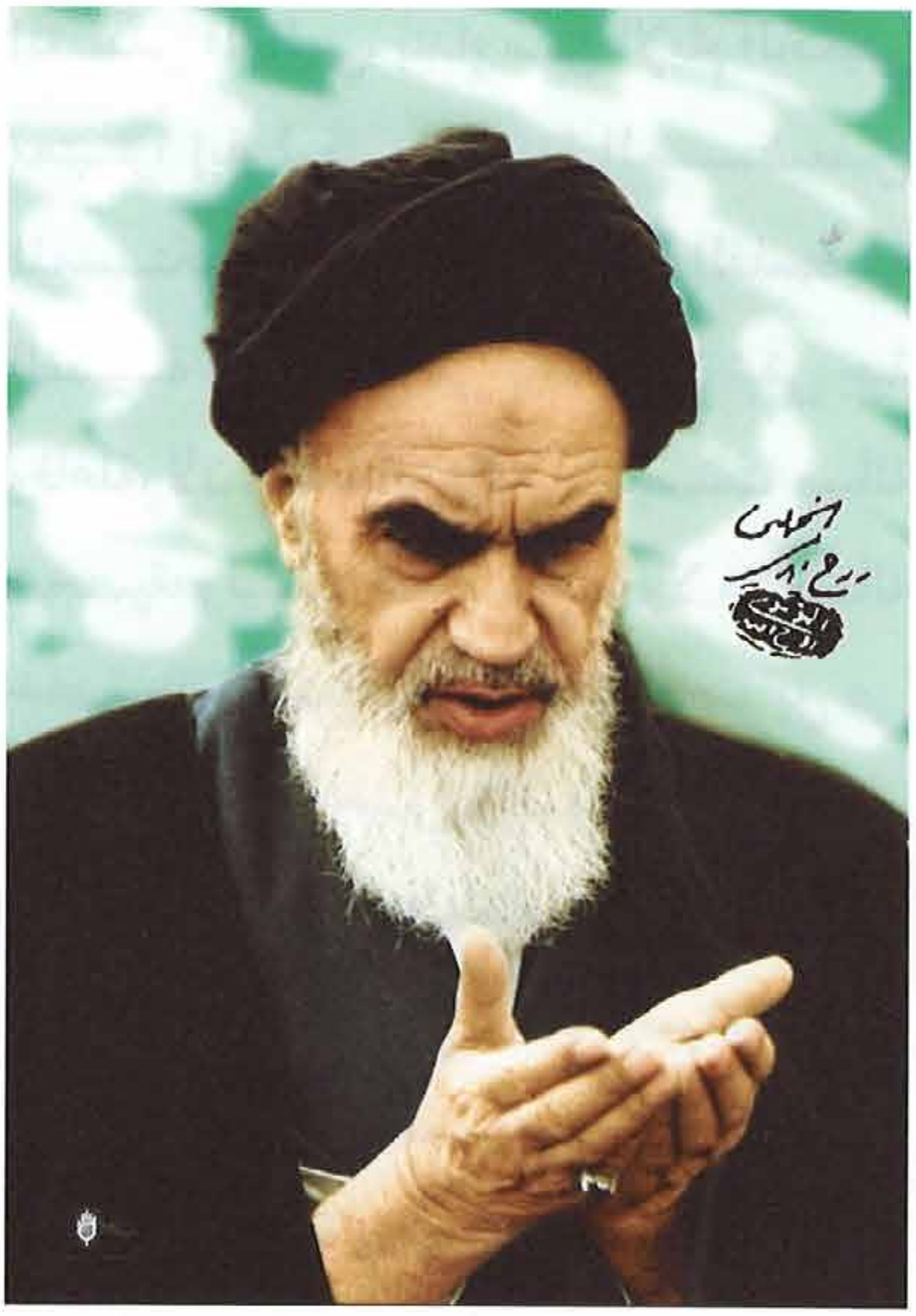

يوم القدس العالمـــي الذي يمثّل واحدة من المحطّات التي يستذكر بها العالم الإسلامي ظُلامة الشعب الفلســطيني، وجرائم الكيان الصهيونـــي الغاصـــب، ومحوريـــة القضية الفلسطينية.

• دلالات مهمة:

ويمكـــن القـــول أن مـــن دلالات اهتمامه النوعي بالقضية الفلســطينية تأصيل حقيقة أن الاختـــلاف المذهبي لا يجـــب أن يكون عائقاً أمام نصرة المســـلم مهمـــا كان انتماؤه المذهبي، ولا مانعاً من تبنّي قضايا المسلمين، بل والمستضعفين في الأرض، مهما ابتعدت المسافات.

لم يكن لدى الإمام الخميني لا مصالح حزبية ولا فئوية ولا مذهبية ولا قومية ولا حتى ذاتية حتى تضطره لاتخـــاذ مثل ذلك الموقف، بل كان الانتصـــار لهـــذه القضيـــة ـ بالموازين الماديـــة ـ تجـــارة خاســـرة.. ويومها لم تكن لـــه دولة يحكمهـــا، ولا إعلام رســـمي يتبنى خطاباته، ولا تكتيـــكات حكومات قد دخلت بعدُ في حســـاباته.. كما لم تكن قيادة النضال بيد الإسلاميين.

واستمر هذا الدعم حتى إذا انتصرت الثورة تجلّت الصورة بشـــكل أوضح في اتجاهات عديـــدة، ذات أبعاد سياســـية ودينيـــة وثقافية وإعلامية وعســـكرية، كان مـــن بينها إطلاق



فالتدين الحقيقي والواعي إنما يُختبَر بمدى الالتزام بقضايا الأمة المركزية، وتحديداً في عالم السياسة والنضال، وليس في عالم التجريد والتنظير والانتظار السلبي للفرج، تهرباً من تحمل المسؤولية.

• دعاء الثغور:

ولذا تجاوز الإمام الخميني الفروقات التي تمزّق الساحة الإسلامية، واعتمد مرجعية القرآن ومبادئ الإسلام في تكوين رؤاه حول أنبل قضية عرفتها الأمة الإسلامية في غضون القرن الأخير من عمرها. وكأني به يستحضر روحية الإمام علي بن الحسين زين العابدين «عَلَيْهِ السَّلامُ» ومبادئه وهو يرفع يديه بالدعاء لنصرة جيوش المسلمين في مواجهة أعدائهم، دون أن يكون لحقيقة أنها تحت إمرة الدولة الأموية المعروفة بعدائها لأهل بيت النبوة: (اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَتِكَ، و أَيِّد حُماتَها بقوتك، وَأَسْبِغَ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ. اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ، وَاحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ، وَامْنَعْ حَوْمَتَهُمْ، وَأَلِّفْ جَمْعَهُمْ، وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ، وَوَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ، وَتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مَؤَنِهِمْ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَأَعْنِهُمْ بِالصَّبْرِ، وَالْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ. اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَعَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ، وَعَلِّمْهُمْ مَا لاَ يَعْلَمُونَ، وَبَصِّرْهُمْ مَا لاَ يُبْصِرُونَ. اللهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَآئِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ، وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ، وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ نَصْبَ أَعْيُنِهِمْ وَلَوِّحْ مِنْهَا لأِبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ..).

• القلب النابض:

وبمثل هذا الإيمان الراسخ والبصيرة الواعية فلنتعامل مع القضية الفلسطينية، ولتبقَ القدس على وجه الخصوص في البال، فلا تغيب أمام الأوضاع السياسية التي تحيط بالمنطقة، فالكيان الصهيوني وحلفاؤه يعملون على أساس إبعاد قضيّة القدس عن أيّة مفاوضات، حتى تستكمل إسرائيل عمليّة الاستيطان اليهوديّ في المدينة المقدّسة، بحيث لا يبقى هناك شيء يُتفاوض عليه.

فلتبقَ فلسطين بقدسها قلب قضايانا النابض بجراحاته الغائرة.. تماماً كالنبي الكريم يعقوب «عَلَيْهِ السَّلامُ» حين ووجه بذلك اللوم والتخويف من الهلكة فقال بروحية الإنسان المتفائل توكلاً على الله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ، يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[يوسف:٨٦-٨٧].

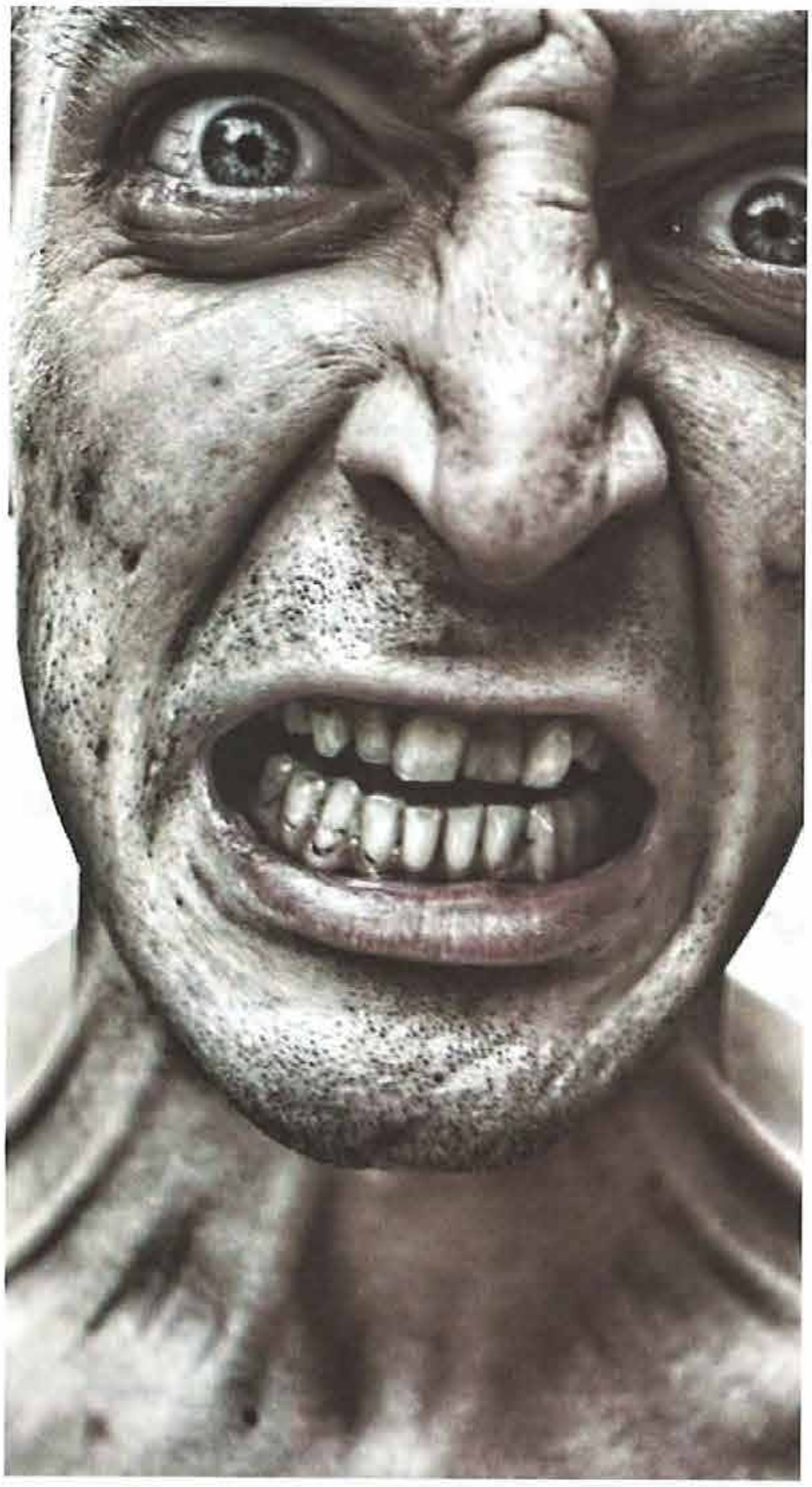

كيف نواجه التعصب؟

٣ شوال ١٤٣٤ هـ
١٠ أغسطس ٢٠١٣ مـ

عُرِّف التعصب بأنه شعور داخلي يجعل الإنسان يرى نفسه على حق ويرى الآخر باطل. وينعكس هذا الشعور بصورة ممارسات ومواقف ينطوي عليها احتقار الآخر أو عدم الاعتراف بحقوقه أو إنسانيته، بل قد يصل إلى حد عدم الاعتراف بوجوده!

• منبع الخطر:

وإذا كان الإنسان أحياناً يُبتلى ببعض الأمراض أو ببعض الخلل في الجانب الروحي أو النفسي أو الفكري بحيث يُربك حياته أو يؤذيه شخصياً، وهذا سئ في حد ذاته ويحتاج إلى علاج، إلا أن الأسوأ من ذلك أن يُبتلى بما يتجاوز آثاره الشخص نفسه، فيؤثِّر على الآخرين سلبياً ولربما لمديات بعيدة جداً وخطيرة جداً.. والتعصب هو من هذا النوع الثاني. وقد تقرر في علمي النفس

والاجتماع أن للمتعصب سمات من أهمها:

- اللجوء إلى العنف لتحقيق الغايات
- التمركز حول الذات وعدم تقبل الحوار
- الغرور والتمسك بالباطل
- عدم الموضعية في تناول القضايا الخلافية
- التسلط والجمود في التفكير

ومن الواضح أن هذه السمات كفيلة بأن تترك آثاراً مدمرة في الوسط الذي يتفاعل معه صاحب الشخصية المتعصبة. وإنما قلت (يتفاعل معه) ولم أقل (يعيش فيه) لأن الواقع يشهد بأن تأثير مثل هذه الأمراض يتجاوز الزمن من خلال كتاب يؤلفه ويحمل أفكاره، كما ويتجاوز المكان من خلال تسجيل فيديو يبثه مشحوناً بانعكاسات تعصبه. ولك أن تتخيل المدى التخريبي للشخصية المتعصبة فيما لو كان يملك موقعاً قيادياً متقدماً على المستوى السياسي أو الإداري أو الديني أو غير ذلك.

• مكوّنات التعصب:

يذكر علماء النفس أن مكوّنات هذا التعصب ثلاثة: معرفية وانفعالية وسلوكية.

١ـ المكوّن المعرفي: أي الإدراكات والمعتقدات والتوقعات في ذهن المتعصب تجاه الطرف الآخر، وغالباً ما تكون بصورة قوالب نمطية. أي أنه يكوّن تصوره عن فئة معينة من خلال سلوك شخصي معين، أو سلوك مجموعة قليلة من الأشخاص ممن ينتمون إلى فئة، فيعممها على كل أفراد تلك الفئة.

٢ـ المكوّن الانفعالي: وهو يشتمل على المشاعر السلبية، مثل الازدراء والحسد والكراهية.

٣ـ المكوّن السلوكي: أي الممارسات والمواقف العملية التي يسعى المتعصب لاتخاذها ضد الآخرين. بدءاً من المقاطعة وتجنب التعاطي معهم، إلى التمييز الضار، حيث يأخذ المتعصب على عاتقه السعي لمنع المستهدفين من الحصول على التسهيلات والامتيازات التي يتمتع بها الآخرون، كفرص التعليم، والوظائف العالية، وقد تتطور الحالة إلى سلوك عنفي يتمثل في العدوان الجسماني والسطو على الممتلكات.

• التعصب الجماعي:

وبمقدار خطورة أن يتسم صاحب الموقع المتقدم بالتعصب، فإن التعصب الجماعي لا يقل خطورة عن ذلك، إن لم نقل بأنه أخطر حتماً. فقد نجد أحياناً فئةً اجتماعية أو حزباً أو تياراً أو ديناً أو مذهباً قائماً على التعصب.. فأي أثر مدمّر لذلك؟

ولكن السؤال المهم في البين: هل يُفتَرض بالدين الإسلامي أن يبني شخصية متعصبة؟ لابد بداية من أن نفرق بين ضرورة تمسك

الإنســـان بدينه الذي اختاره عن قناعة وإدراك، مع الالتزام بتعاليمه وأحكامه، وبين التعصب.

• تعصب أم التزام:

كما لابد من الانتباه إلى أن بعض النصوص الدينية تتحدث عن التعصب والعصبية وهي لا تريد المعنى السلبي الذي نتحدث عنه، بل تقصد التمسك الشديد الذي لا يقبل الإنسان معه التنازل عن شـــئ ما، لأنـــه يعتبره أهم أو أرقى أو أعلى شأناً من أقرانه، وذلك من قبيل قول الإمـــام علي «عَلَيْهِ السَّـلامُ» في ذم العصبية كما في نهـــج البلاغة: (فإن كان لابد من العصبية فليكـــن تعصبكم لمـــكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاســـن الأمور التي تفاضلت فيها المُجـــداء والنُّجـــداء من بيوتـــات العرب... فتعصبـــوا لخلال الحمد، مـــن حِفظ الجوار والوفاء بالذِّمام والطاعة للبِر والمعصية للكِبر، والأخذ بالفضل، والكف عن البغي) لأن مثل هذا الارتباط الشـــديد لا يجعـــل (المكوّن المعرفي والانفعالي والسلوكي) في الاتجاه السلبي، بل على العكس من ذلك.

وتتضح الصورة أكثر في ما روي عن الإمام زين العابدين «عَلَيْهِ السَّلامُ» أنه قال: (العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرّجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم).

• الدين والتعصب:

المفترض بتتبع النصوص الدينية وســـيرة النبي «صَلَّـى اللهُ عَلَيهِ وَآلِـهِ» أن نصل إلى قناعة مفادها أن العصبية فـــي إطار المفهوم الذي نتحدث عنه أمر مبغوض ومرفوض، وقد كتب عن هذا كثيـــر من العلماء والباحثين، وقد قال «عَـزَّ وَجَلَّ» في ذم المشركين: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[الفتح:٢٦].

وعن النبي الأكرم «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ»: (من كان في قلبه حبّة من خردل مـــن عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية).

وعن الإمام جعفـــر الصادق «عَلَيْهِ السَّـلامُ»: (من تعصّـــب أو تُعصّب له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه).

ولكننا مع هذا نجـــد للعصبية حضوراً، لا على المســـتوى العرقي والقومـــي والقبلي فحسب، بل حتى على المستوى الديني، وهو ما يهمني هنا.. فأين يكمن الخلل؟

هناك أسباب عديدة، منها:

١ـ سبب شـــخصي، كأن يكون ذا شخصية متعصبة في شتى الأمور.

٢ـ ســـبب ظرفي، كأن يكـــون تعصبه نتيجة ردود فعل معينة على أوضاع قائمة.

٣ـ سبب بيئي، كأن يتواجد في بيئة متعصبة فيتأثر بها وينساق وراءهم ملغياً عقله.

٤ـ ســـبب معرفي، كأن يكون جاهلاً بحقيقة

تعاليم الإسلام. أو أن يمارَس بحقِّه التجهيل في نفس الوقت ويُزرع في نفسه التعصّب من قبل من يفترض بهم أن يحملوا المعرفة الدينية.. والنتيجة أن يكون جهله وتعصبه نابعين من علماء الدين أنفسهم!

وهذا من أخطر الأسباب، لهالة القداسة التي يحملها في النفوس. أما كيف يتحقق ذلك، فمردّه إلى عدة أمور:

١ـ جهل مَن يُعنون نفسه بعنوان عالم الدين، فيقدم معلومات مغلوطة إلى الآخرين.

٢ـ وقد يمتلك من المعرفة شيئاً كثيراً ولكن لا تقوى له بتاتاً، إذ ليس بالضرورة أن يكون كل عالم متقياً يخاف الله.

٣ـ وقد يمتلك من المعرفة شيئاً كثيراً، ولكنه يتسم بشخصية متعصبة لذاته أو لقوميته مثلاً، فينعكس ذلك على التعاليم التي يقدمها، وعلى الصورة السلوكية التي يقتدي بها الآخرون ويقلدونها.

• التخلص من التعصب:

إن من أهم عوامل التخلص من التعصب الديني عند المسلم هو الخروج من حالة الجهل إلى المعرفة، فالتعصب قرين الجهل، وثمرة من ثماره.

أما المعرفة القائمة على أصول سليمة فستقود الإنسان إلى اكتشاف أن المجال المعرفي ملئ بالآراء والأفكار المتعارضة، وأن لكلٍّ دليله وحجته التي يعتبر أنها كافية للرأي الذي كوّنه، ويجعله معذوراً أمام الله.

وينـدر أن تجد أمراً في حقول المعرفة الدينية دون أن تجد فيه اختلافاً بين العلماء والمفكرين.

بل لربما أجمعوا على أمر، ثم برز بعد زمان طويل من يملك الدليل على خطئهم في ما أجمعوا عليه! لأن أكثر ما بيد الناس من المعرفة الدينية هي ظنية، ونتاج جهود بشرية قد تخطئ وقد تصيب، أما دائرة المسلّمات والضروريات الدينية فضيقة جداً.

إن من حقك أن تتبنى هذا الرأي أو ذاك ما دمت مقتنعاً به عن بصيرة وفهم، كما أن من حقك أن تتناقش مع مَن يختلف معك وبأسلوب علمي، ولكن ليس من حقك أن تتعصب لرأيك، لتُسفِّه مَن سواك، أو تتجاهل ما عداه، أو أن تصبح عدوانياً بالقول أو الفعل انطلاقاً من التعصب، فلربما امتلك الآخرون الحقيقة وفقدتها أنت.

وتذكر أنك مسؤول أمام الله «عَزَّ وَجَلَّ» القائل: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا﴾[الإسراء:٣٦] فكيف ستكون المحاسبة في ذلك اليوم لو لم تتوقف أنت عند حد الاقتفاء للظن، بل تجاوزته إلى التعصب؟

تخاريف !

١_٥



١٠ شوال ١٤٣٤ هـ ـ ١٧ أغسطس ٢٠١٣ مـ

لم ترد كلمة (خرافة) باشتقاقاتها في القرآن الكريم، وإن كان المراد منها قد ورد ذكره من خلال استعمال كلمة (أساطير) التي جاءت هكذا ـ بصيغة الجمع ـ في كل مواردها.

والأسطورة في (مفردات) الراغب الأصفهاني: بمعنى الكذب. وفي بعض المصادر أن أصله من السَّطْر، وهو الصف من الكتابة أو الشجر أو الناس، غلب استعماله فيما جُمِع و نُظِّم و رُتِّب من الأخبار الكاذبة.

أما الخرافة بالدقة اللغوية كما في (لسان العرب) لابن منظور فهو: (الحديثُ المُستَملَحُ من الكذِبِ... ذكر ابنُ الكلبي في قولهم حديثُ خُرافة أن خرافة من بني

عُــذرة أو من جهينة، اختطفته الجن، ثم رجع إلى قومه فــكان يُحَدِّثُ بأَحاديــثَ مما رأى يَعْجَبُ منها الناسُ فكذَّبوه فجرى على ألسُن الناس).

وهل لخصوصيــة (المُســتَملَحُ) دخْلٌ في عدم اســتعمال القــرآن الكريــم لمصطلح (الخرافة)، أم أنه لم يكن شــائعاً اســتعماله في عصر نزول القرآن الكريم، فهذا بحث لا يهمنا الآن كثيراً.

• نماذج قرآنية:

وقــد جاء القــرآن بنماذج مــن الخرافات والأساطير التي كانت عند العرب وعند أهل الكتاب بمــا يمس العقيدة أو الشــريعة أو التاريخ، ومنها:

• فــي العقيدة: ﴿وَجَعَلُوا لله شُــرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُــمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِيــنَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾[الأنعام:١٠٠].

• في الشــريعة: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَــتْ ظُهُورُهــا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْــمَ اللهِ عَلَيْهَــا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَــيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[الأنعام:١٣٨].

• في التاريخ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَــى مُلْــكِ سُــلَيْمَانَ وَمَــا كَفَرَ سُــلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّــيَاطِينَ كَفَــرُوا يُعَلِّمُــونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾[البقرة:١٠٢].

• نماذج من السيرة:

وفي ســيرة النبي وآله «عَلَيْهِــم السَّــلامُ» أجمعين نمــاذج من محاربة الخرافة، ويأتي قول النبي المروي: (ليــس منّا من تطيَّــر أو تُطيِّر له) كمثال علــى ذلك. ولما مــاتَ إبراهيم ابنه، اتفق ان انكســفت الشــمس في ذلك اليوم، فذهــب المولعون بالخرافــة إلى ربط تلك الظاهرة بموتــه كدليل على عظمة المصاب، فبادر النبي لردّ ذلك، وقدّم القاعدة في الباب قائلاً كما روي عنه: (أيُّها الناس، إنَّ الشمسَ والقمر آيتــان من آيات الله يجريــان بأمره، ومطيعان له، لا ينكســفان لمــوت أحد، ولا لحياتِه، فإذا انكسفا أو أحدُهما صلّوا).

بل إن المنقول من الســيرة يبيّن أن النبي الأكرم «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِـهِ» كان معارضاً للخرافة منذ نعومة أظفاره، وقد رُوي عن حليمة الســعدية مرضعته أنه رفــض أن يرتدي خيطاً فيه جزع يمانيــة، وهي من التمائم التــي كانت تعلّق للحفظ، فنزَعَها، وقال: (مَهْلاً يا أماه، فَإِنَّ مَعِيَ مَنْ يَحْفُظنِي).

وعلى هديه ســار أهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ»، ففي نهــج البلاغة أنه لما عزم الإمام علي «عَلَيْهِ السَّــلامُ» على الخــروج لحرب الخوارج في النهروان قال له أحدهم: (يا أميرالمؤمنين، إن ســرتَ في هذا الوقت، خشيتُ ألاَّ تظفر بمرادك، من طريق علم النجوم) فقال «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (أتزعُم أنك

تهدي إلى الساعة التي مَن سار فيها صُرف عنه السوء؟ وتخوِّف من الساعة التي مَن سار فيها حاقَ به الضُّر؟ فمن صدّقك فقد كذّب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله «عَزَّ وَجَلَّ» في نيل المحبوب ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعامل بأمرِك أن يولِّيك الحمد دون ربِّه، لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمِن الضر؟) ثم أقبل على الناس فقال: (أيها الناس، إياكم وتعلّم النجوم) التنجيم **Astrology** (إلا ما يُهتدى به في بر أو بحر) أي في المنحى العلمي كعلم الفلك **Astronomy** (فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجِّم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كافر، والكافر في النار. سيروا على اسم الله).

والغريب أن كثيرين في الدوائر المتديّنة يلجؤون إلى الاستعانة بمثل ذلك الجزع وبالتنجيم وبالحوادث الكونية في أمور الحفظ واستكشاف المستقبل وقراءة الطالع وما إلى ذلك مما عمل القرآن والنبي والآل على محاربته! ولربما ساعدت كتب التراث الإسلامي أحياناً، والخطاب الديني في أحيان أخرى على ذلك كما لا يخفى!

• غزو ثقافي:

وقد شهد المجتمع الإسلامي بعد عهد النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» غزواً ثقافياً واسعاً للأسطورة من خلال الموروث الشعبي الجاهلي، والإسرائيليات وأساطير الرومان وفلسفة الإغريق ومن الزرادشتية والمانوية والهندوسية في عهد الفتوحات، بالإضافة إلى دور القصّاصين الذين كانوا يتكسّبون مادياً من خلال حكاية الأساطير كمصدر رزق لهم.

وبالتالي امتلأت بها كتب المسلمين المدوَّنة في باب تفسير القرآن والحديث والعقيدة والتاريخ والسيرة والفقه والأدب واللغة وسواها، ورسخت في خلفياتهم الثقافية الكثير من الأساطير، ومن بينها تلك التي عرّض بها القرآن الكريم صراحة، كالإيمان بأن الجن يعلمون الغيب: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾[سبأ:١٤].. أو تلميحاً، كما نجده في تكرار كلمة (بالحق) في قوله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِ﴾[المائدة: من الآية٢٧] وفي قوله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً﴾[الكهف:١٣] تعريضاً بالقصص الأسطورية المتعلقة بتلك الأحداث.

وما قصص الخلق والعقل الأول، وابني آدم والتنافس على زوجة المستقبل، وداود وأوريا

وزوجتــه، والخَضِــر وماء الحياة، وســليمان والخاتــم والسِّــقط، وأمثال ذلــك إلا أمثلة يسيرة من الأساطير التاريخية، ولبعضها بُعد عقدي كما لا يخفى.

وقد ساعدت عملية تحريف مفاهيم بعض الآيــات على اســتعمالها فــي الدلالة على القصــص الخرافية والأســاطير التي باتت متفشــية بين المسلمين في العصر الحاضر، ومــن ذلك ما جــاء في قــوله «عَزَّ وَجَلَّ» : ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْــرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَــيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[الزخرف:٣٦]، حيث اصطنعوا قصصاً عن الجن الذي يراه الإنسان ويعاشره معاشــرة البشــر وتأثيراته التي تتجاوز حد الوسوسة وما إلى ذلك من أساطير عادت من الباب الذي أُقصيت منه.

• الجهل والسطحية:

ولــذا فإن من أســباب عــودة الخرافة من الباب الــذي أُقصيت منه، هو الفهم الخاطئ أو الســاذج والســطحي لبعــض النصوص والمقولات الدينية، فالســطحية ـ ولا ســيما على صعيد الدين ـ تشــكل عائقاً أمام إدراك كنــه المعــارف الدينية والحقائــق الإلهية، ومرتعاً لتنامــي الخرافة والانحراف الفكري وظهور البدع، الأمر الذي يســتدعي التحقق والسؤال والبحث في إطار المصادر الموثوقة قبل تحويل الظن إلى معتقَد، وقد قال «عَزَّ وَجَلَّ» ﴿وَإِنْ تُطِــعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَــبِيلِ اللهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّــنَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ﴾[الأنعام:١١٦] وقال «عَزَّ وَجَلَّ» : ﴿وَمَا لَهُــمْ بِهِ مِنْ عِلْــمٍ إِنْ يَتَّبِعُــونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾[النجم:٢٨].

ومن جهــة أخرى فإن التخلي عن مرجعية القرآن الكريــم بفهمه الصحيح يمثّل عاملاً آخر لعودة الخرافة من ذلك الباب، وهو الأمر الذي طالما أكّــد عليه أهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» فــي مقابل الغزو الثقافي للبدع والأســاطير معتبرين أن: (كُل حَديثٍ لا يُوافِقُ كتابَ الله فهو زُخرُف) و: (انظروا أمرنا وما جاءكم عنا، فان وجدتموه للقرآن موافقا فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردّوه..).

ويضــاف إلى ما ســبق ميل الإنســان إلى اكتشــاف المجهــول، والســبر فــي أغوار الماضي، والنزوع إلــى معرفة الغيبيات دون ضوابط تحكم هــذه العملية، وإطلاق العنان للقــوة التخيلية، تســاعد بكلهــا على عودة الخرافة، ولربمــا كان التعبير بـ ﴿وَمَا تَهْوَى الأَنْفُــسُ﴾ في الآية التالية حكاية عن شــئ من ذلك: ﴿إِنْ هِيَ إِلا أَسْــمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[النجم:٢٣].

وللحديث تتمة..



• المعجزة والخرافة:

تخاريف!

٢_٥

(برمنجهام)

١٧ شوال ١٤٣٤ هـ

٢٤ أغسطس ٢٠١٣ م

لاشك بأننا كمسلمين نؤمن بالمعجزة، كوسيلة من الوسائل التي أراد الله «عَزَّ وَجَلَّ» أن يؤيد بها بعض أنبيائه «عَلَيْهِم السَّلامُ» في مواجهة المنكرين، إما لإحداث الصدمة المخيفة التي تفتح عقولهم وتخرجهم من حالة الغفلة إلى حالة الوعي للحقيقة الماثلة أمامهم، كما في قوله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾[الإسراء:٥٩]، ليكون ذلك تمهيداً للاستماع إلى دعوة ذلك النبي والتفكر فيها.. أو لإنقاذ ذلك النبي من هلكةٍ دبّرها له أعداءه كما في قصة إبراهيم «عَلَيْهِ السَّلامُ» والنار: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ، قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ، وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:٦٨-٧١]، وفي قصة موسى «عَلَيْهِ السَّلامُ» واليم: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمَ، وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ، وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ

أَجْمَعِينَ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:٦٣-٦٧].. مع التأكيد على أن الرسالات السماوية تعتمد في دعوة النـاس إلى الإيمان علـى الاقتناع بالدليل الفطري أو العقلي، لا على المعاجز. وهكذا فإننا نؤمـن بالكرامة، وهي أمور تقع على خلاف ما اعتاد عليـه الناس وأَلِفوه في زمانهـم، دون أن تبلغ حد الإعجاز، ودون أن ترتبط بدعوى النبـوة، وذلك من قبيل نزول الرزق على السـيدة مريم «عَلَيْهَا السَّلامُ»: ﴿كُلَّمَا دَخَـلَ عَلَيْهَـا زَكَرِيَّا الْمِحْـرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَـمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَـاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمـران:٣٧].. والفرق واضح بين معجزة انشـقاق الصخرة وخروج الناقة، أو انشقاق البحـر بضربةٍ من عصا، وبين الحصول على فاكهة الصيف في الشتاء.

• ملاحظات مهمة:

ولكي لا تختلط المعجزة والكرامة بالخرافة في الذهنية العامة عند الناس، لابد من إدراك الحقائق التالية التي قررّها العلماء والباحثون من خلال النصوص القرآنية والأدلة العقلية والسنة المحقَّقة:

١ـ المعجزة حالة استثنائية في دورة الحياة وفي تصرفات بعض الأنبياء.

٢ـ المعجزة خـلاف الأصل، وما هو كذلك فإنه سيحتاج إلى دليل قطعي لإثبات حصوله.

٣ـ المعجـزة لا تكون إلا للأنبياء «عَلَيْهِم السَّلامُ» قال العلامة جعفر السبحاني: (إن الإتيان بما هو خارق للعادة لا يسـمى معجزة إلا إذا كان مقترناً بدعوى النبوة).

٤ـ كان الأنبيـاء أحيانـاً إذا ما طلب النّاس منهـم معجزةً، لا يسـتجيب الله لطلبهم، بل يأتي الجواب: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَراً رَّسُولاً﴾[الإسـراء:٩٣]. أي أنّ الحياة لا بدّ من أن تسـير وفق منطق السّـنن، ومنطق العلّة والمعلوليّة.

٥ـ التسـاهل فـي قبـول أخبـار المعاجز والكرامات يؤدي إلى خلق عقلية تختلط فيها المفاهيم، وتتداخل فيها المعاجز والكرامات من جهة بالخرافات والأوهام من جهة أخرى.

٦ـ المعاجز بيد الله لا بيد أحد وإن كان نبياً، وقد قال «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُـرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًـا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيـلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا﴾ إلى قوله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿قُلْ سُـبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾[الإسراء:٩٠-٩٣]. وأوضح منه ما جاء في قوله «عَـزَّ وَجَلَّ»: ﴿وَقَالُوا لَـوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ، أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[العنكبوت:٥٠-

٥١]، وقد قال العلامة الطباطبائي في تفسيرها: (اقتراحٌ منهم أن يأتيهم بآيات غير القرآن، تعريضاً منهم أنه ليس بآية و زعماً منهم أن النبي يجب أن يكون ذا قوة إلهية غيبية يقوى على كل ما يريد... ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللهِ﴾: جواب عن زعمهم أن من يدعي الرسالة يدعي قوة غيبية يقدِر بها على كل ما أراد، بأن الآيات عند الله ينزلها متى ما أراد و كيفما شاء لا يشاركه في القدرة عليها غيره).

• نتائج حاسمة:

حين نأخذ بعين الاعتبار الملاحظات السابقة وبكل دقة وجدّية، ستتضيق الدائرة كثيراً على القصص والأخبار التي يتداولها الناس حول وقوع «معجزة» هنا أو «كرامةٍ» هناك، (بيّنت مسبقاً أن عهد المعاجز قد انتهى وذلك بوفاة خاتم النبيين محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ»)، وعلى كثيرٍ من الروايات المنتشرة في الكتب التراثية (التفسير والحديث والتاريخ والأدب و...) عن أحداثٍ جرت، وخوارق وقعت، وذلك إما لضعف تلك الروايات من الناحية السَّنَدية، أو لكونها استثناءً ومتعارضة مع الأصل الذي ذكرناه مسبقاً وهو أن مجريات الأحداث في الحياة تسير وفق القوانين والسنن، وأن أي ادّعاء على خلاف ذلك سيحتاج إلى برهانٍ قاطع أو يُطمأن إليه لإثباته. وبذا تتحول الكثير من تلك الأخبار والحكايات والروايات إما إلى خرافات وأساطير، أو إلى حوادث اعتيادية يتم تهويلها وإخراجها عن سياقها الطبيعي لغرضٍ ما أو تحت ضغطٍ نفسي معيّن، أو أنها تبقى في دائرة الاحتمال لا القطع واليقين، ويوكَل علمها إلى الله «عَزَّ وَجَلَّ» فتفقد بالتالي أثرها الحاسم في تلك الادعاءات.. مع التأكيد مجدداً على إمكانية وقوع الكرامة لعدم ارتباطها بعهد النبوات، ولكن إثبات وقوعها لأحد يحتاج إلى دليل يُطمأن إليه، لا مجرد الحكاية والنقل والادعاء.

• مُلك سليمان:

ينطلق البعض من القصص القرآني حول النبي سليمان «عَلَيْهِ السَّلامُ» كما في قوله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ، يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٢-١٣] وفي قوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾[النمل:٣٩] وغيرها من الآيات للحديث عن ظهور الجن لبعض الناس وتجسّدهم في أشكال معينة، وعن امتلاك بعض الناس لبعض «الأسرار السليمانية»

في كشف الغيب وتسخير الكائنات وما إلى ذلك من ادعاءات وهميـــة لا تعدو أن تكون جـــزءً من الخرافات والأســـاطير التي يُخدَع بها البسطاء لاســـتغلالهم مادياً أو جنسياً، بل وحتى مخابراتياً!

والذي ينبغـــي قوله هنـــا أن كل التفاصيل الغريبـــة والخارقة والتي يمتـــزج فيها ارتباط العالم الذي نشـــهده بعالـــم الغيب المرتبط بالجـــن والعفاريت بتلك الصورة التي قصّها القرآن الكريم من قصص النبي سليمان، يمثل حالة استثنائية لن تتكرر لأحد من بعده أياً كان: ﴿قَـــالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَـــبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ، فَسَـــخرْنَا لَـــهُ الرِّيحَ تَجْـــرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْـــثُ أَصَابَ، وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ، وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾[ص:٣٥-٣٨]، والآية واضحة في عبارة: ﴿لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾.

• نبينا ولقاء الجن:

وأما التمســـك بما جاء في ســـورتي الجن والأحقاف حول الجن الذين اســـتمعوا إلى القرآن فآمنوا، فهي لم تتحدث عن رؤية النبي محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» لهم، فضلاً عن حديثه معهم، بل تدل ـ من خـــلال القراءة المتأنية للآيات ـ على خلاف ذلك، كما في قوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾[الجن:١]. فقد أوحي للنبي ذلك، ولم يكن النبي يعلم بما جرى قبل أن يوحى إليه الخبر، فكيف يكـــون قد التقى بهم بعد أن تجسّـــدوا ثم كلمهم؟! نعم، دخلت بعض الأحاديث على الخط وقدّمت الحدث بصورة مغايرة لما في القـــرآن، والقاعدة تقول أن ما عارض القرآن فهو زخرف.

• تصورات وهمية:

ولربما يدّعي البعض أنه قد شـــاهد الجن في صور مجسَّـــدة أو كالظـــل والخيال، وأنه ســـمعهم وكلّمهـــم، وهو صادقٌ فـــي ادعائه، متوهـــمٌ فـــي مـــا رأى، إذ لا تعدو مشـــاهدته وســـماعه أن يكون صـــورة متكونة في دماغه ـ لا انعكاســـاً للواقع ـ وتتكون هذه الصورة الوهمية والهلاوس نتيجة انفعال نفســـي أو مـــرض عقلـــي (كالفصـــام) أو تعاطي لمواد مهلوِسة أو الإصابة بالحمى الشديدة، لتدخل بالتالي في دائرة (التخاريف) لا الحقائق.

إن الله يريد لعالمنا المشهود هذا أن يسير وفق النظم والقوانين المعهودة، لا من خلال تلك الصورة الاســـتثنائية التي قدّمتها قصص النبي سليمان.. كما أن مجرد الإمكان لا يعني الوقـــوع، ومن ادّعـــى الوقوع فعليـــه الإتيان بالبرهان القاطع لا بالـــكلام المزخرف، ولا بالتأثير بالأساليب النفسية المحفِّزة للقدرات العقلية في تكوين الصور الوهمية في الذهن البشري.

تخاريف!

٣-٥

(برمنجهام)

٢٤ شوال ١٤٣٤ هـ
٣١ أغسطس ٢٠١٣ مـ

هو عصر العلم والتنوير والتجربة والدليل.

وقد تكون دائرة هذا الصراع مرتبطة بالمجال المعرفي أو الاجتماعي أو السلوكي الفردي أو غير ذلك. ومن أجل توضيح الموقف من هذه المسألة، لابد من الحديث في محورين:

• المحور الأول:

التعميم في الاتجاهيـــن خاطئ، فليس كل ما يتبناه الآبـــاء والأجداد هو من (التخاريف)

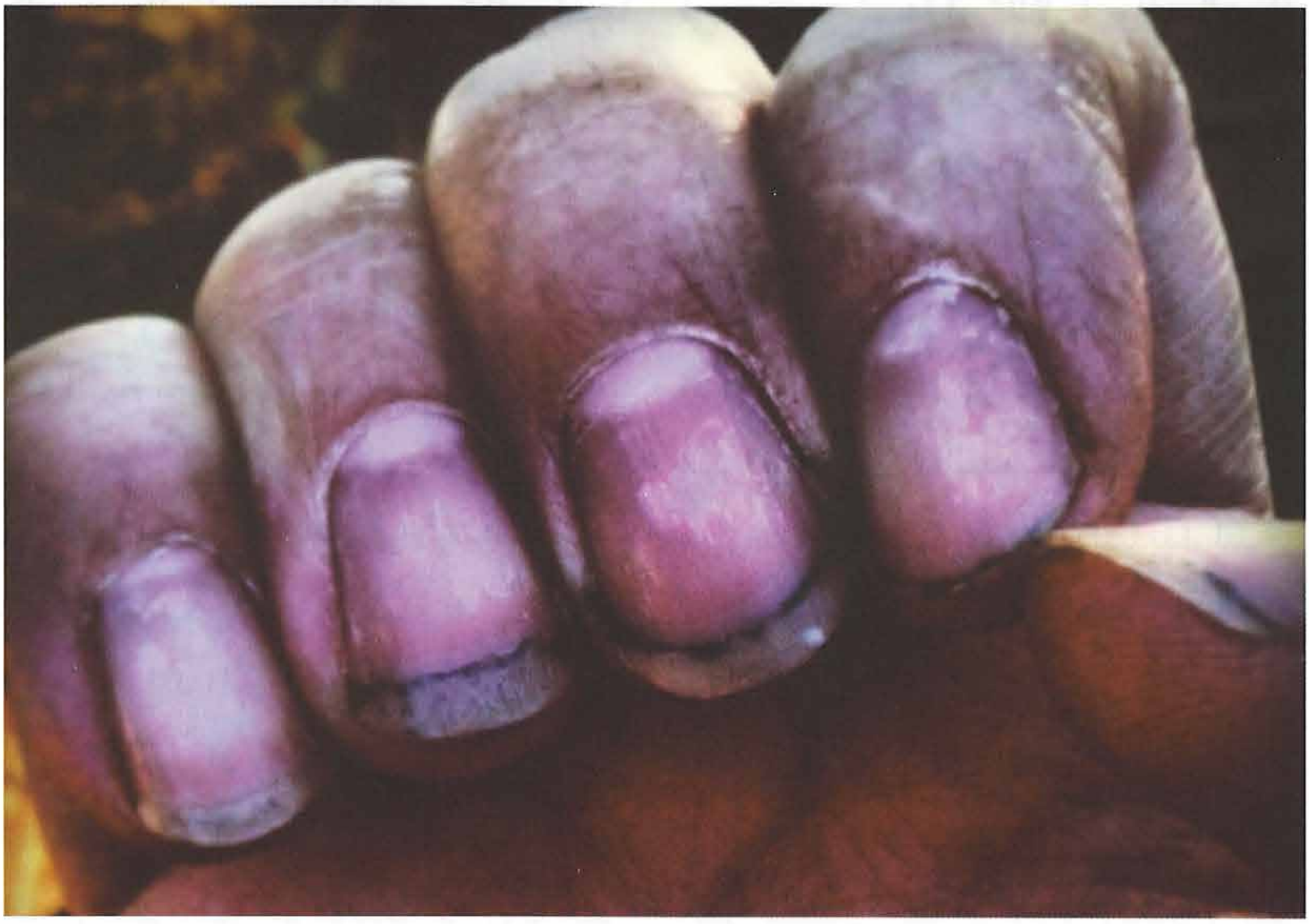

• صراع الأجيال:

في إطار صراع الأجيال، يَسِـــم كثير من أبناء هـــذا الجيل متبنيـــات آبائهـــم وأجدادهم بـ (الخرافية)، خاصة إذا كان المستوى التعليمي للآباء أقل من الأبناء، ولاسيما أن هذا العصر والأوهام والمعتقدات الباطلة، كما أن ليس كل ما هو (عصري) أو يؤمن به جيل الشباب قائم على أسس علمية، وبعيد عن الخرافة والوهم. فكمـــا أن مِن متبنيات الأجيـــال الماضية ما لا أســـاس له من الحقيقة، ولا يقوم على أساس

علمـــي، بل هو مجـــرد أســـاطير ورثتها تلك الأجيال ولربما أحاطتها بشـــئ من القداســـة والاهتمام بلا دليل ولا مبرر، إلا أنه في المقابل توجد العديـــد من التصرفـــات والتصورات المبنية على أســـس علمية تجريبية، أو مأخوذة من موروثات دينية صحيحـــة، أو من خبرات ترتبط بمجالات الحياة العملية المختلفة.

وقد يكون ســـبب هذه النظرة الســـلبية عند الشباب لموروثات الأجيال الماضية هو عدم الاطلاع، أو بسبب بروز انعكاسات التعصب عند الطرفيـــن في أجواء صـــراع الأجيال، أو لاختـــلاط ما هو بديهي البطلان بحكم العقل مـــع ما هو حقيقـــة أو قابـــل للتصحيح.. وهو ما يجعـــل حكم الأبناء المتســـرع على تلك المتبنيات بلا أســـاس علمي ولا حجة عقلية، سوى أنها من الموروثات، لا أكثر.. ولذا فهي مرفوضة ومتهمـــة بالخرافيـــة! ولربما احتاج الآباء لرفع هذا الإشكال إلى شئ من التوضيح وتقديم الدليل مـــن أجل تقريب الفكرة إلى الأبناء وبيان الأسس التي قامت عليها.

• مثال تطبيقي:

ولنأخـــذ مثالاً بســـيطاً في هـــذا الإطار: ما العلاقة بين طـــول الأظفـــار والفقر؟ فبعض الآباء ـ وخصوصاً المتدينون منهم ـ يتشددون في ذلـــك، ويهددون أبناءهم بالفقر إن خالفوا! هذه المقولة ليست خرافية، بل لها أصل ديني وبُعد صحي، فبعـــض الأحاديث المروية عن النبي تُقدِّم التوصية الصحية في صورة نصيحة تختصر المقدمات لتصل إلى النتيجة، ومنها ما دلَّ على أن «مَن يقلّم أظفاره يأمَن من الفقر».. قُدّمـــت النصيحة بهذه الصـــورة المختصرة.. ولكنها تســـتبطن فكرة مطوّلـــة مضمونها: أنَّ من يهمل ذلك يعرّض نفسه لتراكم الأوساخ تحتها وبالتالي الميكروبـــات التي تنزل إلى المعدة أثناء تناول الطعام باليد مثلاً، فيعرِّض الفرد نفسه للإصابة بالمرض الذي قد يُقعِده عن العمـــل.. ومع تكـــرر ذلك أو مع شـــدة المرض ـ لاسيما في البيئة التي لا يتوفر فيها وعي ورعاية صحية مناسبة ـ قد يفقد الإنسان مصدر رزقه، لتصل النتيجة إلى افتقاره.. وبهذا التوضيح تكون النتيجة منطقية جداً وبعيدة عن الخرافية (قد لا تكـــون الصورة واضحة جداً عنـــد العاملين في القطـــاع الحكومي في بلد ثري كالكويت بســـبب الدور الرعائي الكبير الذي تتولاه الحكومة تجاه المواطنين).

ولكن قد تكون المشكلة أحياناً في عدم فهم صاحب المقولة لهذا الموروث وللعلاقة بين المقدمة والنتيجة، ولربما يعبِّر عنها بأسلوب خاطـــئ، أو يُتعصّب لها من قبـــل الآباء (مع ردود فعل عنيفة) لتكون النتيجة هي الموقف الحـــدّي من الأبناء تجاه هـــذه الحقيقة لتغدو عندهم مجرد خرافة.. هذا مثال بسيط.. وليس

بالضـــرورة أن تكـــون كل الموروثـــات بهذه الصـــورة: ذات أصول علميـــة أو دينية أو ذات دليل عقلي.. ولكن قبل الحكم عليها بالخرافية لابد من التمهل والتفكير وشئ من البحث.

• المحور الثاني:

التطور العلمـــي الهائل الذي نشـــهده لم يُلـــغِ الخرافة في الذهنيـــة العامة عند الناس، بل حتـــى عند علماء الفيزياء والطب والأحياء والرياضيات أنفســـهم! فلربمـــا وجدْتَ هذا العالِم الفذ يؤمن بآلهة أسطورية متصارعة، أو يقدِّس كائناً حيوانياً، أو يتشاءم من رقم معيّن، أو لا يؤمـــن بوجود خالق لهذا الوجود. فليس بالضـــرورة أن يحقّق التطـــور العلمي الذي نشـــهده نصراً حاســـماً ونهائياً على الخرافة (وإن حقّـــق ذلك في مجـــالات عديدة ونجح في تحجيمها).. بل لربما شهد كل عصر ولادة خرافات جديدة تخصّه، أو زيّن خرافات قديمة وقدّمها بثـــوب جديد.. دون اســـتثناء لعصرنا هذا.. فما دام الإنســـان ـ مثلاً ـ مولَعاً باكتشاف المستقبل واستباق الأقدار، فإنه سيبقى مؤمناً بوســـائل قراءة الطالع، ودفع أســـباب الشؤم والنَّحس، وتحقيق موجِبات الثروة المفاجئة.. وقد قرأت ـ على ســـبيل المثال ـ أن ٤٣٪ من الألمان يؤمنون بأن ثروة ستهبط عليهم إذا ما عثـــروا على نبتة ذات أربـــع ورقات، وأن ٤٠٪ منهـــم يعتقدون بـــأن رؤية نيزك في الســـماء تجلب الطالع الحسن. بينما كانت النسبة أقل من هذه بكثير قبل ثلاثة عقود!

واختلفت تفســـيرات أصحاب الاختصاص لهـــذا التدهور، بين قائل بـــأن الناس: (عندما يمـــرون بأوقات صعبة يلجـــأون عادة إلى كل ما هو روحاني وما يمنحهـــم القوة والراحة.. وهي الأمور التي لم يعد الدين أو الكنيســـة توفرها للناس، فلجأوا إلـــى الخرافة)، وآخر يعتبر أن: (الخرافات هي استجابة للتحديات التـــي يواجهها الناس في الحياة، لأنها تعرض على الناس حلولاً معظمها في غاية البساطة)، وثالث يقول أن: (الخرافات تَعِدُ المؤمنين بها بقدرات خارقة للتغلب على ظروفهم أو الناس من حولهم).

والنتيجة تبقى واحدة، وهي حضور الخرافة في الذهنية العامة في هذا العصر، وقد شـــهد العالم الاهتمام الواســـع بمقولة انتهاء العالم فـــي يوم محدد مـــن العام الماضـــي بناء على أســـطورة مشوّهة لشـــعب المايا الذي يجهل أكثر الناس أصله وقيمة متبنياته التي لا تعدو أكثرها أن تكون مجرد أساطير وخرافات عفى عليها الزمن.

ويبقى أن للإعلام الحديث وســـوق الإنتاج الفني والتطور التقني في عالم الاتصال ونشر المعلومة دوره الكبير في ترسيخ الخرافة، وهو ما سأتناوله في المقال القادم بإذن الله تعالى .



لوحة فنية تصور النبي داود مع القائد أوريا



لوحة تمثل جانباً من قصص الصوفية

تخاريف !

٤ـ ٥

(برمنجهام)

٢ ذي القعدة ١٤٣٤ هـ ـ ٧ سبتمبر ٢٠١٣ مـ

تدل الشواهد التاريخية على أن الإنسان قد عرف منذ القدم الأساطير والحكايات وأحبّها، ويعود ذلك لتفرّده بين كائنات العالم المشهود بامتلاك القدرة على التخيل، فتمكن من ابتكار الأساطير واختلاق الحكايات حول عالمي الغيب والشهادة، بل والمزج بينهما .. وإذ كان العرب غير مستثنين من ذلك، فقد عمل القرآن الكريم على استثمار حب العربي للقصص ومعرفة التاريخ وأحوال الأمم الماضية، ولكنه قدّمها في إطار حضاري يتناغم مع الأهداف العامة من نزول الآيات والسور، وجعلها أداة للتوجيه والتربية بعد أن كانت

مجرد وسيلة للتسلية واللهو: ﴿فاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُون﴾[الأعراف:١٧٦]، ﴿وكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[هود:١٢٠]، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾[يوسف:١١١]، مع التأكيد على صحة هذه القصص وتجريدها من الخرافة والخيال والعبثية، فمصدرها هو الله الحق العليم السميع البصير.

• عودة القصة الخرافية:

بعد أن وجّه الإسلامُ الإنسانَ العربي ـ المسلم ـ إلى القصة في إطارها الحقيقي والهادف، عادت الخرافات والأساطير لتغزو (السوق الثقافية) عند المسلمين من خلال قنوات عديدة، أهمها:

١ـ الإسرائيليات:

قال ابن خلدون: (العرب لم يكونوا أهل كتاب، ولا علم، وإنّما غلبت عليهم البداوة والأميّة، وإذا تشّوقوا إلي معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكوّنات، وبدءِ الخليقة وأسرار الوجود، فإنّما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم، ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصاري، وأهل التوراة هم بين العرب يومئذٍ باديةٌ مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلاّ ما عرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حِمْيَر الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم ممّا لا تعلّق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها).

وهكذا اختلطت المعارف الإسلامية ـ فيما عدا الأحكام الشرعية ـ بالثقافة اليهودية والنصرانية، ومن بينها ما كان ذا بُعد تاريخي قصصي، ففُسِّر القرآن بها، أو دُلِّس بها الحديث النبوي، ودخلت تفاصيل كثيرة في مجمل القصص القرآني من وحي الأساطير التي اكتتبها أحبار اليهود ورهبان النصارى عبر قرون مديدة سبقت الإسلام، وبعضها تحت تأثير ثقافات أمم احتلّت ممالك اليهود، أو تمازجت بها المجتمعات النصرانية.

وقد تحدث الكثير من الباحثين عن أثر الإسرائيليات على التراث الإسلامي وألّفوا في ذلك الكتب المفصّلة، وكلها تكشف عن الأثر السلبي الرهيب لهذا التداخل المعرفي.

ولنلحظ ـ كنموذج ـ النص التالي الذي يرويه الشيخ الصدوق في كتابه (عيون أخبار الرضا) عن حوار طويل جرى بين الإمام علي بن موسى الرضا «عَلَيْهِ السَّلامُ» وعلي بن الجهم، يكشف عن تأثير القصة الإسرائيلية

الأسطورية في الثقافة الإسلامية، وفيه أن الإمام سأله: (وأما داود «عَلَيْهِ السَّلامُ» فما يقول مَن قبلكم فيه؟ فقال علي بن محمد بن الجهم: يقولون: إن داود «عَلَيْهِ السَّلامُ» كان في محرابه يصلي فتصور له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من طيور فقطع داود صلاته وقام ليأخذ الطير فخرج الطير إلى الدار فخرج الطير إلى السطح فصعد في طلبه فسقط الطير في دار أوريا بن حنان فاطلع داود في أثر الطير فإذا بامرأة أوريا تغتسل فلما نظر إليها هواها وكان قد أخرج أوريا في بعض غزواته فكتب إلى صاحبه أن قدِّم أوريا أمام التابوت، فقُدِّم فظفر أوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود، فكتب إليه ثانية أن قدِّمه أمام التابوت، فقُدِّم فقُتِل أوريا فتزوج داود بامرأته. قال: فضرب الرضا «عَلَيْهِ السَّلامُ» بيده على جبهته وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد نسبتم نبياً من أنبياء الله إلى التهاون بصلاته حين خرج في أثر الطير ثم بالفاحشة ثم بالقتل.. إلخ).

علماً بأن القصة التي ذكرها ابن الجهم تقترب كثيراً من القصة التوراتية ولا أثر لها في القرآن الكريم.

٢ـ القُصَّاص:

الذين كانوا يدورون عادةً بين المدن والقرى ومرابع الأعراب يقصّون القصص كصنعة يتكسّبون من خلالها قوتهم، وبعضهم كانوا ـ في الأصل ـ من مشركي مكة، فاتخذوا القصة أداة لتنفيذ مؤامراتهم على الإسلام بعد أن بسط نفوذه.

ومن هؤلاء (النضر بن الحارث) الذي يتحدث ابن هشام في (السيرة النبوية) عن شخصيته قائلاً: (وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» وينصب له العداوة، وكان قد قدم الحيرة، وتعلّم بها أحاديث ملوك الفرس، وأحاديث رستم واسبنديار، فكان إذا جلس رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» مجلساً فذكّر فيه بالله، وحذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش، أحسن حديثاً منه، فهلم إلي، فأنا أحدّثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟).

وعلى نهجهم سار بعض مَسلمة اليهود والنصارى والمجوس من العرب وسائر الأمم ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم، فكانت القصّة سبيلهم للتلاعب في الموروث العقدي والثقافي والمعرفي الإسلامي.

ولم يكن كل القصّاص من هذا النمط، فكثير منهم انطلق في هذا المجال تكسّباً للمال والشهرة، الأمر الذي جعلهم يكيّفون أساطيرهم بما يتوافق مع المزاج العام

لجمهور المستمعين، وعنهم قال أبوحيان التوحيدي في (كتاب الإمتاع والمؤانسة): (وليس يقف على القاص إلا أحد ثلاثة: إما رجل أبله، فهو لا يدري ما يخرج من أم دماغه، وإما رجل عاقلٌ فهو يزدريه لتعرضه لجهل الجهال، وإما له نسبة إلى الخاصة من وجه، وإلى العامة من وجه، فهو بتذبذبٍ عليه من الإنكار الجانب للهجر، والاعتراف الجالب للوصل، فالقاص حينئذ ينظر إلى تفريغ الزمان لمداراة هذه الطوائف، وحينئذ ينسلخ من مهماته النفسية، ولذّاته العقلية، وينقطع عن الازدياد من الحكمة).

وعن السلبيات الأخرى لمسلك القصّاص ومجالسهم قال ابن الجوزي في (تلبيس إبليس): (ومن القصاص من يخلط فِي مجلسه الرجال والنساء، وترى النساء يكثرن الصياح وُجداً عَلَى زعمهن فلا ينكر ذلك عليهن، جمعاً للقلوب عَلَيْهِ، ولقد ظهر فِي زماننا هَذَا من القصّاص مَا لا يدخل فِي التلبيس، لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشاً يستمحنون به الأمراء والظَّلمة والأخذ من أصحاب المكوس والتكسب به فِي البلدان، وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة فيبكي النسوة ولا يحث على الصبر).

وكان لعوامل الثروة والترف والفراغ الدور الواضح في التشجيع على انتشار ظاهرة القُصّاص وازدياد تفشّي القصص الخرافية في المجتمعات الإسلامية، بدءً من الخليفة ذاته ونزولاً إلى عامة الشعب. وفي ذلك كتب د. أحمد حسن الزّيات في (تاريخ الأدب العربي): (لما أُترف العرب وحمل الأعاجم عن الخلفاء أعباء الخلافة، قطعوا لياليهم بالمنادمة والمسامرة، فتنافس الندماء في حفظ القصص والأسمار، وتسابق أدباء القرنين الثالث والرابع إلى وضعها يسامرون بها الخاصة شفاهاً، واحتاج العامة من أهل الترف والبطالة إلى من يسامرهم كذلك في ديارهم وأملائهم وأعراسهم).

٣ـ التصوّف:

لربما عرف المسلمون التصوّف بصورة واضحة في النصف الثاني من القرن الهجري الأول.. ولا يخفى أن التصوف ليس بدعة إسلامية، بل عرفت البشرية التصوف في ديانات عديدة سابقة، ولربما كانت الهندوسية مبتدأها. وإذ كان التصوف متناغماً في ظاهره مع بعض العناوين الإسلامية الأخلاقية كالزهد والقناعة وحب الله (وإن اختلفت معها في العمق والتفاصيل)، وانسجم مع حالة التمرد على الفساد والظلم وحب الدنيا عند بعض المتدينين، فقد وجد طريقه إلى المجتمعات الإسلامية، وشهد امتداداً كبيراً في بعض القرون اللاحقة.



وعُرف عن المتصوفة حبهم للقصة، لاسيما الرمزية منها، وعبّروا عنها في صورة نصوص نثرية وشعرية، كما عُرف عنهم التصديق بقصص (الكرامات) المنسوبة لمشايخهم، والاعتماد كثيراً على الرؤى، واعتبار (الكشف = انكشاف الحقائق وشهودها في عالم اليقظة وبصورة غيبية لا تتسنى إلا للخواص) من أهم - إن لم يكن أهم - وسائل المعرفة الحقيقية.. وتوارثوا ذلك كله وورّثوه للمجتمعات الإسلامية التي تفاعلوا معها، وبكل التنوع القصصي الذي حملوه من موروثهم الصوفي الهندوسي والبوذي واليهودي والنصراني والإسلامي وسائر امتدادات التصوف عبر الزمان والمكان.

٤ـ التمازج الحضاري:

كان للفتوحات الإسلامية التي اتسعت رقعتها بشكل كبير في نطاق أمم متعددة اللغات والمتبنيات العقدية والخلفيات الثقافية، الدور في امتزاج الإنسان المسلم (الفاتح) بها من جهة، ودخول أبنائها بما حملوه من تراثهم في الإسلام من جهة أخرى. فتغلغلت القصة الأسطورية - من ضمن ما تغلغل - من الفرس والروم والهنود والأكراد والترك والأسبان والبربر وغيرهم إلى التراث الإسلامي، وبأنحاء مختلفة، من بينها على سبيل المثال كتاب عبدالله بن المقفع (كليلة ودمنة) الذي اختُلف في كونه فارسي الأصل أو هندياً أو غير ذلك، واسم عبدالله (روزبه) قبل أن يسلم، وقد اتُّهم بالزندقة. (أذكر كتاب كليلة ودمنة كمثال فقط بغض النظر عن رمزيته ومضمونه الإيجابي أو السلبي).

• مواجهة الأساطير:

في مقابل ذلك كله، نجد في الأحاديث المروية عن أهل بيت النبي «عَلَيْهِم السَّلامُ» مواقف متعددة وحازمة في مواجهة القصص الخرافية ومَن يقف وراء انتشارها في المجتمع الإسلامي، وسنتعرض لذلك في العدد القادم بإذن الله «عَزَّ وَجَلّ» في إطار بيان التأثيرات السلبية لانتشار الأساطير.

تخاريف !

٥_٥

٩ ذي القعدة ١٤٣٤ هـ_ ١٤ سبتمبر ٢٠١٣ مـ

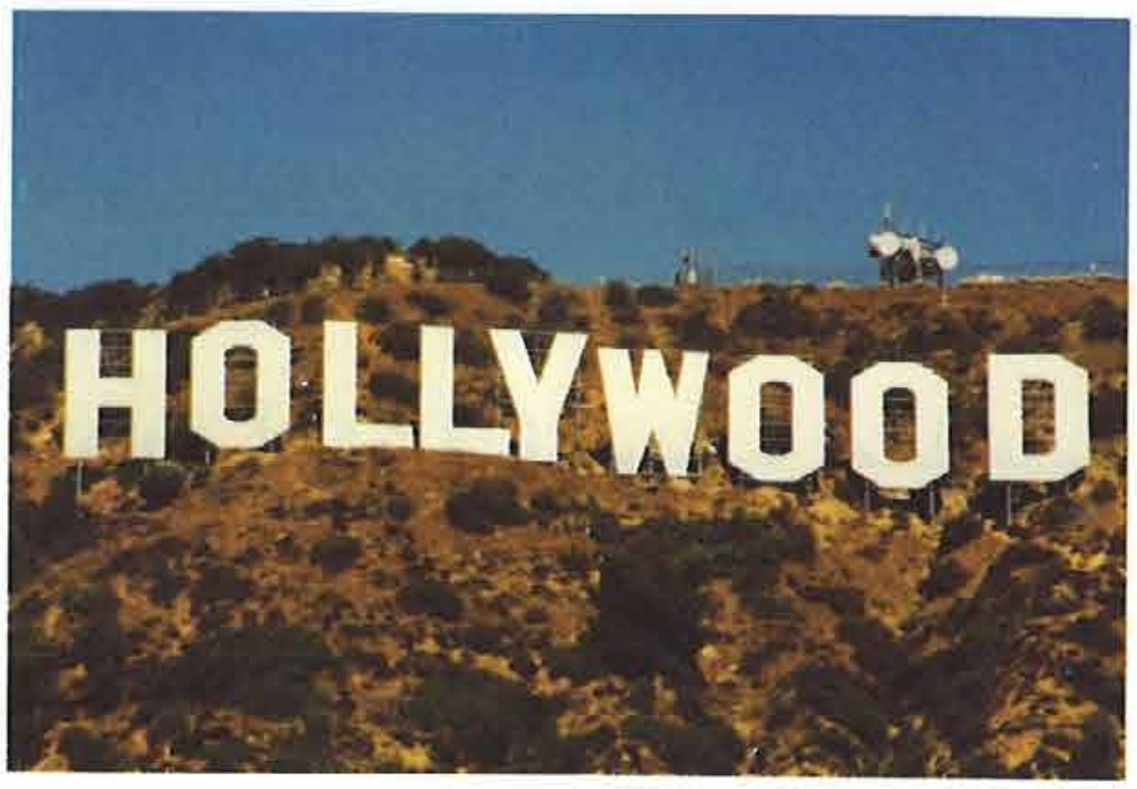

حديثنا في هذا الأسبوع يأتي تتمة لما تم طرحه في المقال السابق حول دخول القصة الخرافية إلى التراث الثقافي للإنسان المسلم، وسنتناول في هذا القسم الأخير الموقف السلبي لأهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» من الأساطير والقصّاصين، وأسبابه.

• أحاديث ومواقف متعددة:

نجد في كتاب (الكافي) للكليني الحديث التالي الذي يرويه الإمام الصادق «عَلَيْهِ السَّلامُ» أنه قال: (إن أمير المؤمنين «عَلَيْهِ السَّلامُ» رأى قاصّاً في المسجد فضربه بالدرة وطرده).

وفي (بحار الأنوار) للمجلسي أنه (رأى عليٌ «عَلَيْهِ السَّلامُ» قاصاً يقصّ، فسأله: أتعرف الناسخ والمنسوخ؟ فقال: لا. فقال «عَلَيْهِ السَّلامُ»: لذلك هلكت وأهلكت. ونهاه عن القصص) يبدو أنه كان يقص شيئاً من قصص القرآن، فأراد علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» أن يختبر ثقافته الإسلامية عموماً والقرآنية خصوصاً، فلما تبيّن له أنه لا يملكها، لذا منعه من ذلك ووبّخه.

وفي (العقائد) الشيخ الصدوق: (ذُكر القصاصون عند الصادق «عَلَيْهِ السَّلامُ» فقال: لعنهم الله إنهم يشيعون علينا). وفي حديث آخر أنه: (سئل الصادق «عَلَيْهِ السَّلامُ» عن القصّاص، أيحل الاستماع لهم؟ فقال: لا). وأنه سئل عن قول الله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿والشُّعَراءُ يَتَّبِعُهُم الغَاوُون﴾ فقال: (هم القُصّاص).. ولا بد أن يكون مراد الإمام أن الآية تنطبق عليهم (تأويل)، لا أنها نازلة فيهم (تفسير).

هذه المواقف السلبية وغيرها لم تأت من فراغ، بل هي نتيجة طبيعية وشرعية ومنطقية تأتي كردة فعل على المضمون الذي عمل القصّاص على نشره، وعلى شخصية القصّاص أنفسهم وخلفياتهم الدينية والثقافية، وعلى أهداف منطلقاتهم أحياناً، وعلى التأثيرات السلبية التي ظهرت وتفشّت في المجتمع الإسلامي إثر استفحال أمرهم وتبنّي بعض الخلفاء والولاة لهم وتمويلهم.

ويمكن هنا تلخيص دوافع الموقف

السلبي والحاد من قبل الأئمة «عَلَيْهِم السَّلامُ» تجاه القصّاص، في الوقت الذي قد تبدو فيه القصة ـ ولو الخرافي منها ـ رافداً ثقافياً وأدبياً ومعرفياً للإنسان، بالإضافة إلى دورها الترفيهي البرئ.

١ـ الحفاظ على التراث الحديثي:

يعتبر الحديث الشريف ثاني مصادر العقيدة والمعرفة والعمل والأخلاق بعد القرآن الكريم، وإذ ولج القصّاص في عالم الحديث، كما تبيّن لنا في المقال السابق، فقد تجرأوا على الوضع والدس والتحريف، الأمر الذي أثّر بشكل واضح على ثاني المصادر عن المسلمين، خصوصاً مع انقطاع التدوين لأكثر من مائة عام. كتب طلال حرب في كتابه: (أولية النص): (ولعلّ إجلال القدماء الحديث وحرصهم علي صحته وسلامته من الكذب والإفتراء، وخوض القصاص في هذا الحديث وفي القصص الديني لما لها من أثر في العامة هو الذي أثّر إلى حدّ بعيدٍ في تكوين نظرة الرفض وعدم التسامح مع القصاص).

٢ـ الحفاظ على المقدسات:

لم يكتفِ القصّاص بالجرأة على الحديث النبوي وحديث أهل بيته، بل افتعلوا قصصاً كانت تسئ أحياناً إلى بعض الأنبياء، في عقيدتهم، أو في سلوكهم، أو في أخلاقهم، أو في الصفات التي ينبغي توفرها فيهم كأنبياء تم اصطفاؤهم من قبل الله تعالى لمهمة حساسة وخطيرة. وقد ذكرت في المقال السابق نموذج قصة النبي داود «عَلَيْهِ السَّلامُ» وزوجة القائد أوريا، وموقف الإمام علي الرضا «عَلَيْهِ السَّلامُ» من تلك القصة التي وجدَت طريقَها للأسف إلى كتب التفسير والحديث والتاريخ.

٣ـ مواجهة الحرب الدعائية:

كان للسياسة دورها في الدفع بالقصَّاصين إلى ملتقيات ومراكز المعرفة في المجتمعات الإسلامية وفي قصور الأمراء، إضافة إلى تمويلهم وتشجيعهم، وبالتالي تحولت القصة الخرافية إلى أداة تم استغلالها لأغراض سياسية خاصة، يعمل من خلالها بعض الحكام على رفع أسهم الشخصيات التي تتوافق معهم وتؤازرهم، وتتناغم مع أهوائهم ومشاريعهم، كما يعملون أيضاً على محاربة المعارضين من خلال نشر القصص الوهمية التي تشوّه صورتهم وتُسقط قيمتهم دينيا واجتماعيا.

٤ـ اعتراض المد الثقافي:

شكلت القصص الأسطورية المستقاة من الديانات والثقافات الأخرى (سواء أكانت تلك الثقافات أو الديانات سماوية في الأصل، أم كانت وضعية خرافية في ذاتها وامتدادها) خطراً على العقائد والمعارف التي يفترض

بالمسلم أن يتبناها عن عالمي الشهادة والغيب، وعن الدنيا والآخرة، وعن المبدأ والمعاد، وعن الخالق والمخلوق، فكثير منها يركّز على الآلهة، وصراعاتها، وتزاوجها بالبشر، وعن المولود الخارق ذي الطبيعة النصف إلهية ـ بشرية، وعن دور الآلهة في تسيير الوجود، وإحداث الكوارث، والتحكم في الأقدار وغير ذلك من عناوين كثيرة تمس أصل عقيدة المسلم التوحيدية.

٥ـ مواجهة الانحراف المعنوي:

فقد كان للأساطير في أحيان كثيرة الأثر المعنوي والأخلاقي السلبي، فهي تثير الغرائز، وتخدش الحياء، وتنطلق في أجواء المجون وتروّج الإباحية والتحلل الخلقي، كما تؤصّل الركون إلى الدنيا والانغماس في الماديات، وتدفع إلى تنمية الرغبة الجشعة التي لا تعرف حداً لإشباع الأهواء، بما يذكّرنا بالحديث النبوي: (لو كان لابن آدم واد من ذهب لالتمس معه وادياً آخر، ولن يملأ فمه إلا التراب). ويمكن للمطلع على قصص (ألف ليلة وليلة) على سبيل المثال أن يدرك هذه الحقيقة بكل وضوح.

• الإعلام الحديث:

ومع انطلاق الإعلام الحديث وسوق الإنتاج الفني والتطور التقني في عالم الاتصال ونشر المعلومة فقد اكتسبت القصة الأسطورية رونقها، وباتت واحدة من أشهر المنتجات رواجاً في العالم، وغدت تشكّل منبعاً مهماً جداً في تكوين المعرفة البشرية وتوجيه الإنسان فكرياً وروحياً وأخلاقياً وسياسياً. وما دفع الأئمة «عَلَيْهِم السَّلامُ» ـ وكل المخلصين للإسلام من ورائهم ـ للوقوف ذلك الموقف السلبي والحاد من القصّاص يتوافر بشكل واضح في المنتج الفنّي ذي البعد الأسطوري، (بل ووجد طريقه أيضاً إلى ألعاب الأطفال كألعاب الفيديو والدمى)، الأمر الذي يستدعي انتباه أولياء الأمور والمربّين إلى المردود السلبي المتوقع لكل ذلك الضخ للمادة (الخرافية) على مستوى العقيدة والفكر والمعرفة والأخلاق والمواقف تجاه قضايا الحياة بتنوعها الواسع، والعمل على تطويق تلك التأثيرات بالمبادرة والتصحيح ومحاولة استكشاف الذهنية الثقافية للأبناء وفي أي اتجاه تسير، وبنفس المنطلق الذي نبّه إليه الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» كما روي عنه أنه قال: (علِّموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به، لا تغلب عليهم المرجئة برأيها) وعن الإمام جعفر الصادق «عَلَيْهِ السَّلامُ» حين قال: (بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة)، وإن اختلف مضمون سبب الانحراف الفكري والسلوكي بينهما، إلا أنه يبقى أن الفكرة واحدة كما أن النتيجة واحدة.



مكانة الإمام الرضا وحكمته

١٦ ذي القعدة ١٤٣٤ هـ - ٢١ سبتمبر ٢٠١٣ م

استقبلنا في الحادي عشر من ذي القعدة ذكرى مولد ثامن الأئمة من أهل بيت النبوة، الإمام علي بن موسى الرضا «عَلَيْهِ السَّلامُ»، وبهذه المناسبة لدي هنا رسالتان، الأولى موجهة إلى خارج دائرة أتباع مدرسة أهل البيت، والثانية موجهة إلى داخلها.

• الرسالة الأولى:

تأتي هذه الرسالة بلحاظ الخبرين التاليين، الأول رواه ابن حجر في (تهذيب التهذيب)

عن الحاكم النيسابوري قال: (سمعت أبا بكر محمد بن المؤمل بن الحسن بن عيسى يقول خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشائخنا، وهم إذ ذاك متوافرون، إلى زيارة قبر علي بن موسى الرضا، بطوس، قال: فرأيت من تعظيمه ـ يعنى ابن خزيمة ـ لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرّعه عندها ما تحيَّرنا).

الخبر الثاني عن ابن حبان في خضم تعريفه بشخصية الإمام الرضا وتاريخه وذلك في كتاب الثقاة، قال: (وقبره بسناباذ خارج النوقان مشهور يزار بجنب قبر الرشيد، قد زرته مراراً كثيرة، وما حلّت بي شدة في وقت مقامي بطوس فزرت قبر علي بن موسى الرضا صلوات الله على جده وعليه، ودعوت الله إزالتها عني إلا استجيب لي وزالت عني تلك الشدة، وهذا شيء جربته مراراً فوجدته كذلك، أماتنا الله على محبة المصطفى وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين).

• من هو ابن خزيمة؟

عرِّف بأنه محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري الشافعي المذهب فقهياً، السلفي عقيدةً، توفي عام ٣١١هـ، وهو الحافظ الحجة الفقيه، الملقب بشيخ الإسلام، وإمام الأئمة، وصاحب كتاب صحيح ابن خزيمة، سمع من البخاري ومسلم بن الحجاج وغيرهما، وروى عنه جماعة من مشايخه منهم البخاري ومسلم. عنى بالحديث والفقه، حتى صار يُضرب به المثل في سعة العلم والإتقان. صنف ما يزيد على مائة وأربعين كتاباً.

• من هو ابن حبان؟

وأما ابن حبان، فهو شيخ خراسان محمد بن حبان الملقب بالإمام الفاضل والمتقِن المحقق (ت٣٥٤هـ) قالوا عنه: كان من فقهاء الناس وحفاظ الآثار المشهورين في الأمصار والأقطار، عالماً بالطب والنجوم وفنون العلوم، وكان من الحفاظ الأثبات.

• علامة تعجّب!

حقيقةً الإنسان يتحيّر من أمر هذا الزمان! فابن خزيمة كان سلفي العقيدة، وكتابه (التوحيد وإثبات صفات الرب «عَزَّ وَجَلَّ») وفق العقيدة السلفية مطبوع ومشهور، ولكن مع هذا يصدر عنه ما يصدر من زيارة وتبجيل لمرقد الرضا «عَلَيْهِ السَّلامُ»، ثم تضرع وتواضع عنده!

ثم يأتي البعض ليتخذ من قضية زيارة القبور عذراً لتكفير المسلمين وقتلهم بكل وحشية! نعم، أنا شخصياً لا أنفي وجود ممارسات خاطئة من قبل الزائرين، وقد تحدث المراجع والعلماء عن ذلك في خطاباتهم وكتبهم وفتاواهم، ووجّهوا الزائرين لما ينبغي وما

لا ينبغي.. ولكن هل مثل هـــذه الأخطاء تبرر ذلـــك الموقف العنيف على مســـتوى الاتهام والاستباحة؟

• دعوة من القلب:

هذه دعوة إلى الذين يعيشون عقدة الصراع مع كل شئ، أن يعودوا إلى تاريخهم، وليبحثوا في هذا التاريخ، لا عن النقاط التي تستفزّهم لمزيد من العـــداء، بل عن النقاط التي تقدّم لهم العذر لكـــي يخففوا من غلـــواء نيران التعصب ضد الآخر المختلف معهم، تعصباً يصل إلى درجةٍ يعرّضون فيها أنفسهم إلى ما قال عنه الله «عَزَّ وَ جَلَّ»: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَـــا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[النساء:٩٣].

• الرسالة الثانية:

أما الرسالة الموجهة إلى داخل البيت الشيعي، فبلحاظ الحديث الذي رواه الشيخ الصدوق ـ وهو حديث معتبر السند ـ عن ابن أبي محمود قال: (قلت للرضا «عَلَيْهِ السَّلامُ»: إنّ عندنا أخباراً في فضائل أمير المؤمنين وفضلكم أهل البيت، وهي من رواية مخالفيكم، ولا نعرف مثلها عندكم، أفنُدين بها؟ فقال: يابن أَبِي مَحْمُودٍ، لَقَدْ أَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: أَنّ رَسُولَ اللهِ قَالَ: مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ، فَإِنْ كَانَ النّاطِقُ عَنِ اللهِ «عَزَّ وَ جَلَّ» فَقَدْ عَبَدَ اللهِ، وَإِنْ كَانَ النّاطِقُ عَنْ إِبْلِيسَ فَقَدْ عَبَدَ إِبْلِيسَ. ثُمّ قَالَ الرِّضَا «عَلَيْهِ السَّلامُ»: يابن أَبِي مَحْمُودٍ: إِنّ مُخَالِفِينَا) ولابد من التنبيه هنا أن المراد من مخالفيهم ليس مجرد عدم الاعتقاد بإمامتهم، بل يعني الذين كانوا يناصبونهم العداء ويترصدون بهم في محاولة لتصفيتهم معنوياً أو جسدياً، سواء أكانوا حكاماً أو من الوسط العلمي أو من عامة الناس، بالإضافة إلى بعض الزنادقة والمنافقين، ولذا نجد ممن هم مثل أئمة المذاهب الأربعة وابن حبان وسواهم يعظّمونهم ويجلّونهم (وَضَعُوا أَخْبَاراً فِي فَضَائِلِنَا وَجَعَلُوهَا عَلَى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ: أَحَدُهَا: الْغُلُوّ، وَثَانِيهَا: التّقْصِيرُ فِي أَمْرِنَا) من قبيل تلك التي تكون على لسانهم وينكرون فيها ولايتهم وإمامتهم، أو تنسب إليهم بعض الصفات أو التصرفات المذمومة والقبيحة (وَثَالِثُهَا: التّصْرِيحُ بِمَثَالِبِ أَعْدَائِنَا. فَإِذَا سَمِعَ النّاسُ الْغُلُوّ فِينَا كَفّرُوا شِيعَتَنَا وَنَسَبُوهم إِلَى الْقَوْلِ بِرُبوبِيَتِنَا، وَإِذا سَمِعُوا التّقْصِيرَ اعتقدوه فِينَا، وَإِذا سَمِعُوا مَثَالِبَ أَعْدَائِنَا بِأَسْمَائِهِمْ ثَلَبُونَا بِأَسْمَائِنَا، وَقَدْ قَالَ اللهُ «عَزَّ وَ جَلَّ»: ﴿وَلا تَسُبُّوا الّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. يابن أَبِي مَحْمُودٍ، إِذَا أَخَذَ النّاسُ يَمِيناً وَشِمَالاً فَالْزَمْ طَرِيقَتَنَا فَإِنّ طَرِيقَتَنَا هِيَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَهِيَ الْمَحَجّةُ الْبَيْضَاءُ وَهِيَ الْجَادّةُ الْوُسْطَى، فَإِنّهُ مَنْ لَزِمَنَا لَزِمْنَاهُ، وَمَنْ فَارَقَنَا فَارَقْنَاهُ، إِنّ أَدْنَى مَا يَخْرُجُ بِهِ الرّجُلُ

مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يَقُولَ لِلْحَصَاةِ نَوَاةٌ ثُمّ يَدِينُ بِذَلِكَ وَيَبْرَأُ مِمّنْ خَالَفَهُ، يابن أَبِي مَحْمُودٍ احْفَظْ مَا حَدّثْتُكَ بِهِ، فَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ).

• حقيقة التشيع:

ولابد من التنبيه هنا أن مثل هذه الأحاديث وجدت طريقها إلى كتبنا وخطاباتنا، وقد نهينا عنها، ومن ادعى التشيع لآل بيت النبي فليأخذ بأبعاد هذا الحديث، في مجال الغلو، وفي مجال التقصير، وفي مجال ذكر المثالب، لأن مشكلة البعض هي أن تعصبهم أو حماسهم لا ينطلق في حقيقته من إخلاصٍ لما يتبناه، بقدر ما هو تعصب للذات وانسياق وراء الأهواء الشخصية، فمشكلته أن الآخرين قد اختلفوا معه، وليست مشكلته أن الآخرين قد اختلفوا مع الحق!

إن من أشد الوسائل مكراً التي لجأ إليها مناصبو العداء لأهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» في محاربتهم لهم هي الدس عليهم في تلك العناوين الثلاثة، حتى ملأت الكتب وترددت على الألسن، وأُخذت ذريعة لارتكاب الجرائم في حقهم وحق من يتولاهم عبر التاريخ وإلى يومنا هذا، ثم تحوّلت إلى أداة للاحتراب الداخلي بين أتباع المذهب الواحد! في الوقت الذي ينبغي فيه إعطاء العذر لمن يختلف معك، فلعله مقتنع بينه وبين الله أن ما تقول به هو من ذلك المدسوس الذي حذّر منه الإمام علي الرضا «عَلَيْهِ السَّلامُ» وأنه يتقرب بذلك إلى الله.. ويبقى لكلا الطرفين الحق في البحث العلمي والحوار في ما اختلفا فيه وبالتي هي أحسن.

• طفح الكيل:

أيها المسلمون، رفقاً ببعضنا البعض، فقد سئمنا سفك الدماء وتجاوز الحرمات ولغة التصعيد ومنطق التخوين، ولننظر ببصيرة إلى ما يحوكه الآخرون ضدنا دون أن يفرّقوا بين شيعي وسني وسلفي وغيرهم، وقد صرح رئيس الوزراء الصهيوني قبل أسبوع حول الأوضاع الهادئة التي يعيشها الكيان الصهيوني قائلاً: (هذا الأمر ليس بديهياً عندما تهيج المنطقة من حولنا، إننا نحافظ على إسرائيل، وهي جزيرة من الطمأنينة والهدوء والأمان، وهذا ينبع من السياسة المتعقلة والمسؤولة التي ننتهجها، ومن النشاطات العملية والحازمة جدا التي تمارسها جميع الأجهزة الأمنية ويعرف الجمهور جزءاً قليلاً جداً عنها)..

نعم لقد نجحوا بجهودهم المخابراتية في أن يثيروا كل أنواع الصراع عندنا، وبإرادتنا واختيارنا، ليهنئوا هم في جزيرتهم! فهل من مدّكر؟

حرب الإشاعات

٢٣ ذي القعدة ١٤٣٤هـ - ٢٨ سبتمبر ٢٠١٣م

قال «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات:٦].

وفي تفسير الطبري: (وهو ابن أبي معيط الوليد بن عقبة، بعثه نبيُّ الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» مصَدقاً إلى بني المصطلق فلما أبصروه أقبلوا نحوه، فهابهم، فرجع إلى رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث نبي الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» خالد بن الوليد، وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً، فبعث عيونه فلما جاؤوا أخبروا خالداً أنهم مستمسكون بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد، فرأى الذي يعجبه، فرجع إلى نبي الله، فأخبره الخبر، فأنزل الله «عَزَّ وَجَلَّ» ما تسمعون، فكان نبي الله يقول: التبيُّن من الله، والعجلة من الشيطان).

• أصل مهم:

هذه الآية تؤسس لأصل مهم في التعامل مع الخبر، وهو ضرورة التثبت عندما يأتيك الخبر من شخص غير موثوق، لا يتحرج عن الكذب.. بل إن الخبر قد يصل إليك أحياناً ممن تثق به، ولكنك تحتمل أنه لم يتثبَّت من صحة الخبر ودقّته، لأن المصدر الأول لربما كان فاسقاً متعمداً للكذب وإحداث الفتنة، أو متوهماً غافلاً، أو مصاباً بخلل نفسي يصدّق به أوهامه.. وهذا يستدعي منك التثبت حتماً خوفاً من ترتيب آثار قد تندم عليها.

• واتسب فتنة:

قبل أيام قلائل أثيرت على (الواتسب) قضية انتشرت بصورة سريعة بما حملتها من آثار فتنوية، مفادها أن أحد المختصين بالشأن القرآني قد فاز بمركز متقدم في مسابقة دولية في مجال حفظ القرآن الكريم، وأنه تم تجاهله إعلامياً من قبل وسائل الإعلام والجهات المعنية بسبب انتمائه المذهبي. والرسالة كانت مليئة بالشحن الطائفي، وفي ضمنها يقول كاتبها: (أتدرون لماذا؟ لأن الفائز هو الحاج فلان، كويتي صحيح ولكن مصيبته أنه شيعي رافضي صفوي، وسلم لي على الوسطية والمسافة الواحدة والوحدة

الوطنية إلخ ... إلخ...). ولكن بمجرد أن بلغ الخبر الشـــخص المعني، بادر إلى إرســـال ـ ومن موقع إحساســـه بالمســـؤولية الدينية والوطنية ـ رســـالة عبر الواتســـب يؤكد فيها كذب ما تم تداوله، وضمّنها عدة نقاط جديرة بالاهتمام.. وله الشكر على مبادرته وإحساسه بالمسؤولية.

• تحذير نبوي:

في الكافي عن النبـــي الأكرم «صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وَآلِهِ»: (يعذب الله اللســـان بعذاب لا يعذب به شيئاً مـــن الجوارح فيقول: أي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شـــيئاً، فيقال لـــه: خرجَت منك كلمـــة فبلغـــت مشـــارق الأرض ومغاربها، فسُـــفك بها الدم الحرام، وانتُهب بها المال الحرام، وانتُهك بها الفـــرْجُ الحرام، وعزتي وجلالي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شـــيئاً من جوارحك).

ولا يخفى أن ما يتم تداوله ولو كتابياً عبر وسائل التواصل الاجتماعي يدخل في ما ذُكر في ترتب العقاب الشديد.. والأصل فيما يُبث من خلالها هو التثبّت، وذلك لقوة احتمال الكذب! وفيه أيضاً أنه: (جاء رجل إلى النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» فقال: يا رسول الله، أوصني. فقال: احفظ لسانك، قال: يا رسول الله، أوصني. قال: احفظ لسانك. قال: يا رسول الله أوصني) وكأن الرجل لم يقتنع بأن هذه الإجابة يمكنها أن تُشبع رغبته في معرفة ما يحقق له الخير فأخذ يكرر نفس السؤال، ولذا قال له النبي أخيراً: (احفظ لسانك، ويْحك! وهل يكبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلا حصائُد ألسنتهم).

• جهات تريد الفتنة:

والسؤال المهم هنا: من يقف وراء مثل هذه الرســـالة التي لا تعمـــل إلا على المزيد من الشحن الطائفي في أجواء ملتهبة أصلاً؟ ومن يقف وراء أمثال هذه الرسالة من مقاطع فيديو يتم تســـجيلها وبثها؟ من ذا الذي يســـجِّلها؟ ومن يمتلك تقنية التسجيل عبر الفضائيات، والتي هي في الواقع ليست متداولة لكل أحد؟ ومن هو المتفـــرغ لرصد البرامج واللقاءات والخطابات إلخ... ويبقى جاهزاً للتســـجيل والمونتاج والرفع على اليوتيوب ثم النشـــر من خلال وسائل الاتصال الاجتماعي؟ وغير ذلك من أسئلة تثير علامة استفهام كبيرة على ما يجري.

أنا شـــخصياً مقتنع بأن هناك أجهزة تعمل بالأجـــرة لصالح جهـــات مخابراتيـــة دولية بهدف تدمير الواقع الإسلامي كله، السني منه والشيعي، ومن ضمن أساليبها: بث الأكاذيب وتلفيقها حول علماء ورموز وأحزاب وفئات المذاهب المختلفة، وهي تدرك تمام الإدراك أن الأرضية خصبة لقبول مثل ذلك، بل والزيادة

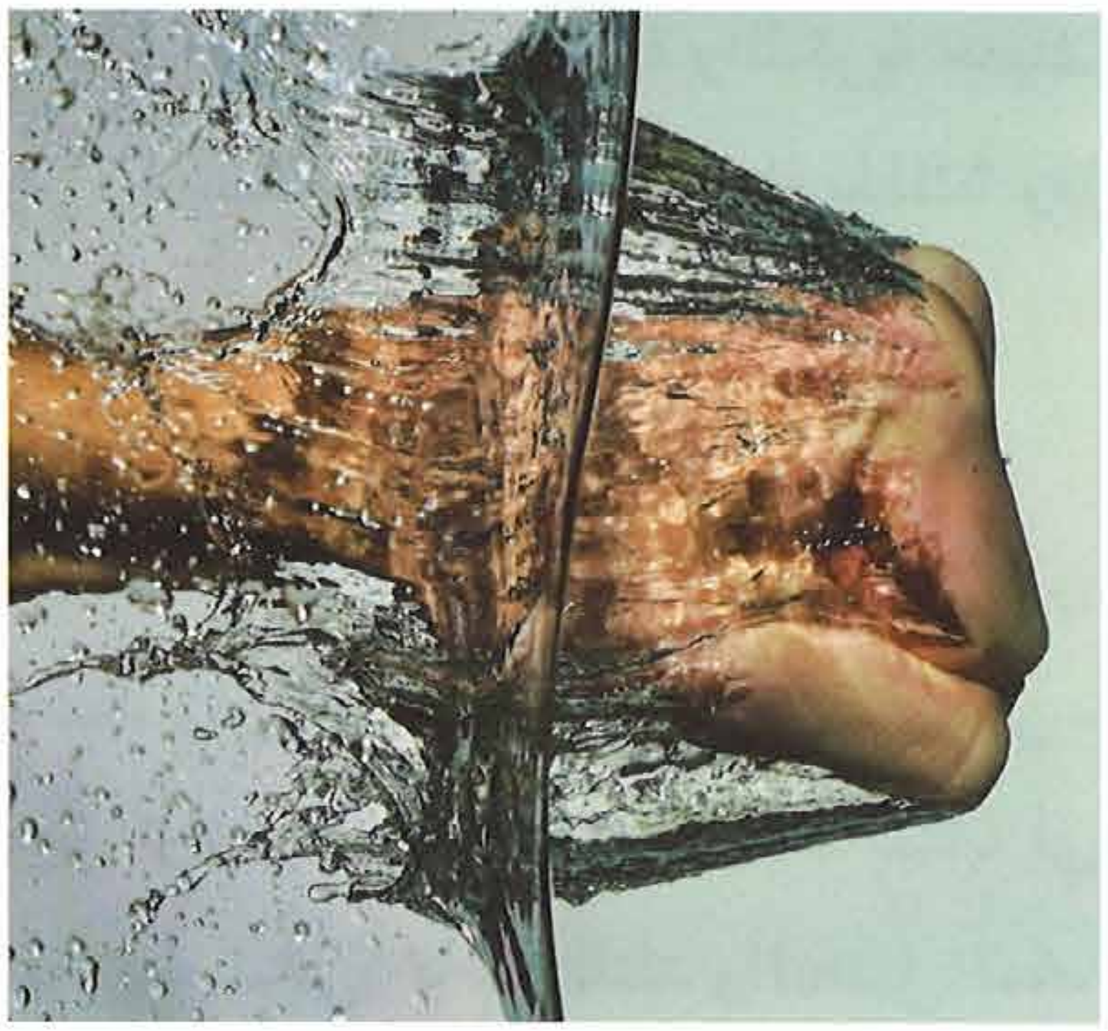

عليه من قبل كل طرف تجاه الآخر.

فإلى متى سنبقى كالدمى بأيديهم يحركوننا كيفما شـــاؤوا مســـتغلين بذلك ابتعادنا عن القيم التي أراد الإسلام ترسيخها فينا لنعيش حياة أفضل، وذلك من قبيل الأصل الوارد في مضمون الآية بضـــرورة التثبت، وأن مخالفة ذلك قد يؤدي إلى كـــوارث عاقبتها الندم في الدارين؟

• في مهب الريح:

لقد أســـقطت الفتن التي أنتجتها كلماتنا الكثير من عناوين القوة فينا، وجعلتنا في مهب رياح الآخرين، وقد قال «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿وَأَطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[الأنفال:٤٦]، وهذه هـــي النتيجة الحتمية لـــكل الكلمات اللامســـؤولة التي تنطلق بالوسائل التقليدية أو الحديثة لتخرق وتمزّق كل أواصر الألفة والتعايش الســـلمي التي ينبغي لها أن تجمع الناس، لتفسح المجال لخليفة الله على أرضه أن يعمّرهـــا.. وهل يتحقـــق الإعمار والتنمية والتطويـــر في أجواء ملؤهـــا الفتن والأحقاد والتشاحن؟



نريد الكلمـــات الواعية الموحدة، المقرِّبة للقلـــوب، الموئـــدة للفتـــن، ولتصمت كل الأصوات المفرِّقة والموترة، الأصوات التي تستفز وتطلق حقداً وبغضاء.

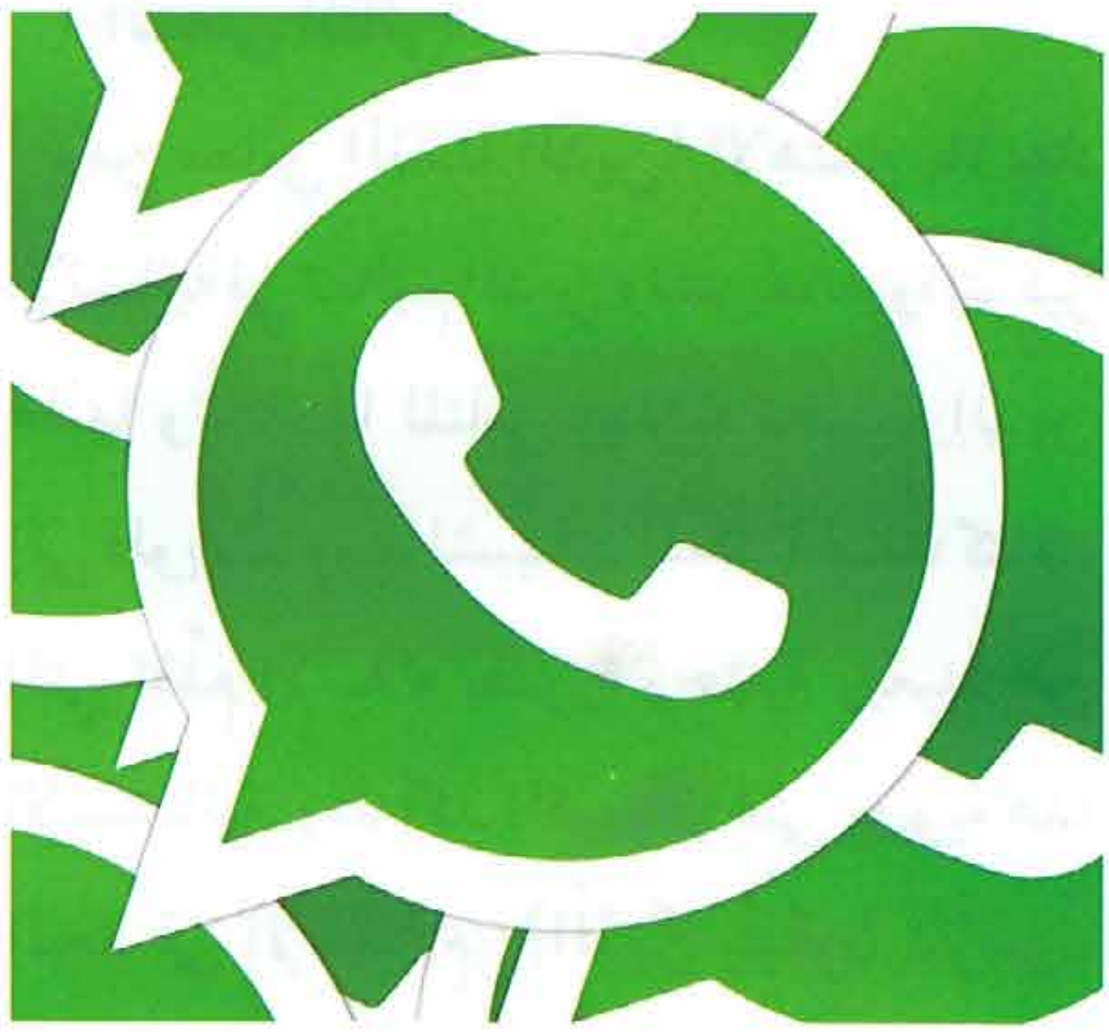

أنسنة الدين

٣٠ ذي القعدة ١٤٣٤هـ
٥ أكتوبر ٢٠١٣مـ

يدور في الأوساط الثقافية والفكرية حديث عن (أنسنة الدين).. فماذا يراد بذلك؟ وما الموقف منه؟

• المعنى الأول:

لأنسنة الدين أكثر من معنى وأكثر من بُعد، ومن ذلك أن نعتبر النص الشرعي - مهما ارتفعت قيمته التوثيقية - بمثابة أي عمل إنساني، خاضع للنقد والتعديل، تماماً كما نناقش أي عمل أدبي. ومن الواضح أن الإنسان الملتزم بسماوية القرآن الكريم لن يقبل الأنسنة بهذا المعنى، لتعارضها مع معتقده حول مصدر الوحي. نعم لو كان الحديث عن السنة، فسيكون الأمر مختلفا، فما كان سنةً حقيقةً، كما لو سمع الإنسان الكلام من النبي الأكرم «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» مباشرة، فسيرفض هذا المعنى.. أما ما وصل إلينا عنه فهو قابل للنقد لاحتمال أنه من المدسوس عليه، أو المحرّف.

• المعنى الثاني:

ومن معاني (أنسنة الدين) الاهتمام بالأبعاد الإنسانية في تعاليم الدين وتشريعاته، والتركيز عليها وتجليتها للناس بهدف تحبيب الدين إلى قلوبهم، ورد الشبهات المثارة ضده، كتلك التي تقدِّم الإسلام بصورة وحشية وبعيدة عن الإنسانية. وقد أكد القرآن على حيوية هذا البعد في الإسلام: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ

النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بالمعرُوفِ وَيَنهَاهُم عَنِ المنْكَرِ وَيُحلُّ لهُم الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:١٥٧-١٥٨]. كما أن مراجعة تفاصيل التعاليم والتشريعات والقضايا الأخلاقية تقدّم الأمثلة والبراهين العملية الكثيرة.

• أنسنة الخطاب الديني:

ويبدو أن إطلاق (أنسنة الدين) على هذا المفهوم غير دقيق، فهو في حقيقة الأمر أنسنة للخطاب الديني، أي أن نعيد صياغة طريقتنا في تقديم الدين للناس، من حيث المحتوى الذي نركز عليه، ومن حيث الأسلوب الذي نكيّفه مع العصر، ومن حيث الدوائر التي لم نفلح أو لم نسعَ لإيصال كلمة الإسلام إليها.

ولا يخفى على القارئ الكريم أن الإسلام لم ينتشر في بعض أصقاع العالم إلا من خلال المفاهيم والقيم الإنسانية الراقية التي قدّمها نظرياً من خلال القرآن، وعملياً من خلال السلوك القيمي الراقي للإنسان المسلم، مقارنةً ببعض الشعوب المتخلفة التي كان يحتك بها في أسفاره، مما كان يدفعهم إلى الدخول في الإسلام بلا تردد. ومن المؤسف أننا اليوم فشلنا على المستويين النظري والعملي، فلم نفلح في أن نقدم خطاباً قيمياً جذاباً بما يتوافق مع الواقع المتغير والمتطور، كما لم نفلح في تقديم النموذج القيمي الراقي من خلال سلوكياتنا المليئة بالمخالفات القيمية والتي لا تشجّع الآخرين على الانجذاب إلى الإسلام، وقد ارتقوا هم على مستوى القيم في عدة جوانب، من قبيل الحفاظ على النظام العام واحترام القوانين والإنتاجية وتقدير الوقت والإتقان.

ولا أتصور أن أحداً يعترض على أنسنة الدين بهذا المعنى، وهو منسجم تماما مع قول الله «عَزَّ وَجَلَّ» : ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥].

• المعنى الثالث:

وهناك مفهوم ثالث لأنسنة الدين، ويعني إطلاق تعاليمه لخدمة الإنسانية جمعاء انسجاماً مع قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]. ولأنّ الأديان السماوية عموماً وجدت لخدمة المسيرة البشرية. ولكن يا تُرى هل يمكن لنا تحقيق ذلك وفق بعض المعطيات الفقهية والأخلاقية التي نقدّمها للناس على أنها شريعة الإسلام وآدابه؟ ولنضرب بعض الأمثلة على ذلك:

١ـ عندما نجعل غير المسلم في خانة الكلاب والخنازير في النص الفقهي في أحكام الطهارة والنجاسة.

٢ـ عندما لا نحترم ممتلكاته ونعتبر أن ما بيده من مال مباحٌ لك ونستطيع أن نسلبه إياه متى ما سمحت لنا الفرصة، وإن لم يكن حربياً.

٣ـ وعندما ننظر إليه نظرة احتقار لأنه لم يهتدِ إلى ما وُلدنا نحن عليه.

٤ـ وعندما نعتبر أن حاجة المرأة من الزواج تقتصر على الإنفاق، فما دام الزوج ينفق عليها فلا حق لها في الطلاق، ولو لم يعاشرها معاشرة الأزواج، ولو آذاها ولم يعاملها بالمعروف.

• مَن في خدمة مَن؟

ولعل معالجة هذا الأمر يستلزم بدايةً أن ننهي الجدل حول النقطة المحورية: هل جاء الدين لخدمة الإنسان، أم وُجد الإنسان لخدمة الدين؟

ويبدو أننا ما دمنا متمسكين بالقول الثاني فلن يمكننا تحقيق هذا المفهوم للأنسنة، وقد أعجبتني كلمة في كتاب: (مقالات في فهم الدين) لسماحة الشيخ حميد المبارك حيث قال: (الطريقة السائدة تسير سيراً معكوساً في مقام فهم الدين، إذ تبدأ بقراءة النص تجريدياً وتنتهي بفرضها على الإنسان، مع أن الصحيح في نظري هو البدء بفهم الإنسان أولاً، ثم الانطلاق من ذلك إلى دراسة النص على قاعدة أن الدين لأجل الإنسان وليس الإنسان لأجل الدين، فلما كان الدين معدّاً لمصالح الإنسان، وجب أن يكون على مقاسه الذي يجب أن نعرفه في مرحلة سابقة). ولذا تجد أن القرآن يعتمد طريقة التعليل بالمصالح والمفاسد في التحليل والتحريم كما في الخمر والميسر ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾[المائدة:٩١]. وعندما تحدث عن تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير علل ذلك بأنها (رجس) أي شيء قذر مضر. بل عندما تحدث عن الالتزام الديني مثّله باللباس الأنسب للإنسان ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[الأعراف:٢٦] وهل يمكن أن تعرف اللباس المناسب قبل أن تعرف خصوصيات مَن يرتديه وطبيعة حاجاته؟

بتصوري أن الدراسات الفقهية والأخلاقية لو انطلقت من خلال هذا المنهج سيمكنها أن تحقق نقلة نوعية في ظل النص الشرعي، لا بالتخلي عنه، ولا بتجاوز الدليل على شئ متى ما قام، بل بمعنى تكوين رؤية ومنهجية تساعد في إعادة قراءة الأدلة ومعالجة التعارض بينها وغير ذلك بما يتوافق مع العنوان العام الذي استخلصناه، وهو أن الله سبحانه جعل الشريعة في خدمة الإنسان.



الحرية عند الإمام علي ١ـ ٣

مكة المكرمة

٧ ذي الحجة ١٤٣٤هـ ـ ١٢ أكتوبر ٢٠١٣م

في الكافي عن علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» أنه قال: (أيّها الناس، إنّ آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وإنّ الناس كلّهم أحرار). وفي وصيته للحسن «عَلَيْهِ السَّلامُ» كما في نهج البلاغة: (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً).

• محاور الحرية:

عادة ما ننظر إلى مسألة الحرية من زاوية الحديث عن:

١ـ الحرية في مقابل الرقّيّة أي استعباد الإنسان للإنسان نتيجة الحروب والغارات واستيلاد الإماء وأمثالها مما كان معهوداً وتلاشى تقريباً إلا في نطاقات وصور محدودة وهي عادةً مجرَّمة قانوناً. وإقرار الإسلام للعبودية بهذه الدلالة ليس تشجيعاً لممارستها واستمراريتها، ولكن جاء في ظروف لم يكن من الممكن إلغاء هذا النظام بشكل كامل، ولكنه عمل على معالجة الموضوع تشريعياً وأخلاقياً بحيث يخفف منها أو يلغيها على مر الزمن.

٢ـ الحرية في مقابل الجبر، وهو الذي يأتي عادة في بحث الجبر والاختيار، وترتب العقوبة الدنيوية، والحساب الأخروي والعقوبة والمثوبة والتفاضل بين الناس في المقام عند الله بالجنة أو النار.

٣ـ الحرية الشخصية في مقابل التقيد بالقوانين العامة التي تحكم المجتمعات، كحرية الملبس والمأكل والمظهر العام، والحرية السياسية والتجارية وغير ذلك.

• مدلولات أخرى:

ولكن هناك جوانب أخرى للحرية تحدث عنها أمير المؤمنين «عَلَيْهِ السَّلامُ» انطلاقاً من مفاهيم القرآن وتعاليم النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» ومن بينها:

١ـ حرية الإنسان في مقابل الوقوع في أسر المادة وقيودها والأهواء الشخصية والإخلاد إلى الأرض والحياة الدنيا، وقد ضرب القرآن مثلاً يؤكد من خلاله أن لا أحد مهما بلغ من مراتب التدين يكون مستثنياً من خطر الوقوع في أسر المادة: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف:١٧٥-١٧٦].

٢ـ حرية الإنسان في مقابل الكون في أسر المعاصي بأنواعها. ولارتكاب المعاصي معادلات بجانب أثرها الأخروي، من بينها التحوّل من عبودية الله إلى عبودية الشيطان ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[الزخرف:٣٦].

٣ـ حرية الإنسان في مقابل العبودية للإنسان القوي الذي ينقاد إليه في الحق والباطل استسلاماً حذّر منه القرآن وبيّن نتائجه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[البقرة:١٦٦-١٦٧].

٤ـ حرية الإنسان في مقابل الوقوع تحت تأثير مدّعي الارتباط بالغيب من الكهنة والسحرة والعرّافين والآكلين من مال الناس باسم الدين وأمثالهم، الأمر الذي يؤدي إلى الوقوع في إصر طلباتهم وتعليماتهم، بل وقد تجرّه إلى قتل النفس المحرَّمة، أو التعدي على حقوق الآخرين وكرامتهم. قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْم وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاء عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾[الأنعام:١٤٠].

٥ـ حرية الإنسان في مقابل العادات والتقاليد المبتدعة وغير المبرَّرة والتي تستلزم تحميل الإنسان أعباء ثقيلة وهي بمثابة الإصر والأغلال التي تعيق حركة الإنسان في الحياة وتقيّد حريته وتثقل كاهله بالالتزامات المادية.

وهناك أمثلة كثيرة بخصوص الأخذ بالثأر من خلال القتل ومن خلال التزويج القهري أو الاغتصاب أو غير ذلك مما تمارسه بعض المجتمعات في إطار العادات والتقاليد المتخلفة والتي تمثّل نوعاً من الإصر والأغلال المقيِّدة، وجاء الإسلام لتخليص الإنسان منها. وهكذا يحوّل بعض المتدينين بعض الممارسات الدينية الجميلة والمفيدة إلى عادات وتقاليد، فالاجتماع لتلاوة القرآن أو لذكر النبي وآله يتحول إلى مجالس

ذات قيود في طريقة الممارسة تخرجها عن روحانيتها، وإلى تكاليف مادية باهضة تُدفع للقارئ أو القارئة، وللتفاخر بالزينة، وما إلى ذلك. ولربما تكون الآية التالية تشير إلى شئ من ذلك: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف:١٥٧].

• مهمة الأنبياء:

وتحرير الإنسان من هذه العبوديات بأنواعها هي من مهام الأنبياء «عَلَيْهِم السَّلامُ» كما بينت الآية، وقد نهض الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» بهذه المسؤولية بعد خاتم الأنبياء «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» وجاء جانب من ذلك في بيانه لحقيقة مفهوم الحرية والعبودية من خلال خطبه وحكمه الرائعة وذلك في التفاتة شمولية لمفهوم الحرية، خلاصتها أن الحرية الحقيقية لا تأتي من خلال العبودية الحقيقية لله وحده. فبمقدار ما تتقدم في هذا الاتجاه، بمقدار ما تحرر نفسك من كل ما يستعبدك.

• القس اليسوعي:

وفي هذا الصدد ألقى القس سامي حلاّق اليسوعي كلمة في إحدى المناسبات الدينية بعنوان: (تأسيس مفاهيم الحرّيّة في عقول الناس على نهج الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ») أحب أن أنقل جانباً منها:

(إنّني لستُ من الاختصاصيّين في سيرة هذا الإمام الجليل. ولكنّني أراه على الدوام إنساناً تقيّاً ومعلّماً روحانيّاً أكثر منه خليفةً سياسيّاً أو حاكماً مدنيّاً... في تأمّلاتي لأقوال الإمام عليّ بن أبي طالب، راودني سؤالٌ ملحّ: ما هو المفهوم الجوهريّ للحرّيّة الّذي يبني عليه إمامنا تعاليمه وأقواله؟

قد يبدو لكم هذا التساؤل غريباً. فالحريّة حرّيّة. إنّها مبدأٌ وجوهر. ومنها تخرج الفروع: حريّة التعبير، حريّة الفكر، حريّة التجارة، حريّة التنقّل ... ولكنّني لاحظتُ، من الناحية الروحيّة، أنّ الإمام عليّ «عَلَيْهِ السَّلامُ» لا يعتبر هذه الأمور حريّة، أو حريّات جوهريّة. فالحريّة الجوهريّة في رأيه تنطلق من نظرة روحيّة إلى الإنسان، وعلى هذه النظرة أن تطرح تساؤلاتٍ على كلّ تعريفٍ للحريّة تعطيه العلوم الإنسانيّة... هل مبدأ: «الحرّيّة هي أن أفعلَ ما أشاءُ» هو التعريف الصحيح للحرّيّة؟ ربّ قائلٍ يقول: أجل، هذه هي الحرّيّة ولكنّها تنتهي عند حرّيّة الآخرين. أي حريّةً ولكن ضمن حدود. فلسفيّاً، لا يمكننا أن نقبل هذا التعريف، لأنّ الحريّة هي عكس الحدود. إنّها غياب الحدود... إذا تأمّلنا أقوال الإمام

علي، نــرى أنّه يعتبر الحريّــة أوّلاً هي قدرة الإنسان على التقرّب من الله. أنا حرّ بمقدار ما أســتطيع أن أتقرّب من العزّة الإلهيّة... كلّ مفاهيم الحرّيّات الشــائعة بين الناس: حريّة التعبير، حريّة الفكــر، حريّة التصرّف، عليها أن ترتوي مــن نبعٍ واحدٍ وحيــد وهو الله... ولكي يتمكّن من ذلك، ليس أمامه إلاّ الزهد. «مَن زهِدَ في الدنيا أعتق نفسه وأرضى ربّه».

المفهوم الثاني للحرّيّة في فكر الإمامِ عليّ هو أنّ الحرّيّة مسيرة. إنّها ليست نقطة وصول كمــا يعتقد بعضهم، وليســت حالــةً جامدة كما يظنّ آخرون. إنّها مســيرة. مســيرة جهد شــخصيّ... يقول الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ»: «مَن قام بشرائط العبوديّة أهلٌ للعتق، ومَن قصّر عن أحــكام الحرّيّة أعيد إلى الــرِّق». هذا القول مدهش! كيف يســتطيع الإنســان أن يصبح أهلاً للحريّة إذا قام بشــرائط العبوديّة؟ لفهم هذا الأمر، أســتعين بتشبيهٍ للأب هنري بولاد اليسوعيّ.

لنأخذ مثال عجلة الدرّاجة. فالقضبان الّتي تضغط بكلّ قواها علــى المحور المركزيّ، تبدو وكأنّها تريد سحقه وتثبيته وخنقه وشلّ حركتــه. ومع ذلــك، فإنّ المحــور الخاضع لجميع هذه الضغوطات، حين يتحمّل عبئها، «حين يقــوم بشــرائط العبوديّــة.» لا يُبطِلُ مفعولها وحسب، بل يجانسها ويوحّدها.

الإنسان هو هذه العجلة. والمحور هو حرّيّته. والقضبان هي الحتميّات المفروضة عليه. فإذا أراد الانطلاق إلى الأمام، إذا أراد التقرّب من الله، عليه ألاّ يبدّد قواه في مصارعة الحتميّات وإلغائهــا. لأنّ تحطيم قضبــان العجلة، إلغاء بعضٍ منها، يجعل ســيرها مترجّحاً، وتقدّمَها بطيئــاً. كلّ مــا عليه أن يفعله هــو أن يقبلها راضيــاً. «أن يقوم بشــرائط العبوديّة». حينها يصبح حرّاً. وإذا زاد بالزهد والجهد الروحيّ عدد القضبان ازدادت ســرعته. ففي عجلات السباق، عدد القضبان هو أكثر من عددها في العجلة العاديّة. الحرّيّة هي من هذا النمط.

إنّها قيام الإنســان بشــرائط العبوديّة. إنّها فنّ قبول الحتميّات والتنســيق بينها، والبناء على أساسها لا الســعي إلى إلغائها. الحريّة هــي مكان دمج جميــع ظروفنــا البيولوجيّة والاجتماعيّة والنفســيّة. إنّهــا المحور الّذي يتحمّلها وينسّــق بينها، لتتمكّن العجلة من الــدوران، والحيــاة من التقــدّم. فبمقدار ما يستطيع الإنسان أن يقبل بوعيٍ ما يحدّدُه، أن يقوم بشــرائط العبوديّة، يتصرّف تصرّفاً حرّاً، تصرّفاً إنسانيّاً حقّاً. الحرّيّة هي أن أقبل ذاتي كمــا أنا - أو كما لســتُ عليه- لأكون فوق ذلك أو بعيداً عنه. فــي الختام، أوجزُ ما قلتُه بعبارةٍ للإمام عليّ «عَلَيْهِ السَّلامُ»: «الحرُّ حرٌّ ولو مسّه الضرر، والعبدُ عبدٌ وإن ساعده القدر.»).

الحرية عند الإمام علي

٢ـ ٣

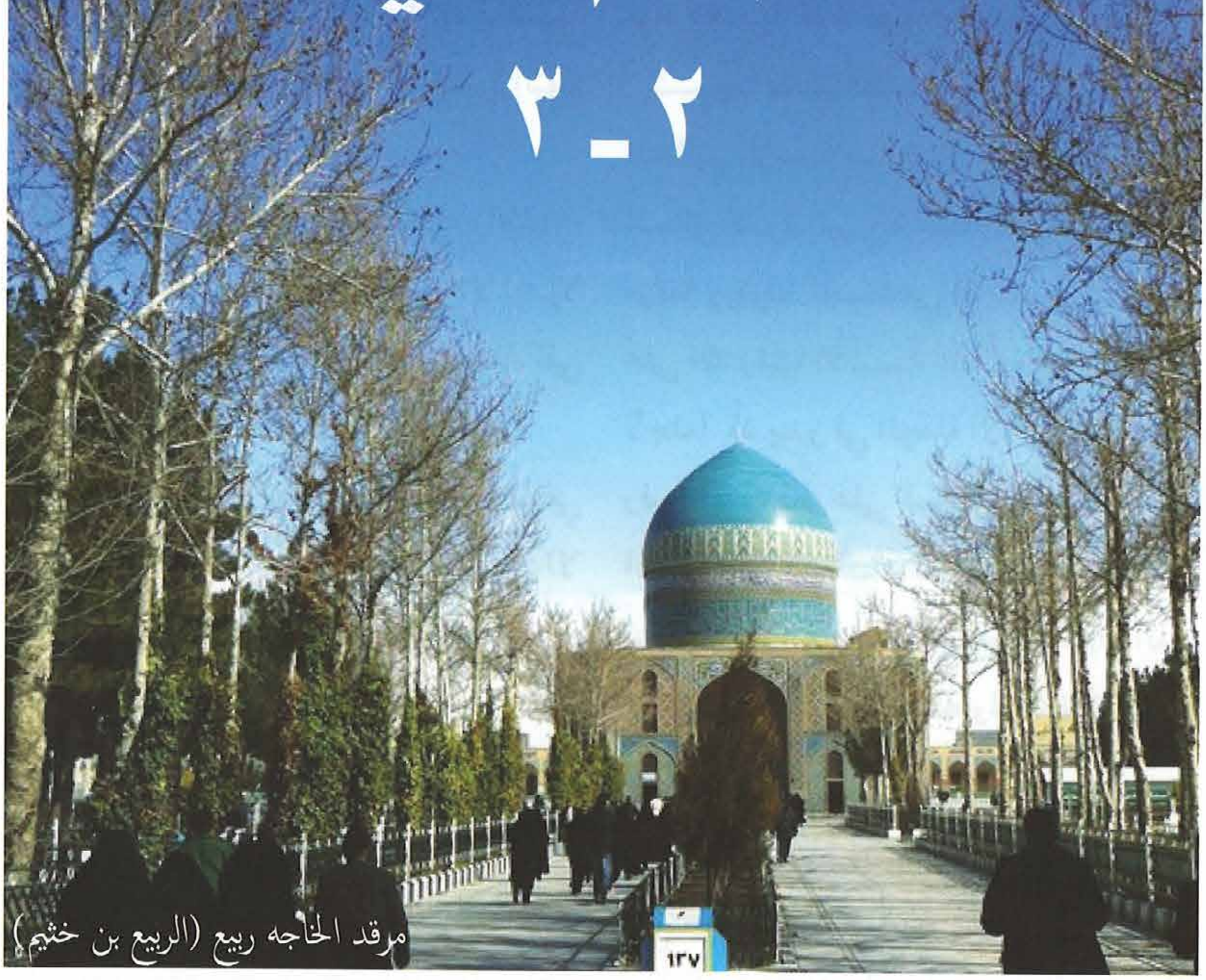

مرقد الخاجه ربيع (الربيع بن خثيم)

١٤ ذي الحجة ١٤٣٤هـ ـ ١٩ أكتوبر ٢٠١٣م

اعتبر الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» في كلماته أن التقوى من أهم أسس تحقيق الحرية عند الإنسان، وقد ورد عنوان التقوى في نهج البلاغة مكرراً بشدة، فلنتعرف بداية على مفهوم التقوى وفق كلماته «عَلَيْهِ السَّلامُ». في الوهلة الأولى الذي يتبادر إلى الأذهان من مفهوم التقوى هو الوقاية والحذر والاجتناب، وبالتالي تكون التقوى سيرة عملية سلبية، وكلما كان الحذر أكثر كلما ازدادت التقوى، ولذا من المتدينين مَن يَحذرون الدخول في أي مجال عام رعاية لذلك.

• مفهوم التقوى:

لاشـــك أن الحذر والاجتنـــاب من أصول الحياة للإنســـان العاقل، وقد تحدث القرآن عـــن دور المبلّغيـــن في تحقيـــق ذلك عند النـــاس: ﴿وَمَـــا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِـــرُواْ كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَـــةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنـــذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:١٢٢].

كما اقتـــرن الإيجاب بالســـلب، والإثبات بالنفـــي كما فـــي كلمة التوحيـــد (لا إله إلا الله)، ولا يمكـــن إثبات التوحيد إلا بعد نفي الشريك عنه سبحانه.

ولكن لابد من الانتقال من السلب والنفي إلى الإيجاب والإثبات، فلا يكفي أن تقول: (لا إله)، والسيرة السلبية غير محمودة العاقبة.

• الربيع بن خثيم:

وفـــي التاريـــخ أمثلة عديدة لأنـــاس راموا التقوى بالســـلب وبالاجتنـــاب، ففي معركة صفين وعلـــى رأس جيش الحق: الإمام علي الذي يدور معه الحـــق حيثما دار، يأتي أحد أفراد جنده وهو ربيع بن خثيم (وقيل خيثمة) المعـــروف لاحقاً بأنه أحد الزهـــاد الثمانية، والملقب بخاجه ربيع، ليحتار في أمره بذريعة التقوى! والنص كما في بحار الأنوار: (وأتاه آخرون من أصحاب عبد الله بن مسعود فيهم ربيع بـــن خثيم وهم يومئـــذ أربعمائة رجل فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا شـــككنا في هذا القتـــال على معرفتنا بفضلك ولا غناء بنا ولا بك ولا بالمسلمين عمّن يقاتل العدو، فولِّنا بعض هذه الثغور نكـــون به نقاتل عن أهله. فوجهه علي «عَلَيْهِ السَّـلامُ» إلى ثغر الري فكان أول لواء عقده بالكوفة لواء ربيع ابن خثيم).

ثـــم بدأ يخلق لنفســـه مفاهيـــم بعيدة عن التعاليم الإســـلامية، فينقل أنه كان لا يعطي السائل كسرة خبز ولا شيئاً مكسوراً ولا ثوباً مرقعاً ويقول: (أســـتحي أن تُقـــرأ صحيفتي على الله وفيها الأشـــياء التافهة التي أعطيتها لأجله). قد يبدو في الوهلة الأولى أنه تصرف رفيع القدر، دال على كمال إيمانه، ولكن عند التمعـــن يتبدى لـــك أن تصرفه هذا مخالف لتعاليم الإسلام وسنة النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» الذي يؤكـــد على ضرورة العطاء ولو بمقدار شـــق تمرة، أو شربة ماء.

• مع خبر استشهاد الحسين:

وتطور الأمر حتى أخذ على نفسه ألا يتفوه أبداً إلا بدعاء أو ذكر، والتزم بذلك، حتى إذا قُتل الحسين «عَلَيْهِ السَّـلامُ» بكربلاء وأُخبِر الربيع بالأمر لم يتمالك نفســـه أن قال: (الويل لأمة قتلت ابن نبيها) ثم ســـرعان ما ســـكت ولم يكمل جملته وصار يستغفر ندماً على تفوهه بهذه الكلمات.

هل يمكن أن نعدّ هذا نموذجاً للتقوى التي

أرادها الله؟ أمن التقوى أن يكون المرء تحت لـــواء الإمام علي «عَلَيْهِ السَّـلامُ» ثـــم يتخلى عنه في أحلك الظروف تنزهاً؟ أمِن التقوى أن يعيش فـــي ظل الظلم فلا يحرك ســـاكناً ويلجأ إلى الذِّكر فقط؟ وما أحسن كلمة أمير المؤمنين: (لا يُرى الجاهل إلا مُفرِطاً أو مفرِّطاً).

• ابتداع الرهبانية:

تمامـــاً كمـــا نقـــرأ فـــي ســـيرة النصارى: ﴿وَرَهْبَانِيَّـــةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَـــا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْـــوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَـــقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُـــوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[الحديد:٢٧] ..

كانت هناك دعـــوة إلهية للاهتمام بالجانب الروحي فـــي مواجهة كل الطغيـــان المادي والخلود إلـــى الأرض الذي عاشـــه اليهود، فاســـتغرقوا في ذلك متناســـين الهدف الذي من أجله طُلب منهم ذلك، فتحولت الوسيلة إلى غاية، فاختاروا العزلة، وعاشـــوا السلبية في حياتهم تجاه الواقع، واختلقوا لأنفســـهم مفاهيم وأساليب خاصة للرهبنة حتى تحولت إلى وســـيلة للفســـوق عن تعاليم الله بعد أن أرادوها وسيلة للقرب من الله!

• مع الإمام علي:

ولكن عندما تعود إلى كلمات علي «عَلَيْهِ السَّـلامُ» حـــول التقوى لا تجد هذا الســـلب فقط، بل تجد النقلة إلى الإيجاب: (إِنّ الدُّنْيَا دَارُ صِدْق لِمَنْ صَدَقَهَا، وَدَارُ عَافِيَة لِمَنْ فَهِمَ عَنْهَا، وَدَارُ غِنـــىً لِمَنْ تَزَوّدَ مِنْهَا، وَدَارُ مَوْعِظَة لِمَنِ اتّعَظَ بِهَا، مَسْـــجِدُ أَحِبّاءِ اللهِ، وَمُصَلّـــى مَلاَئِكَةِ اللهِ، وَمَهْبِطُ وَحْيَ اللهِ، وَمَتْجَرُ أَوْلِيَاءِ اللهِ. اكْتَسَـــبُوا فِيهَا الرّحْمَةَ، وَرَبِحُوا فِيهَا الْجَنّةَ).

فكلمـــة التقوى عند علـــي لا ترادف كلمة (الحذر)، بل هي: (قوة روحية تتولد للإنسان مـــن التمرين العملي الحاصـــل من الحذر المعقول من الذنوب، فتصونه من الانحراف والفسوق).

(ذِمّتي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ. إِنّ مَنْ صَرّحَتْ لَهُ العِبَرُ عَمّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ المَثُلاتِ، حَجَزَتْهُ التّقْوَى عَنْ تَقَحّمَ الشّبُهَاتِ... أَلاَ وَإِنّ الْخَطَايَا خَيْلٌ شُـــمُسٌ منع ظهـــره أن يُرْكَبَ. حُمِلَ عَلَيْهَـــا أَهْلُها، وَخُلِعَـــتْ لُجُمُهَا تُلجم بـــه، فَتَقَحّمَتْ بِهِمْ في النّـــار. أَلاَ وَإِنّ التّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأُعْطُوا أَزِمّتَها، فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنّةَ).

فالتقوى بحسب علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» تعطي للإنسان قـــوة وإرادة وصلابة في مواجهـــة التحديات كراكب ماهر مدرب يســـيطر علـــى مركوبه، ويقـــوده إلى حيث يريـــد، لا إلى حيث يريد فرسه.

• وقاية لا سجن:

وأكد «عَلَيْهِ السَّـلامُ» على أن التقوى وقاية لا قيود، وكثير منا لا يفرق بين الإثنين، ولذا تجد من

يفر من التقوى رغبة في التحرر من القيود، بينما هو في الواقع يعرّض نفسه للمخاطر..

ففرْقٌ بين جدار السجن وبين جدار الحصن: (اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ، أَنّ التّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لاَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلاَ يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ. أَلاَ وَبِالتّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا) والحُمَة هي شوكة العقرب والزنبور، والمراد هنا لسعة الذنوب وسطوتها.

ويقول في موقع آخر: (فإنَّ تقَوَى اللهِ مِفتَاحُ سَدَادٍ، وذَخيرَةُ معَادٍ، وعِتقٌ مِن كُلِّ مَلَكَة، وَنجاةٌ مِن كلِّ هَلَكَةٍ). فهي منبع للحرية وليست قيوداً تكبّل حركة الإنسان، لأنها تعتق الإنسان من عبودية الإنسان للإنسان، ومن عبودية الإنسان للمال، ومن عبودية الإنسان لشهواته، وكلها سبب للذل، أما التقوى فسبب للعزة، لأن الحرية سبب للعزة وحفظ الكرامة وارتفاع القيمة.

وتحدث الإمام «عَلَيْهِ السَّلامُ» عن آثار أخرى للتقوى، ومن ذلك: (واعْلَموا أنّه مَن يتّقِ اللهَ يَجْعلْ لَه مَخرَجاً من الفِتَن ونُوراً من الظُّلَم ويُخَلّده فيمَا اشتَهَت نفسُه، ويُنزِلُه منزلَ الكَرامةِ عِندَه، في دَار اصطَنَعَها لِنفسِه) وفي هذا تأكيد وبيان لما ذكره القرآن.

• المسار التاريخي للتقوى:

وللإمام «عَلَيْهِ السَّلامُ» وصف رائع للمسار التاريخي للتقوى وعلاقة البشر بها، وعن بعض خصوصياتها، معتبراً أنها حق الله على الإنسان، وأن حق الإنسان في الآخرة إنما يناله من خلال التقوى، قال: (أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، فَإِنّهَا حَقُّ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللهِ حَقّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللهِ: فَإِنّ الْتّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجُنّةُ، وَفِي غَدٍ الطّرِيقُ إِلَى الْجَنّةِ، مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ. لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الأُمَمَ الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً، إِذَا أَعَادَ اللهُ مَا أَبْدَى، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى، وَسَأَلَ عَمّا أَسْدَى. فَمَا أَقَلّ مَنْ قَبِلَهَا، وَحَمَلَهَا حَقّ حَمْلِهَا! أُولئِكَ الأَقَلّونَ عَدَداً، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِن عِبَادِيَ الشّكُورُ﴾ فَأَهْطِعُوا) أسرعوا (بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وأَكظُّوا بِجِدّكُمْ عَلَيْهَا، وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلّ سَلَفٍ خَلَفاً، وَمِنْ كُلّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً. أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، واقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ، وَارْحَضُوا) اغسلوا (بِهَا ذُنُوبَكُمْ، وَدَاوُوا بِهَا الأَسْقَامَ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلاَ يَعْتَبِرَنّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا. أَلاَ وصُونُوهَا وَتَصَوّنُوا بِهَا، وَكُونُوا عَنِ الدّنْيَا نُزّاهاً، وَإِلَى الآخِرَةِ وُلاّهاً، وَلاَ تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التّقْوَى، وَلاَ تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدّنْيَا).

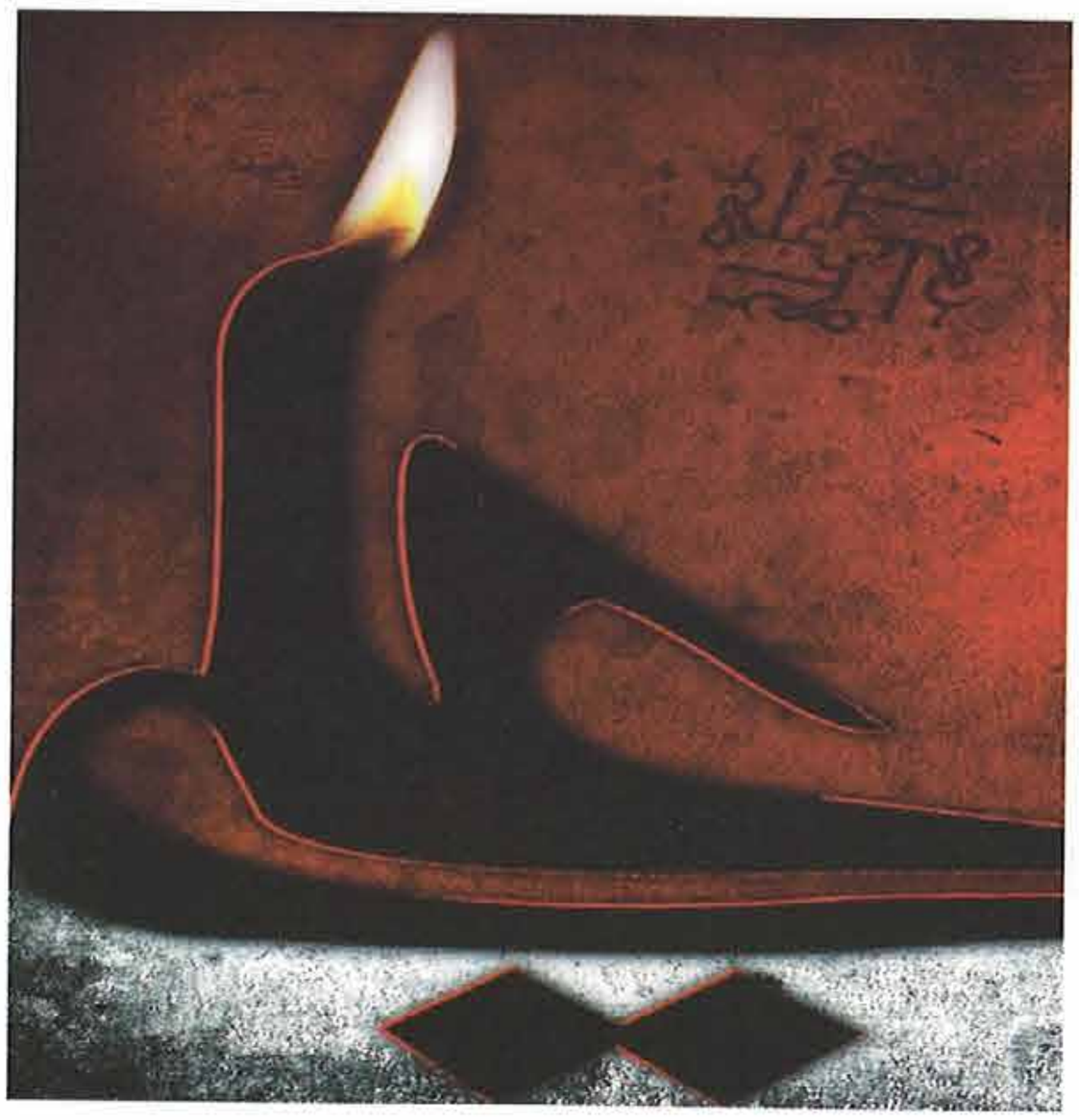

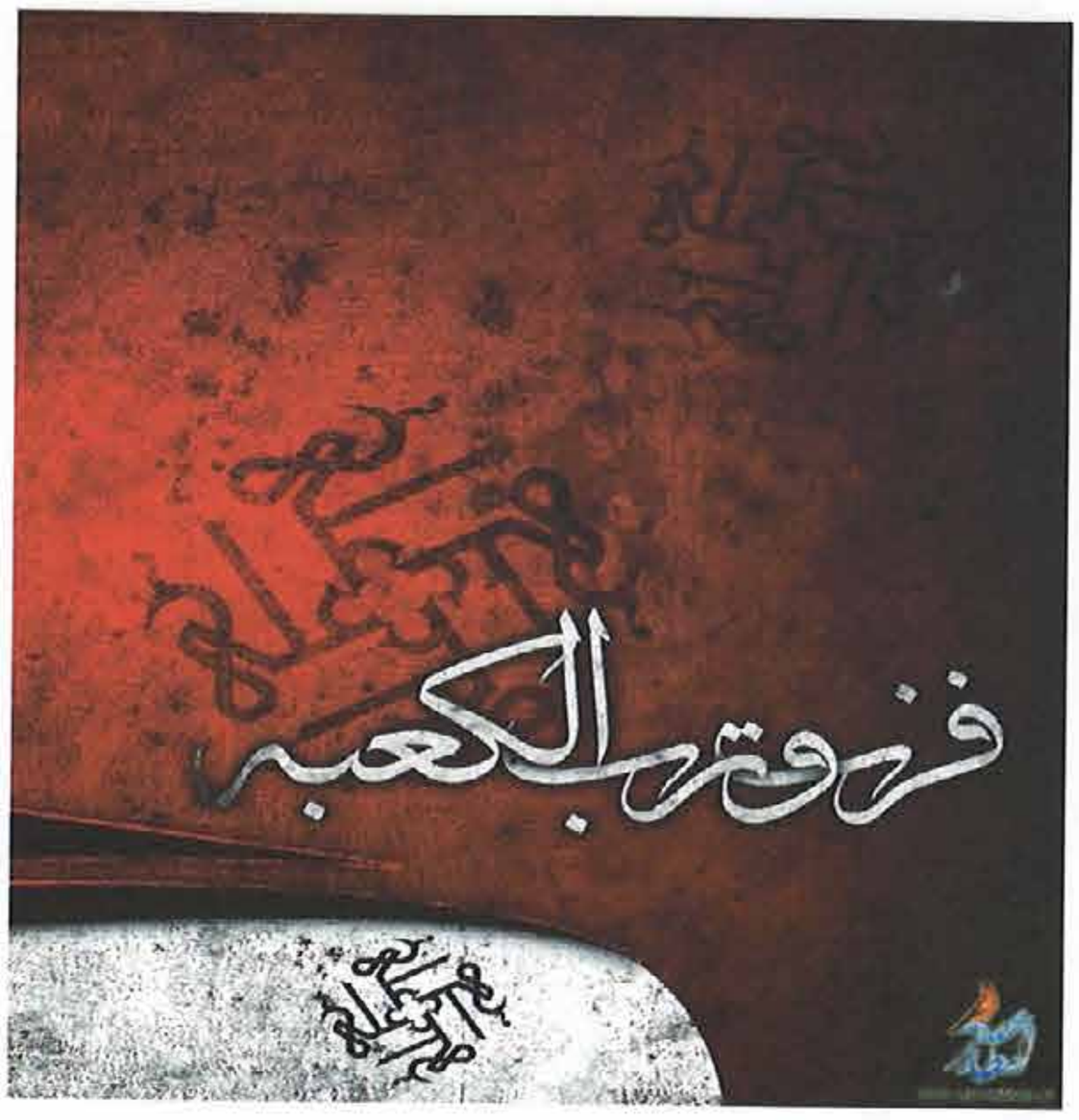

الحرية عند الإمام علي

٣ـ٣

٢١ ذي الحجة ١٤٣٤هـ ـ ٢٦ أكتوبر ٢٠١٣مـ

عن علي «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (مَن زهِدَ في الدنيا أعتق نفسه وأرضى ربّه). اعتبر الإمام في بعض كلماته أن الزهد من أهم أسس تحقيق الحرية عند الإنسان.

• تعريف بالزهد:

لغوياً الزهد يقابل الرغبة والميل والانجذاب، وبالتالي فالزهد بمعنى الإعراض. والإعراض نوعان:

١ـ طبعي: وهو عدم إقبال الطبع على شئ معين، كطبع المريض إذ لا يشتهي الطعام والشراب، وكطبع الإنسان السوي في عدم تقبل تناول الديدان مثلاً.

٢ـ اختياري: فقد يرغب الإنسان بطبعه في فعل هذا الشئ، ولكنه يعرض عنه بعد تفكر، لأنه يراه مخالفاً لشخصيته ومروءته أو دينه أو سبباً في فقدان سعادة أو جالباً لشر دنيوي أو أخروي ..إلخ.

من الواضح أن مرتكز الكلام هو النوع الثاني من الإعراض.

وقد عرّف الإمام «عَلَيْهِ السَّلامُ» كما في نهج البلاغة حدود الزهد وطريق تحقيقه في موردين:

الأول: في الخطبة ٧٩ قال «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (... أيها الناس، الزهادة قِصَر الأمل، والشكر عند النعم، والورع عند المحارم).

الثاني: في الحكمة ٤٣٩ قال: (... الزهد بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه: ﴿لِكَيْ لاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ ومَن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه).

الزهد حسب التعريف والتفسير الذي يستفاد من نهج البلاغة هو حالة روحية لها انعكاسات عملية، تجعل الإنسان خفيفاً في حركته، حراً من قيود كثيرة قد تمنعه من قول كلمة الحق، أو الأمر بالمعروف، أو النهي عن المنكر.. كما تجعله حراً من قيود المعاصي، ولذائذ الدنيا إذا تحوّلت إلى أمور سلبية تعارض انطلاقة الإنسان نحو تحقيق عبوديته لله.

• بين الزهد والرهبنة:

وقد يطرح البعض سؤالاً مفاده: أي فرق بين الزهد وبين الرهبنة التي ذمها الإسلام باعتبارها بدعة وقال في شأنها النبي الأكرم محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ»: (لا رهبانية في الإسلام).

ونحن نشهد أن تعاليم الإسلام قد شملت جميع جوانب الحياة، وهي تقوم على أساس كرامة الحياة الإنسانية، لا الإعراض عنها. بل لماذا يزهد الإنسان في الحياة؟

لماذا يأتي إلى الحياة ويرى بعينه بحور النعم الإلهية ثم هو يمر عليها مرور الكرام؟ ألا يُحتمل أن الزهد من البدع التي دخلت الإسلام كما دخلت الرهبنة للمسيحية؟

والجواب أن الزهد الإسلامي شيء والرهبنة شيء آخر.

فالرهبنة: انقطاع عن الخلق لعبادة الخالق، على أساس التضاد بين عمل الدنيا والآخرة، أما الزهد الإسلامي فيقوم في وسط الحياة ومن واقع تحمل المسؤولية الفردية والاجتماعية.

• من حرّم زينة الله؟

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإسلام لم يمنع من التمتع بنعم الحياة، وقد شكا العلاء بن زياد الحارثي الهمداني أخاه عاصم ابن زياد، فقال له الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (وماله؟ قال: لبس العباءة وتخلى عن الدنيا! قال: عليّ به. فلما جاء قال له: يا عُديّ نفسه! لقد استهام بك الخبيث! أما رحمت أهلك وولدك؟ أترى أحل الله لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها؟ أنت أهون على الله من ذلك. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك! فقال «عَلَيْهِ السَّلامُ»: ويحك! إني

لست كأنت، إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدِّروا أنفسهم بضعفة الناس).

وفي (أصول الكافي) عن أمير المؤمنين أنه قال: (إن الله جعلني إماماً لخلقه، ففرض عليّ التقدير في نفسي ومطعمي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقير بفقري ولا يُطغي الغني غناه).

• لا لتعلق القلب بالدنيا:

نعم الإسلام يدفع إلى عدم التعلق القلبي بهذه المتع، وعدم جعلها أولوية في الحياة، وإلى اختيار حياة بسيطة غير متكلَّف فيها. مع الأخذ بعين الاعتبار ما يلي:

١ـ أن الاستفادة المادية من المسخَّرات في هذه الحياة والتمتع بنعيمها الفاني ليس هو السبيل الوحيد لتأمين سعادة الإنسان، بل لابدّ من أمور معنوية تحقق السعادة في الدنيا أو الآخرة.

٢ـ إن مصير سعادة الفرد لا ينفك عن مصير أمته، وبالتالي فهو يتحمل المسؤولية تجاه أسرته وتجاه جيرانه وتجاه أبناء وطنه ودينه والإنسانية (من بات ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم).

٣ـ انغماس الإنسان في اللذائذ المادية لا يدع مجالاً لتقوية الروح.

وإذا التفتنا إلى هذه الأمور اتضح لنا كيف أن الإسلام حين ينفي الرهبنة يضع الزهد في صميم الحياة وقلب المجتمع. وهذا ما تحقق في شخصية أمير المؤمنين، وقد قال الشريف الرضي في مقدمة النهج: (ومن عجائبه «عَلَيْهِ السَّلامُ» التي انفرد بها، وأمن المشاركة فيها أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر، إذا تأمله المتأمل، وفكّر فيه المتفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله، ممن عظم قدره، ونفذ أمره وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في أنه كلام من لا حظَّ له في غير الزهادة، ولا شُغل له بغير العبادة، قد قبع في كسر بيت) قبع = انزوى واعتزل (أو انقطع إلى سفح الجبل لا يَسمع إلا حسه، ولا يَرى إلا نفسه، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من ينغمس في الحرب، مصلتاً سيفه) أصلت سيفه = جرّده وأخرجه من غمده (فيقطّ الرقاب) يقط الرقاب = يقطعها عرضاً، فإن كان يقطعها طولاً قيل: يقدّ (ويجدّل الأبطال) يجدل الأبطال = يلقيهم على وجه الأرض (ويعود به ينطف دماً ويقطر مهجاً) ينطف = يقطر ويسيل ـ المهج جمع مهجة = دم القلب و الروح (وهو مع تلك الحال، زاهد الزهاد، وبدل الأبدال) الأبدال جمع بدل أو بديل = تعبير ورد في بعض الأخبار يراد به قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم، إذا مات منهم واحد بدل الله مكانه آخر (وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه

اللطيفة، التـــي جمع بها بين الأضداد، وألّف بين الأشـــتات، وكثيراً ما أذاكر الإخوان بها، وأســـتخرج عجبهم منها، وهي موضع للعبرة بها، والفكرة فيها).

• الإيثار من آثار الزهد:

وللزهد آثـــار عديدة على مســـتوى الرقي الإنســـاني، فالإيثـــار ثمرة من ثمـــار الزهد، كما في مشـــهد ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْـــكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِـــيراً﴾ [الإنسان:٨] فهنا إعراض عن تناول هـــذا الطعام، ولكنه ليس بالإعراض الطبعي فالآية تقول: ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾ لأنهم كانوا صائمين جائعين، ولكنه إعراض ناشـــئ عن تصميم، وهذا التصميم ناشئ من كمالات نفسية، منها الزهد.

• القناعة:

ومـــن آثاره القناعة، كقولـــه: (أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُوم إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْـــتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ؛ أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَـــى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِـــنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْـــهِ. فَوَاللهِ مَـــا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُـــمْ تِبْراً، وَلاَ ادَّخَرْتُ مِـــنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً، وَلاَ أَعْـــدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْراً، وَلاَ حُزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شِـــبْراً، وَلاَ أَخَذْتُ مِنْهُ إِلاَّ كَقُوتِ أَتَان دَبِرَة، وَلَهِيَ فِي عَيْنِي أَوْهَى وَأَهْوَنُ مِنْ عَفْصَةٍ مَقِرَةٍ) صمغ شجرة البلوط مُر.

• الطمأنينة:

ومن آثاره الراحة والطمأنينة النفسية، ولذا قال «عَلَيْهِ السَّـــلامُ»: (السَّالِمُ مِنْكِ لاَ يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ، وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِـــلاَخُهُ). كما لم يكن علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» يبالي بالموت، وهو القائـــل: (واللهِ لا أُبَالي، أَوَقَعَ الموتُ عليَّ أَمْ وَقَعْتُ عَلَيْه).

• الحرية:

ومن آثاره المهمة جداً الحرية، لاحظ هذه الصورة القرآنية لمن عشق المادة وأخرج الزهد من قلبه، كيف قيّد نفسَه بالعالم المادي الفاني: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٦].

أما الزاهد فبماذا يبالي؟ ولذا قال الإمام علي: (إِلَيْكِ عَنِّي يَـــا دُنْيَا، فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ، قَدِ انْسَـــلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ... اُعْزُبِي عَنِّي! فَوَاللهِ لاَ أُذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي، وَلاَ أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي).

وقـــال «عَلَيْهِ السَّـــلامُ» في بعـــض كلماته القصار: (الطَّمـــعُ رقٌّ مُؤبَّد) والطمع من المتضادات مـــع الزهد كمـــا ذكرنا ســـابقاً. ويصف زهد عيسى ابن مريم فيقول: (.. ولا طَمعَ يُذلُّه).

٢٨ ذي الحجة ١٤٣٤هـ - ٢ نوفمبر ٢٠١٣م

دلالات حديث الغدير

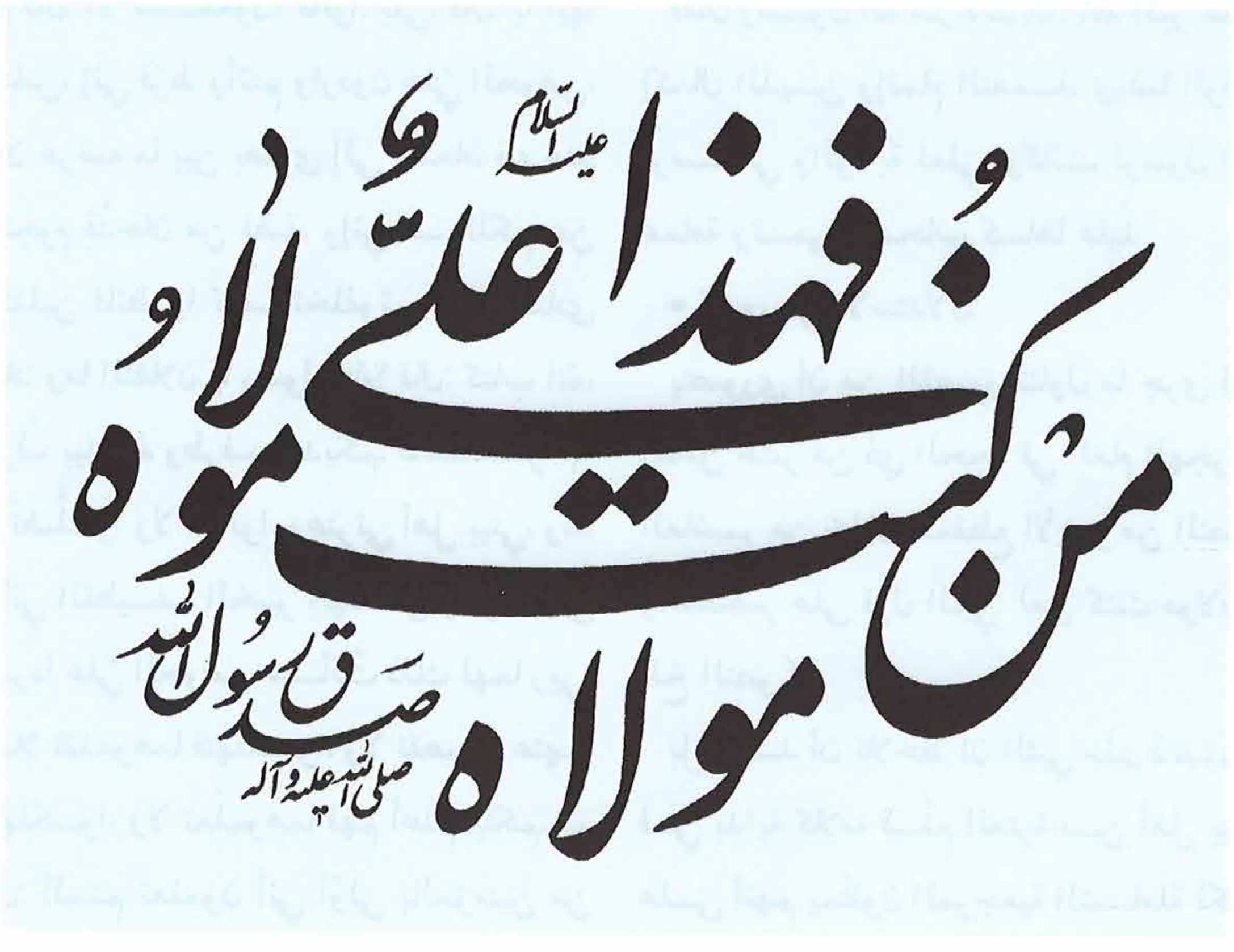

روى المسلمون أنه لما انتهى رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» من حجة الوداع وخرج من مكة المكرمة، نزلت عليه في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة آية ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة:٦٧]، فنزل غدير خم من الجحفة وكان يتشعب منها طريق المدينة ومصر والشام، ووقف هناك حتى لحقه مَن بعده وردَّ مَن كان تقدم، ونهى أصحابه عن سمُرات (نوع من الشجر) متفرقات بالبطحاء أن ينزلوا تحتهن، ثم بعث إليهن فقُم ما تحتهن من الشوك، ونادى بالصلاة جامعة، وعمَد إليهن، وظلّل بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فصلى الظهر بهجير (نصف النهار عند اشتداد

الحر) ثم قام خطيباً فحمـــد الله وأثنى عليه، وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: إني أوشَـــك أن أُدعَى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مســـؤولون، فماذا أنتـــم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلّغت ونصحت فجزاك الله خيراً. ثم قال: ألا تســـمعون؟ قالوا: بلى. قال: يا أيها الناس، إني فرَط وأنتم واردون عليّ الحوض، وإن عرضه ما بين بصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قِدْحان من فضة، وإني ســـائلكم عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما. فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، طرفٌ بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تَضلُّـــوا ولا تُبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، وقد نبّأني اللطيـــف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يـــردا عليّ الحوض، ســـألتُ ذلك لهما ربي. فـــلا تقدموهما فتهلكـــوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكـــوا، ولا تعلّموهما فهم أعلم منكم. ثم قال: ألستم تعلمون أني أوْلى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ألستم تعلمون ـ أو تشهدون ـ أني أوْلى بكل مؤمن من نفســـه؟ قالوا: بلى يا رسول الله. ثم أخذ بيـــد علي بن أبي طالب بضبعيه فرفعها حتى نظـــر الناس إلى بياض إبطيهما، ثم قال: أيها النـــاس، الله مولاي وأنا مولاكـــم، فمن كنت مولاه فهذا عليّ مـــولاه، اللهم وال من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحِب مـــن أحبه وابغض من أبغضه. ثم قال: اللهم اشهد. ثم لم يتفرقا ـ رسول الله وعلي ـ حتى نزلت هذه الآية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾.

فقال رســـول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ»: الله أكبر على إكمال الديـــن وإتمام النعمـــة، ورضا الرب برســـالتي والولاية لعلي. وكانت لرسول الله عمامة وتسمى السحاب كساها علياً.

• قصور في الاستدلال:

بتصوري أن من القصور تناول ما جرى في الثامن عشر من ذي الحجة في العام الهجري العاشـــر من خلال المقطع الأخير من النص والمقتصر على قول النبي: (من كنت مولاه... إلخ النص).

بل لابـــد أن نلاحظ أن النبي «صَلَّـى اللهُ عَلَيـهِ وَآلِهِ» فـــي بداية كلامه قـــدّم العترة مـــن أهل بيته علـــى أنهم يمثّلون المرجعية الشـــاملة لكل مجالات المعرفة الدينيـــة، بما في ذلك فهم القرآن وتفاصيل العقيدة والأحكام الشـــرعية والأخلاق وغيرها من المجالات.

قدّمهم النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِـهِ» بهذه الصورة من خلال حديث الثقلين.. وأهمية ذلك تعود إلى أن المســـلمين كانوا يعتمدون على النبي في تلقي وحي القرآن وفهمه وتطبيقه، كما كانوا يعتمـــدون عليه في ما هو خارج نطاق القرآن

وجـــاء بصورة تعاليـــم إلهية أو سُـــنّةٍ نبويّة. وبوفاته كانوا ســـيواجهون مشكلة حتمية في هذين الإطارين، سواء مَن عاصر منهم النبي أو مَن دخل الإسلام أو وُلد بعد عصره.

• مصادر الحديث:

والنـــص التالـــي يوضح تلـــك المعضلة، فعن علي «عَلَيْهِ السَّـلامُ» : (إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناســـخاً ومنســـوخاً، وعامـــاً وخاصاً، ومحكماً ومتشـــابهاً، وحفظاً ووهماً، وقد كذب على رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» على عهده حتى قام خطيباً فقال: أيها الناس قد كثرت علي الكذابة، فمن كذب علي متعمداً فليتبوء مقعده من النار، ثم كذب عليه من بعده. وإنما أتاكم الحديث مـــن أربعة ليس لهم خامس: رجل منافـــق يظهر الايمان، متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذِب على رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» متعمداً، فلو علم الناس أنه منافق كذاب، لم يقبلوا منه ولم يصدقوه، ولكنهم قالوا هذا قد صحب رسول الله ورآه وسمع منه، وأخذوا عنه، وهم لا يعرفون حاله، وقد أخبره الله عن المنافقين بما أخبره ووصفهم بما وصفهم فقال «عَزَّ وَجَلَّ» : ﴿وإذا رأيتَهُم تُعجبُك أجْسامُهُم وإنْ يَقولوا تَسمعْ لِقولِهم﴾... فهذا أحد الأربعة. ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحمله على وجهه و وَهِم فيه، ولم يتعمد كذبـــاً، فهو في يده يقول به ويعمل به ويرويه فيقول: أنا سمعته من رســـول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» فلو علم المســـلمون أنه وَهْمٌ لم يقبلوه، ولو علم هو أنه وهْم لرفضه. ورجل ثالث ســـمع من رســـول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» شـــيئاً أمَر به ثم نَهـــى عنه وهو لا يَعلم، أو ســـمعَه ينهى عن شـــئ ثم أمَر به وهو لا يَعلم، فحفِظ منسوخه ولم يحفَظ الناســـخ، ولو علم أنه منســـوخ لرفضه، ولو علم المســـلمون إذ سمعوه منه أنه منســـوخ لرفضوه. وآخر رابع لم يكذب على رســـول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِـهِ» مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرســـول الله، لم ينسه، بل حفظ ما ســـمع على وجهـــه فجاء به كما ســـمع لم يزد فيه ولـــم ينقص منـــه، وعلِم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنســـوخ... وليس كل أصحاب رسول الله كان يســـأله عن الشئ فيفهم، وكان منهم من يسأله ولا يســـتفهمه، حتى أن كانوا ليحبون أن يجئ الاعرابي والطاري فيسأل رسولَ الله حتى يسمعوا. وقد كنتُ أدخل على رسول الله كلَّ يوم دَخلةً وكلَّ ليلـــةٍ دخلةً فيخلّيني فيها، أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله «صَلَّـى اللهُ عَلَيـهِ وَآلِـهِ» أنه لم يصنع ذلك بأحدٍ من الناس غيري..).

ومـــا بأيدينا مـــن تعـــارض واختلاف في نصوص التراث الحديثي في مجال التفســـير والعقيدة والأحكام والأخلاق والتاريخ وغيرها

يؤكد ذلك بوضـــوح. وما ظهور المذاهب في العقيـــدة وفي الفقه بالعشـــرات إلا دليل آخر على صحة ما نقول.

• إعلان الولاية:

ثم بعد ذلك تدرّج النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» في بيان أمر الولاية والقيادة الميدانية، كما يلي:

في المقام الأول: تحديد مجالات و سعة هذه الولاية حيث قال: (ألستم تعلمون أني أوْلى بكل مؤمن من نفسه؟) وكأنه يذكّر المسلمين بقولـــه «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَـــى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[الأحزاب:٦].

وفي تفسيرها روى الطبري: (ما قضى فيهم من أمرٍ جاز) وفي تفســـير النسفي: (أي أحقُّ بهـــم في كل شـــئ من أمور الديـــن والدنيا، وحكمه أنفذَ عليهم من حكمها).

وكأنه «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» أيضاً يذكّر المســـلمين بقوله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُـــولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:٣٦].

في المقام الثاني: بيان أنّ كل هذه الشمولية في الســـيادة والولاية هي منقولة بتمامها لمن ســـيقدّمه النبي للأمة ويعرّفـــه لها حيث قال: (الله مولاي وأنا مولاكم، فمن كنت مولاه).

في المقام الثالـــث: تحديد من يمثّل رأس هذه القيادة الميدانية، أي الســـلطة التنفيذية والقضائيـــة، وذلك من خلال الإمســـاك بيد علي ورفعهـــا والتصريح باســـمه حيث قال: (فهذا علي مولاه).

• نحن وعلي:

وأراد النبـــي «صَلَّـى اللهُ عَلَيـهِ وَآلِـهِ» أن يدور الناس مع علي «عَلَيْهِ السَّـلامُ» كما دعا للحق أن يدور معه حيثمـــا دار، ولكن دارت الأيـــام، وأدار أناسٌ ظهورَهم لعلي، الذي ما كان يرى في الحكم وفي الموقع القيادي المتقدم غايةً له، حتى لو شُرِّف بها من قبل الله، بل بقي الحكم بالنسبة إليه وســـيلة، وهو القائل لابن عباس: (أترى إلى هذه النعل، إنهـــا أعظمُ من إمرتِكم هذه إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً).

هكذا كان علي «عَلَيْهِ السَّـلامُ» وهكذا فليكن من يدّعي الولاء لعلي.. فيمـــا لو عُرضت عليك الدنيا في موقع متقدِّم، كمسؤول كبير في سلطة تنفيذية تَأمر فتُطاع، أو كشخصية محبوبة يلتف حولَها الناس في ســـلطة تشريعية، أو كقياديٍّ لكيان سياســـيٍّ تُحرِّك القواعـــد والجماهير المنســـجمة مع رؤاك الحزبية.. فالولاء لعلي ليس شعاراً يُرفَع، ولا دمعةً تُذرَف، ولا لطمةً على صدر، وإنمـــا يتجلى الـــولاء الحقيقي لعلي «عَلَيْهِ السَّـلامُ» فـــي المواقف التي تَظهر فيها معـــادن الرجال. وقد قال جويرية بن مســـهر: (اشـــتددت خلف أمير المؤمنين «عَلَيْهِ السَّلامُ» فقال لي: يـــا جويرية، إنه لم يهلك هؤلاء الحمقى إلا بخفق النعال خلفَهم).

وقفة مع الشعائر الحسينية

٥ محرم ١٤٣٥هـ - ٩ نوفمبر ٢٠١٣م

قال «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إلا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾ [الأحزاب: ٣٩].

في شهر محرم يُستنفَر المؤمنون لإحياء الذكرى السنوية للنهضة الحسينية على صاحبها والشهداء بين يديه آلاف التحية والسلام. ولاشك أن من المهم ان يكون للجمهور الدور الفاعل في بلورة عطاءات المنبر الحسيني، حضوراً واهتماماً ومقترَحاً وتقييماً ومساهمة.

• الحاجة إلى المشورة:

فالخطيب بحاجة الى الكفاءات الاجتماعية والخبرات العلمية لتقترح ولتثري عطاءه الفكري، بل تتجلى هذه الحاجة أكثر عندما يكون الخطيب وافداً على المجتمع وليس من أبنائه، فهو بحاجة الى معرفة خصوصيات ذلك المجتمع، وحاجاته والتحديات التي يعيشها، ولغة الخطاب التي يأنس بها.. الخ، والله «عَزَّ وَجَلَّ» يقول في شأن رسله الى الناس: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾[الأنعام: ٩] فلابد من تناغم وانسجام وحالة من التماثل بين المبلّغ للرسالة وبين جمهوره.

بل إن الله «عَزَّ وَجَلَّ» يأمر نبيه المسدّد بالغيب قائلاً: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩]، وقد قال الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» كما روي عنه: (مَن استبدّ برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها).

• الدور السلبي للجمهور:

ولكن لابد ان ننتبه أيضاً الى الدور السلبي الذي قد يقوم به الجمهور في الضغط على الخطيب أو إغرائه لطرح ما يخالف قناعاته الفكرية والشرعية، أو تسطيح المنبر الحسيني وتحويله الى منبر محدود العطاء، أو دفعه الى ذكر ما يعتقد ويجزم بكذبه على المستوى التاريخي في تفاصيل أحداث الثورة الحسينية.

وعلى الخطباء أن يحذروا ذلك، ويصبروا في هذه الطريق الوعرة، فلربما ووجهوا بالكلمات الجارحة وبالتضييق على مجالسهم أو بغير ذلك، الأمر الذي قد يكلفهم شيئاً من التضحية على المستوى المعنوي أو المادي، ولكن الله يبشرهم ويقول: ﴿وَمَنْ يَتّقِ اللّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ان اللّهَ بَالِغُ أمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلّ شَيْءٍ قَدْرا﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

وينقل أن أحد الأنبياء حينما بعثه الله «عَزَّ وَجَلَّ» طلب منه ان يكفّ ألسنة الناس عنه، فأجابه الله تعالى أنها خصلة لم أجعلها لنفسي، كيف أجعلها لك؟!

فلابد على كل حال من التحمل والصبر والتضحية والإخلاص، فهي من خصال الإنسان المؤمن، وكلها من عناوين النهضة الحسينية، كما ان المنبر الحسيني أمانة لا يصلح التفريط بها.

• رسالة التنزيه:

وهذا العلامة السيد محسن الأمين صاحب موسوعة (أعيان الشيعة)، وأحد مراجع التقليد في النصف الأول من القرن العشرين، وصاحب المشاريع الكثيرة التي من بينها إحياء الحرم الزينبي، كتب كتابه (رسالة التنزيه) في تصحيح مسار المنبر الحسيني ولم يبالِ بكل الهجوم الذي انصبّ عليه حتى قال فيه أحد الخطباء المشهورين:

يا راحلاً أما مررت بجِلّقِ
فابصق بوجه أمينِها المتزندق

(جلق: اسم للشام أو اسم لغوطة دمشق كلها) وقد دفع هذا الأمر المرجعَ السيد أبوالحسن الأصفهاني للانبراء دفاعاً عن هذا السيد المجاهد الجليل بإصدار فتوى تأييد له.

• دعوة لمؤتمر سنوي:

وفي هذه الأجواء من الاستنفار البدني والعقلي والمالي وحتى الأمني خلال إحياء هذه الأيام والليالي، من حق كل أحد ان يتساءل عن مدى تحقق أهداف هذا الإحياء المبارك، فهي مسؤولية، ومن لوازم المسؤولية المحاسبة. ومن المؤسف أن يدخل علينا هذا الموسم العظيم بكل زخمه الروحي والعقلي والمادي دون أن تكون هناك جهات تقيّم عطاءات الموسم الذي مضى ضمن دراسات جادة وميدانية، في ايجابياتها وسلبياتها، وتبني من خلال ذلك صورة ومضمون الموسم الجديد. ولذا أرى ان من الضروري ان نقوم بما تقوم به المؤسسات التجارية والثقافية والعلمية الناجحة في عالمنا المعاصر، من عملية تقييم سنوية، وهو ليس ببعيد عن التوجيه الإسلامي، ففي الحديث النبوي: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزِنوها

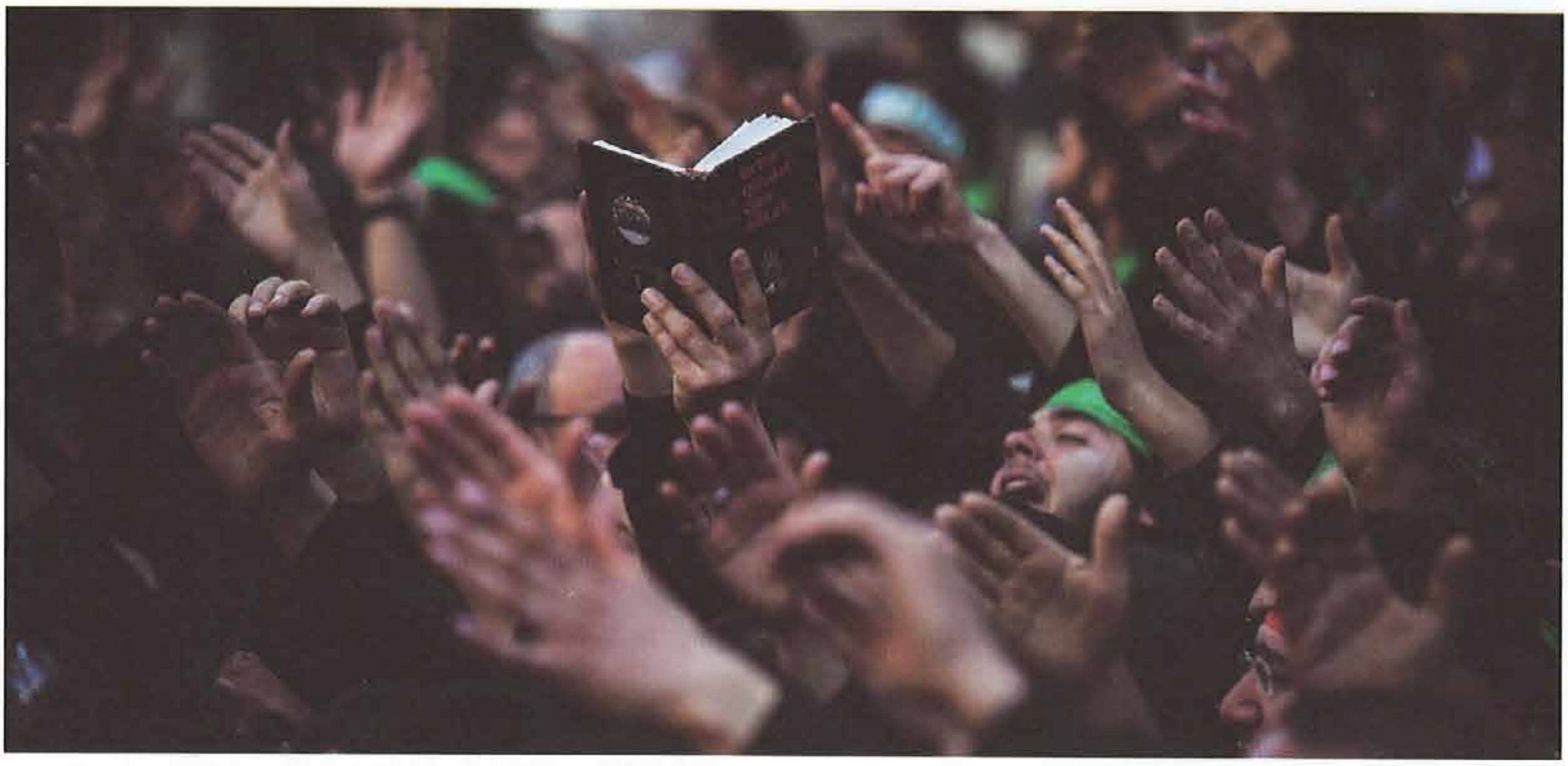

قبل أن تُوزنوا) ومن السذاجة أن نتعامل مع هـذا النص في اطار فردي شـخصي، فللفرد كتاب، وللأمة كتاب ﴿وَتَرَى كُلّ أُمّةٍ جَاثِيَةً كُلّ أُمّةٍ تُدْعَى الَى كِتَابِهَا﴾[الجاثية: ٢٨].

• عناصر مهمة:

ولكي يتم التقييم السنوي هذا لابد من:

١ - قناعـة حقيقية وجدِّيـة لدى الجهات المؤثـرة بضـرورة مثل هـذا العمل، كي لا يتحول المشروع الى مجرد عمل استعراضي أو إعلامـي أو بروتوكولي، تملؤه الخطابات ويخلو من المضمون العملي.

٢ - مباركـة المرجعيـات الدينيـة لهذا المشـروع على الأقل، إن لـم نقل تحملها مسـؤولية إقامته، وأهمية هذا العامل بالنسبة الى الوسط الشيعي أمر مشهود.

٣ - وضْع قواعد وأسس التقييم لمسارات احياء الذكرى السنوية، فهناك أوجه نظر مختلفة، حتى على المستوى الفقهي، وأحياناً تدخل فيها تعصبات وحالات استفزازية مشهودة كل عام، وهي غير خافية، من قبيل بعض الممارسـات التي يُختَلف في كونها من الشعائر ومستحبة وينبغي تشجيعها، أم من البدع ومبغوضة وتعتبر مسيئة لعطاءات الموسم.

٤ - السعي لتوظيف النتائج المترتبة عملياً من خلال القوى المؤثرة في الوسط الشيعي مـن قبيـل المرجعيـات الدينيـة والعلماء والحـوزات العلميـة ووكلاء المراجـع والمؤسسات والمراكز الدينية.

٥ - إصدار بيان سنوي عام على هيئة خلاصة وتوصيات ومقترحات ومشـاريع تطويرية أو تصحيحية.

نأمل أن نشهد المزيد من التطوير والارتقاء في عطـاءات المنبر الحسـيني، وفي أنواع مراسم الإحياء وبركاتها.

ويأبى اللّه إلا أن يتم نوره

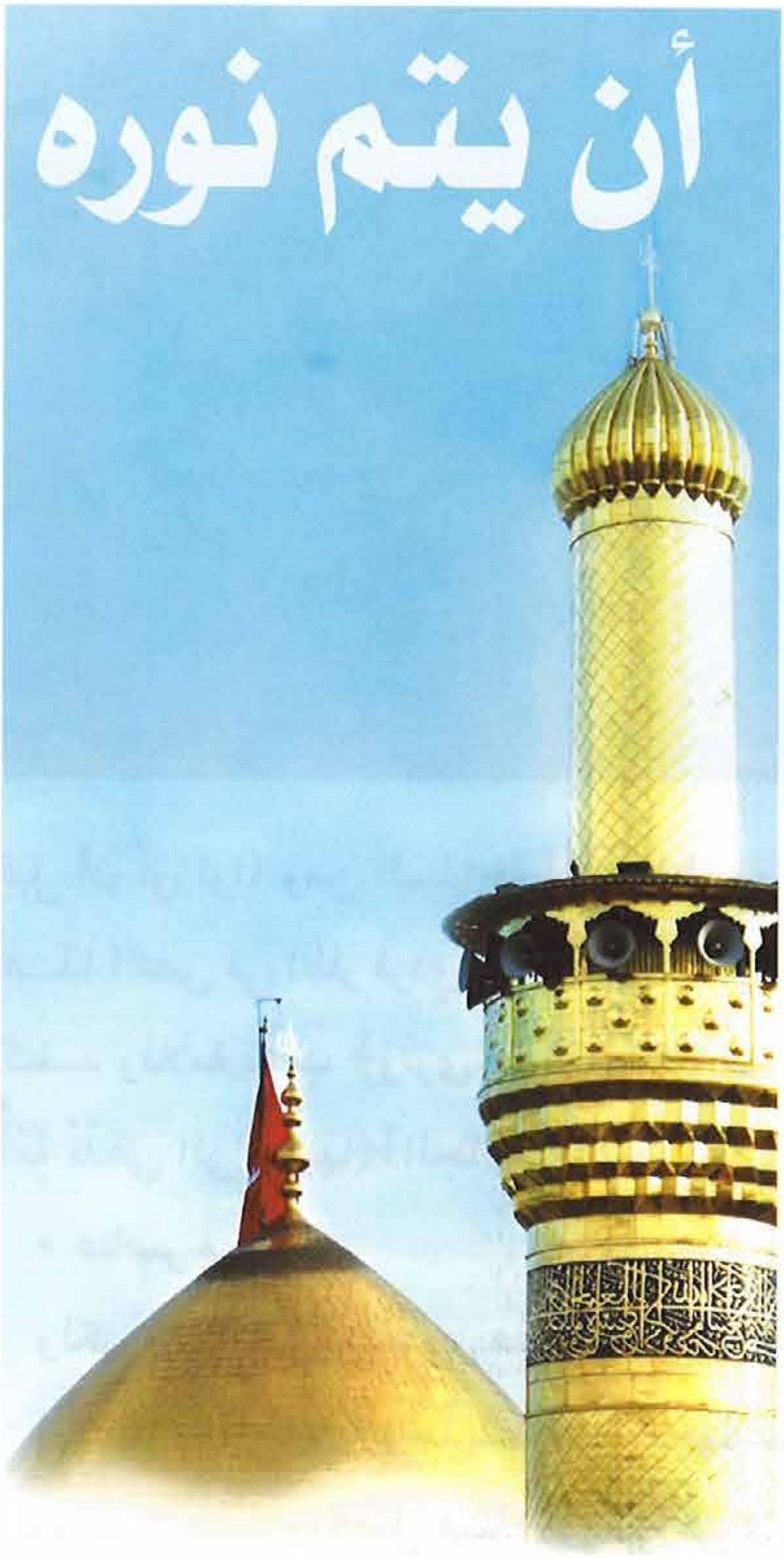

١٢ محرم ١٤٣٥هـ
١٦ نوفمبر ٢٠١٣مـ

أبت النهضة الحسينية إلا أن تبقى خالدة عبر القرون، على الرغم من كل محاولات محوها من الذاكرة، بل وتحولت إلى معين لا ينضب لثـــورات عديدة لاحقة. فقد تصـــور الأمويون بُعيد انتهـــاء واقعة كربلاء أنهم قد قضوا على حركة تمرد محـــدودة، وأنهم بذلك قد أدخلوا الرعب في قلوب النـــاس، فالذي يتجرأ على سيد شباب أهل الجنة وســـبط النبي «عَلَيْـهِ السَّلامُ» ومَـــن معه من أهل بيته وخيـــرة الناس رجالاً ونســـاءً وأطفالاً، وبتلك الصورة الوحشية، فلا شـــك أنه لن يتورع عن ارتكاب ذلك في حق مَن سواهم. ولكنهم مكروا ومكر الله والله خير الماكرين.

• وسائل التخلص من التبعات:

وســـرعان ما تبيّن لهم خطأ ظنهم ذاك، بل جاءت النتائج معكوســـة تماماً، فقد أخرجت تلك الثورة الناسَ من حالة الغفلة التي كانوا يعيشونها، وجرّأتهم على الحكم الأموي. ولذا

بادر الأمويون لاتخاذ عدة إجراءات من بينها:

١ـ البحث عن كبش فداء يقدّمونه على أنه المسؤول عن تلك الجريمة، دون يزيد. وما كان في البين أفضل من عبيدالله بن زياد. ولكن ابنَ زياد بنفسه كذّب هذه التخرصات. ففي الكامل في التاريخ لابن الأثير أنه قال له مسافر اليشكري حين هرب من العراق: (أفلا أحدثُك بما كنت تحدِّثُ به نفسك؟ قال: هات. قلت: كنتَ تقول: ليتني كنتُ لم أقتل حُسيناً.. قال: أما قتلي الحسين فإنه أشار إليَّ يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتلَه).

٢ـ تشويه أهداف صاحب الثورة بتصويره على أنه طالب ملك وزعامة، متغافلين عن كل كلماته التي أطلقها في نهضته، وعن كل المواقف التي اتخذها حتى فضّل القتل في تلك الصحراء مع ذلك النفر القليل من أنصاره على أن يعيش ذليلاً.. وهل هذا حال طلاب الملك والزعامة؟!

٣ـ اتهام الحسين «عَلَيْهِ السَّلامُ» وأنصارِه بالخروج على الشرعية الإسلامية، وقد قال القاضي ابن العربي في كتابه: (العواصم من القواصم) في تبرير قتل الحسين: (وما خرج إليه أحد إلا بتأويل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جدِّه المهيمن على الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر عن الدخول في الفتن. وأقوال في ذلك كثيرة: منها ما روى مسلم عن زياد بن علاقة عن عرفجة بن شريح قوله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ»: «إنه ستكون هنّات وهنّات، فمَن أراد أن يفرِّق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان». فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله)!!

وهذا منه عجيب، فهل كان رسول الله يرضى بالظلم والفساد إن صدر من الحاكم، و يغضب إن صدر من المحكوم، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[المائدة: من الآية٤٥]؟

• تجربة متكررة:

وكما تعرَّض الحسين «عَلَيْهِ السَّلامُ» وتعرّضت نهضته لكل محاولات الإساءة والتشويه، تعرّض العلماء المصلحون والمفكرون المخلصون والقادة الثائرون من أبناء هذه الأمة لهجمة شرسة تطاولاً عليهم بهدف إسقاط شخصياتهم، وتفريغِ حركتِهم الثورية أو الإصلاحية من محتواها، وسلبِها شرعيتَها.

وأخيراً تجرّأ مَن تجرأ مِن المقتاتين من فتاتِ موائد المخابرات الدولية على سيد النهضة الإسلامية المعاصرة في العراق وكبير مفكريها السيد محمد باقر الصدر المرجع الشهيد المقتول على يد يزيد العصر، وقد قال فيه الإمام الخميني: (كان السيد محمد باقر الصدر مفكراً إسلاميا فذاً، و كان مؤمَّلاً أن ينتفع الإسلام من وجوده بقدر أكبر، و أنا

آمل أن يقرأ المسلمون ويدرسوا كتب هذا الرجل العظيم. لقد كان المرحوم الصدر شخصيةً علميةً، و مجاهداً مضحياً من مفاخر الحوزات العلمية ومراجع الدين والمفكرين المسلمين، فلا عجب لشهادة هؤلاء العظام الذين أمضوا عمراً في الجهاد في سبيل الأهداف الإسلامية). مشيراً إلى الهدف من التصفية الجسدية للشهيد الصدر، بظن أنهم بذلك يقضون على فكره ونهضته وثورته، كما ظن الأمويون من قبل وهم يواجهون الحسين.

وما أحسنَ مقاربة تلميذه المرجع السيد محمود الهاشمي حيث قال: (مَن كان ليصدِّقَ أنّ عاشوراء ستتجدد بعد مرور أربعة عشر قرناً؟! وأن حسيناً آخر مِن سلالة الحسين «عَلَيْهِ السَّلام» العظيم سيحضر من جديد في محراب الشهادة، ويصنع ملحمة أخرى وكربلاء جديدة؟).



لقد تكررت المحاولات أبان حياة هذا العلم الكبير والمجاهد الشهيد لتشويه صورته والطعن في شخصيته وإخلاصه، تارة باتهامه بالعمالة للاستكبار، وأخرى بالشخصانية، وثالثة باتباع الهوى وحب السلطة، حتى إذا مضى لربه شهيداً صابراً محتسباً، انبرى آخرون في محاولات يائسة لطمس تاريخه الفكري والفقهي والجهادي، حتى جاء هذا الزمن البائس بنكرةٍ ليكيل له الاتهام بالكفر!! إنهم ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[التوبة:٣٢].

وكما بقي الحسين خالداً في إمامته وعِلمه وجهاده وشهادته.. سيبقى الزكيُّ من سلالته، السيدُ الشهيدُ الصدرُ خالداً في فقاهته وفكره وجهاده وشهادته.

١٩ محرم ١٤٣٥هـ - ٢٣ نوفمبر ٢٠١٣م

ثأر الله

جاء في بعض نصوص زيارة الحسين «عَلَيْهِ السَّلامُ» عبارة: (السلام عليك يا ثأر الله وابن ثأره).. فما المراد بهذا المصطلح؟

• في اللغة والتاريخ:

لغوياً، الثأر هو الطلب بالدم، فعندما يُقتَل أحدُهم يقوم أولياؤه بالانتقام من القاتل. وهذا الانتقام في الجاهلية كان يتحقق بصور عديدة، يُتجاوز فيها الحدود الإنسانية، حتى أنه كانت تقوم الحروب أحياناً ثأراً لمقتل شخص واحد، كما في حرب البسوس التي قامت بين قبيلتين وحلفائهما بعد قتل (كُليب التغلبي) على أثر قتله لناقة جاره! واستمرت الحرب بين ٢٣ - ٤٠ سنة على اختلاف الأقوال!

كما أن هذا الثأر لم يكن يخص الأولياء المباشرين للمقتول، بل تُعتبر كل القبيلة مسؤولة عن الثأر لدمه، وهي بأجمعها صاحبة الدم، لأنه عدوان يرتبط بكرامة القبيلة!

• الإسلام وتهذيب الثأر:

وعندما جاء الإسلام قنّن مسألة الثأر وهذّبها بالإجراءات التالية التي جعلها في القرآن بعنوان القصاص:

١ـ وافق على اعتبار أن أثر الدم المراق ظلما لا يخص أولياء المقتول، ولكن ليس بالصورة السابقة، بل بمعنى أن الأثر السلبي لهذا العدوان يعم الجميع في أمنهم واستقرارهم وحياتهم: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[المائدة:٣٢].

٢ـ اعتبر أن القصاص حقٌّ لولي الدم المباشر كالأب مثلاً، وليس للقبيلة أو كل العائلة. فإن لم يكن له ولي، فالحاكم الشرعي هو الولي. ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانا﴾[الإسراء:٣٣].

٣ـ القصاص يكون من القاتلِ نفسِه فقط، ولا يعم أحداً من أهله أو قبيلته أو غير ذلك. ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾[الإسراء:٣٣].

٤ـ لا تمثيل في جثة المقتَص منه، وقد أوصى الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» قبيل استشهاده: (يا حسن، أبصروا ضاربي، أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن عشتُ فأنا أولى بحقي، وإن



مت فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثّلوا به، فإني سمعت رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» يقول: «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور»).

٥ـ إفساح المجال أمام العفو، ولا تراجع عنه إن أُقر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة:١٧٨].

• الاحتمال الأول:

في ظل كل ما سبق، كيف نفهم هذا العنوان.. الحسين: ثأر الله؟

الاحتمال الأول أن يكون المراد من هذا العنوان أن الحسين «عَلَيْهِ السَّلامُ» هو الثائر لله. فعندما خرج الإمام الحسين «عَلَيْهِ السَّلامُ» لم يخرج لغرض شخصي ولا لباطل، بل خرج نصرةً لله، وقد بيّن أسباب هذه النصرة في أكثر من موقع، ومنها ما جاء في كتابه لبعض أشراف الكوفة ممن كان يحتمل أنهم على رأيه، وهو في كربلاء كما جاء في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي: (فقد علمتم أن رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» قد قال في حياته: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام أو تاركاً لعهد الله ومخالفاً لسنة رسول الله، فعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغير عليه بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مَدخله، وقد علمتم أن هؤلاء لزموا طاعة الشيطان

وتولوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غيري بهذا الأمر). فالإمام يؤكد على وجود تعدٍّ صارخ وكبير على دين الله وحرماته، وأنه إنما خرج ثأراً لدين الله الذي يُذبَح في كل يوم على يد هؤلاء القوم. ولذا أعلن في بداية حركته المبدأ الذي انطلق من أجله: (وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الصلاح والنجاح في أمة جدي محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي محمد وسيرة أبي علي بن أبي طالب).

هذه النصرة هي الثأر لدين الله، استجابة لأمر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد:٧].

• الاحتمال الثاني:

الاحتمال الثاني أن يكون المراد من هذا العنوان أن الله هو الثائر للحسين أي أن الله هو وليُ دم الحسين، والمطالب بثأره والقصاص له، لا بالمعنى الشخصي، بل بمعنى أن الحسين لما ثار لله، واستشهد في هذا الطريق بكل إخلاص ومع كل التضحيات التي قدّمها، فإن الله هو المطالب بدمه. وعلى هذا، فإن كل مَن يرتبط بالله ارتباطاً حقيقياً، ويريد أن ينصر الله، لابد وأن يجعل قضية الحسين قضيته، وأن يجعل ثورة الحسين نبراساً له، وأن يُحيي ذكرى الحسين وثورته، ما دام في الأرض ظلم، وما دام في الأرض فساد، وما دام النهجُ الأمويُّ الذي ثار الحسين في وجهه قائماً وفاعلاً على الأرض. إن القصاص الحقيقي لدم الحسين ولدماء الشهداء بكربلاء، يتمثل في السعي لتحقيق الغايات التي من أجلها خرج الحسين ثائراً، في كل زمان ومكان، وليس بمجرد البكاء على الحسين، وإن كان هذا مطلوباً، وليس بمجرد زيارة الحسين، وإن كان هذا عظيماً.. والله تعالى يقول: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:٤٠]. أما الذين ينصرون الطواغيت، والذين يوالون المستكبرين، والذين ينحنون للفاسدين، والذين ينفّذون أجنداتهم، فليسوا من الطالبين بدم الحسين والثائرين له، مهما بكوا، ومهما لطموا، ومها خرجوا في مواكب العزاء، فهم شركاء في الظلامات التي يتعذب فيها المظلومون، فالحسين إنما خرج ضد الظلم وضد الفساد وضد المستكبرين.

وأخيراً.. فإن نداء (يا لثارات الحسين) ليس شعاراً ضد من يختلفون معنا في الانتماء المذهبي، بل هو موجَّه ضد المستكبرين وأعداء الدين ممن تجمعهم مع الذين قتلوا الحسين وحدة الأهداف والمطامع.

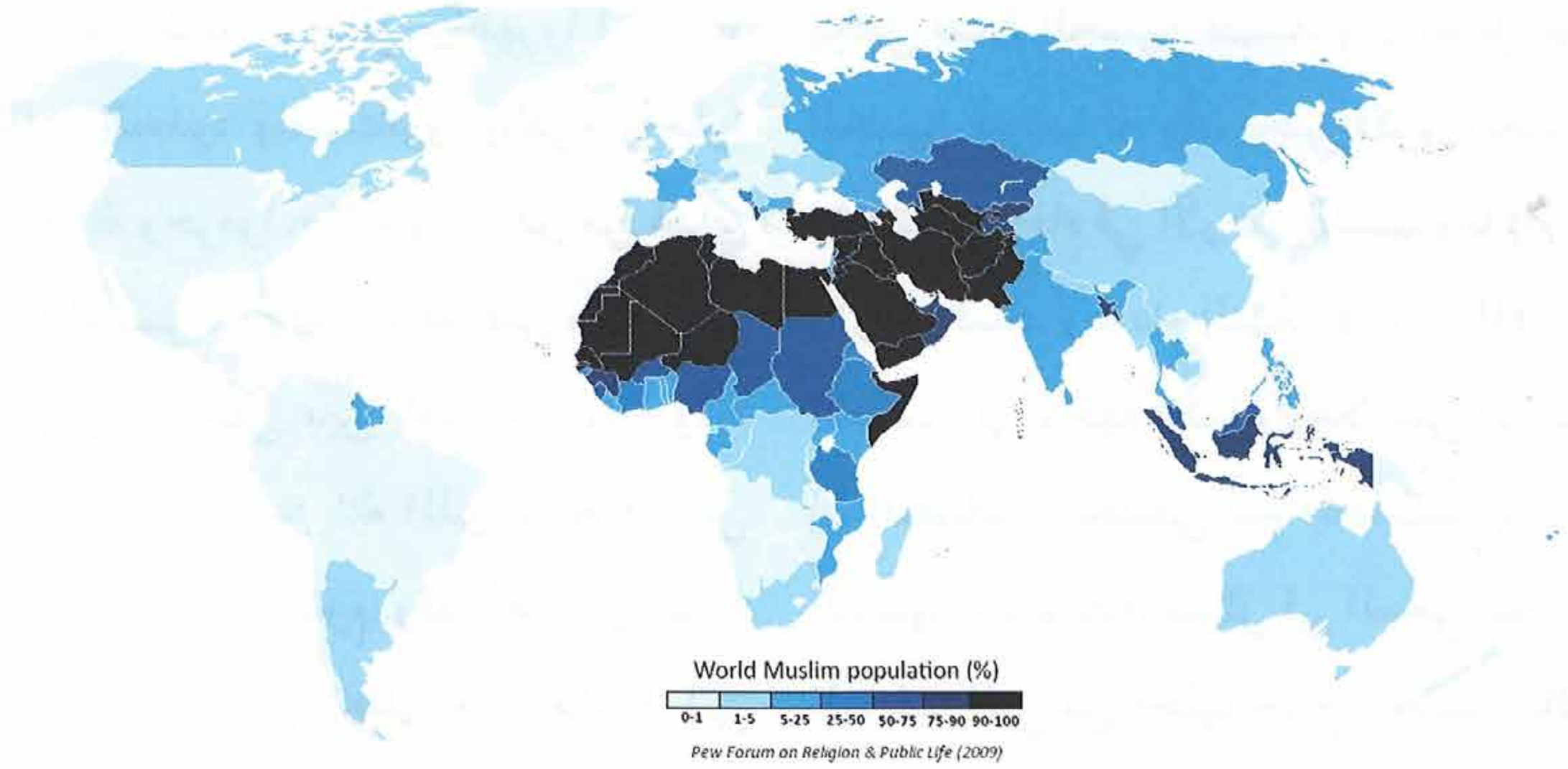

هيمنة الإسلام

٢٦ محرم ١٤٣٥هـ
٣٠ نوفمبر ٢٠١٣م

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣٣] ونجد مثل هذه الآية في [الصف:٩].

السؤال الذي لربما يتردد في أذهان الكثيرين ممن يقرؤون هذه الآية: هل تحققت هذه الهيمنة والغلبة للإسلام على سائر الأديان؟ فإن كانت الإجابة بلا، فمتى ستتحقق؟

ولعل سبب طرح هذا التساؤل هو تبادر أحد المعنيين التاليين للمراد من الآية:

المعنى الأول: أن يحكم الإسلام كل الكرة الأرضية، ولا يبقى فيها حكم غير حكم الإسلام. وعليه فإن هذا الوعد لم يتحقق بعدُ، فأقصى ما بلغته الدولة الإسلامية في اتساع رقعتها لم يكتمل من خلاله حكم الكرة الأرضية كما هو معلوم لكل قارئ للتاريخ.

المعنى الثاني: انتشار الإسلام في العالم أجمع، ودخول كل الناس في الدين الإسلامي.. وهذا أيضاً ما لم يتحقق بعدُ.

• المعنى الأدق:

ولكن يبدو لي أن الآية ليست بهذا الصدد ولا ذاك.. ولكـــي نفهم المـــراد منها لابد من مراعاة أمرين:

الأمر الأول: السياق الذي جاءت فيه الآية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِـــيحُ ابْـــنُ اللهِ ذَلِـــكَ قَوْلُهُـــم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَـــوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ، اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًـــا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِـــيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِـــرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِـــدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ، يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَـــى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِيـــنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة:٣٠-٣٣].

فالآيات تتحدث عـــن الانحرافات العقدية التي عند اليهود والنصارى والمشـــركين، ثم تتحدث عن سعيهم جميعاً لتضييع الحقائق وإطفاء نور الله بكلامهم الباطل والمفترَى به على الله، وبالتحريف والوضع.

وأما آيات سورة الصف فتحدثت عن معاناة النبيين موســـى وعيسى «عَلَيْهما السَّلامُ» مع قومهما، والبشارة بنبي اسمه أحمد، ثم قالت: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِيـــنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾. فما تريد الآيات أن تقوله هو أن للمشركين عقائدهم الباطلة وحججهم التي يقدّمونها لإثباتها، وهكذا بالنسبة إلى اليهود والنصارى الذين حرّفوا دينهم، وأنكروا نبوة محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» إلا أننا لو جئنا بكل هذا في جهة، وبما نزل على النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» من القرآن والتعاليم الإلهية والمعارف الغيبية والعقائد الدينية ومعادن الحكمة، وقارنّا بينها مقارنة منصفة وعلمية، لوجدنا أنه الأقوى حجة، والمتوافق مع حكم العقل، والمتناغم مع الفطرة السليمة.

والقرآن ملـــئ بأنواع التحديات لأتباع هذه الملـــل بعلمائها ومن غيرهم كـــي يثبتوا أن الحق معهم لا مـــع النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيـــهِ وَآلِهِ» وذلك من قبيل قوله ســـبحانه: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾[الانبياء:٢٤] ﴿وَقَالُوا لَـــنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْـــكَ أَمَانِيُّهُمْ قُـــلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُـــمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقـــرة:١١١]. وإذ فشـــلوا في كل تلك التحديات، تطور الأمر إلى الدعوة إلى المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِـــنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَـــدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَـــاءَنَا وَنِسَـــاءَكُمْ وَأَنْفُسَـــنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِـــلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[آل عمران:٦١].. فهربوا منها في اللحظة الحاسمة.

وهذا معنى ﴿لِيُظْهِـرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، وقد تحقق هـذا على يدي النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وَآلِهِ» ولم يملك أحد من أتباع سائر الديانات السماوية والأرضية أن يغلب بحججه وأدلته ومضمون عقائده وكتبه ما جاء في القرآن وعلى لسـان النبي الأكرم.

• الأمر الثاني:

أن مضمون الآيات يؤكد ذلك، قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ فالظهور - بحسب منطوق الآية - يراد له أن يتحقق من خلال ما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق، ولا حديث عن القوة في الآية، بل الغلبة المطلوب تحققها بالإقناع والدليل الذي يهدي إلى دين الحق، خاصة بلحاظ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾، أي بالادعاءات والكلام.. طبعاً هذا لا يعني أن الإسلام لا يوافق على استخدام القوة عموماً، ولكن للقوة مجالها.

نعم سيأتي اليوم الذي تتحقق فيه هذه الهيمنة في بُعدها العملي على يدي الإمام المهدي «عَلَيْهِ السَّلامُ» وذلك حين يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، فيدرك الناس عندئذ أن دينه هو الهدى ودين الحق، فيدخلون فيه أفواجاً.

• مسؤوليتنا:

وأخيراً فإن علينا أن ننتبه إلى أننا أمام مسؤولية تجاه مضمون هذه الآية، في علاقتنا بعنوان الإسلام ككل، وبعنوان الانتماء لمدرسة أهل البيت «عَلَيْهِم السَّلامُ» على وجه الخصوص. فنحن مسؤولون عن كل سلوك وممارسة تتم باسم الإسلام وباسم مدرسة أهل البيت وباسم قادته، بحيث تكون مسيئة وتُضعف من وهج هذا النور الذي جاء به الرسول «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» أحياناً إلى سبب للسخرية منه وهتك حرمته!

ولا يقولـنَّ أحدٌ ما لنـا وللآخرين.. فنحن أصحاب رسـالة وحاملي مشعل هداية، وقد قال رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» لعلي «عَلَيْهِ السَّلامُ» في يوم خيبر وهـو ذاهب لفتح الحصن: (لئن يهدي الله بـك رجلاً واحداً خير لـك مما طلعت عليه الشـمس)، وكل عمـل يُضعف حجتنا ويطفئ من نور الإسـلام ومدرسة أهل البيت سيتعارض مع هذه الكلمة النبوية.

وفي هذا السياق ما جاء عن الباقر «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (فاتقوا الله وكونوا لنا زيناً ولا تكونوا لنا شيناً، قولوا للناس حسـناً، حببونـا إلى الناس ولا تبغضونا إليهم، قولـوا فينا كل خير، وادفعوا عنا كل قبيح، وجروا إلينا كل مودة).

وأخيـراً.. حذار حـذار أن نكون ممن قال عنهم الله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ من حيث لا ندري، ونَحسَـب أننا نُحسنُ صُنعاً.

٤ صفر ١٤٣٥هـ - ٧ ديسمبر ٢٠١٣م

صلح الحديبية والاتفاق النووي



﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾[الفتح:٢٧].

كانت السنة السادسة للهجرة تقترب من

نهايتها حينما رأى رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» في المنام أنه دخل الكعبة وحلق رأسه وأخذ مفتاح البيت. فقصَّ رؤياه على أصحابه، وتفاءل بها خيراً. ولم يلبث أن أمر أصحابه بالتهيّؤ للعمرة، ودعا القبائل المجاورة ـ التي كانت لا تزال على شركها ـ إلى مرافقته. ولهذا شاع في جميع أنحاء الجزيرة العربية أن المسلمين سيتجهون في شهر ذي القعدة نحو مكة يريدون العمرة.

• أبعاد متعددة:

لم تكن هذه الرحلة ذات بعد ديني فقط، بل انطوت على مصالح اجتماعية وأهداف سياسية، إذ كان يراد لها أن تعزز مكانة المسلمين في شبه الجزيرة العربية، وذلك:

١. لأنّ القبائل العربية المشركة كانت تتصوّر أن النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» يخالف كل عقائد العرب وشعائرهم الدينية، حتّى في الحج والعمرة التي ورثوها عن جده الأكبر الخليل إبراهيم «عَلَيْهِ السَّلامُ». وأداء العمرة بهذه الصورة الجماعية سيقلّل من توجسهم من دينه وشريعته، ويفتح لهم آفاق الدخول في الإسلام أو الاقتراب منه.

٢. إن رسولَ الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» ذكّر الناس في المدينة بحرمة الأشهر الحرم ثم أمر المسلمين بأن لا يحملوا معهم من الأسلحة شيئاً إلاّ السيف الّذي يحمله كل مسافر معه، وهذا أمر آخر كان يحترمه العرب، وكانت رسالة أخرى في ذات اتجاه الأولى، وفنّد بها كل الدعايات المغرضة الّتي كانت تبثها قريش عن طبيعة الإسلام.

٣. سيخفف جانباً من الضغط النفسي الكبير الذي كان يعيشه المسلمون وهم يعيشون حالة الحصار الاقتصادي والاجتماعي الذي فرضته تحالفات قريش مع قوى متعددة، كما وسيفتح باب لقاء المهاجرين بأهلهم الذين انقطعوا عنهم بعد سنوات الهجرة المديدة.

٤. وإذا منعتهم قريش عن الدُّخول في الحرم، فإنها ستكون الملامة في ذلك وستكون في وضع حرج أمام حلفائها، بمنعها أناساً مسالمين يريدون أداء زيارة بيت الله الحرام الذي جعله حرم أمن لكل الناس.

• اللجوء إلى الهدنة:

وبدأت الرحلة بمعية قرابة ألف وأربعمائة مُحرِم أو أكثر، حتى إذا وصلت القافلة قرب مكة علِم النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» بقدوم طلائع قريش لمنعه من دخولها، فغير طريقه باتجاه الحديبية التي تقع غرباً في طريق (مكة ـ جدة) حالياً.

أرسلت قريش مبعوثيها لتقصي حقيقة الرحلة، وبعد مفاوضات عديدة قال سهيل بن عمرو ممثل قريش للنبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ»: (أريد

أن أكتب بيني وبينك هُدنـــة على أن أخلّيها لك في قابل فتدخلها، ولا تدخلها بخوف ولا فزع، ولا سلاح إلاّ سلاح الراكب، السيف في القراب).

قبل رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» وتضمنت الهدنة ما يلي:

١ـ تعهّد المسلمون، وقريش بترك الحرب عشر سنين يأمنُ فيهن الناس.

٢ـ من أتـــى النبي من قريش بغير إذن وليّه رَدّهُ عليهم، ومن جاء قريشاً ممّن مع النبي لم يردّوه عليه.

٣ـ من أَحبّ من العرب أن يتحالف مع هذا الطرف أو ذاك فهو مسموح.

٤ـ أن يرجع المســـلمون عامَهُم هذا، على أن يعودوا في الســـنة القادمة لأداء العمرة في نفس الوقـــت، ويمكثوا في مكـــة ثلاثة أيام دون أن يحملوا معهم ســـوى سلاح المسافر، السيوف في القُرب.

٥ـ أن لا يستكرَه أحدٌ على ترك دينه ويعبُد المســـلمون الله بمكة علانيـــة وبحرية، وأن يكون الإسلام ظاهراً بمكة وأن لا يؤذى أحد منهم ولا يُعيَّر.

٦ـ لا ســـرقَة ولا خيانة، بل يحترم الطرفان أموالَ الطرف الآخر.

٧ـ أن لا تعين قريش على النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» وأصحابه أحداً بنفس ولا سلاح.

• تباشير الخير:

بالطبـــع كان البنـــد الثاني فـــي العهد هو الأصعـــب تقبلاً، وواجـــه النبي «صَلَّـى اللهُ عَلَيـهِ وَآلِهِ» ضغوطاً واعتراضاً من بعض أصحابه، ولكنه بحكمته مضى قدُماً، لعلمه بأن البنود الأخرى كفيلـــة بتحقيق الكثيـــر مـــن المصالح في المستقبل المنظور.

وبدأت تباشـــير الخير تلوح في الأفق، فلم يدخل إلـــى المدينة بعدُ وإذا بســـورة الفتح تنـــزل عليـــه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَـــا لَكَ فَتْحـــاً مُبِينا﴾ [الفتـــح:١] بكل ما في هذه الســـورة من بيان للنتائج الإيجابيـــة والمغانـــم الكبيرة التي نالوها وسينالونها تدريجياً.

وبدأت بعض شخصيات ورجالات قريش كعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وبعض القبائل العربية تعيد حســـاباتها، فتعلن عن دخولها في الإســـلام، حيث أنهـــا أدركت أن موازين القوى قد تبدلـــت وانقلبت لصالح النبي والمسلمين.

وفُتِح البـــاب للنبي «صَلَّـى اللهُ عَلَيهِ وَآلِـهِ» للتواصل مـــع القوى الكبرى حينئـــذ من ملوك وحكام الـــروم والفرس ومصر وغيرهـــا عبر الكتب التـــي أرســـلها إليهم، في دليـــل على دخول دولة الإسلام في مرحلة جديدة من العلاقات الخارجية ومن منطلق قوي.

كما أمِن المسلمون جانب قريش والعرب،

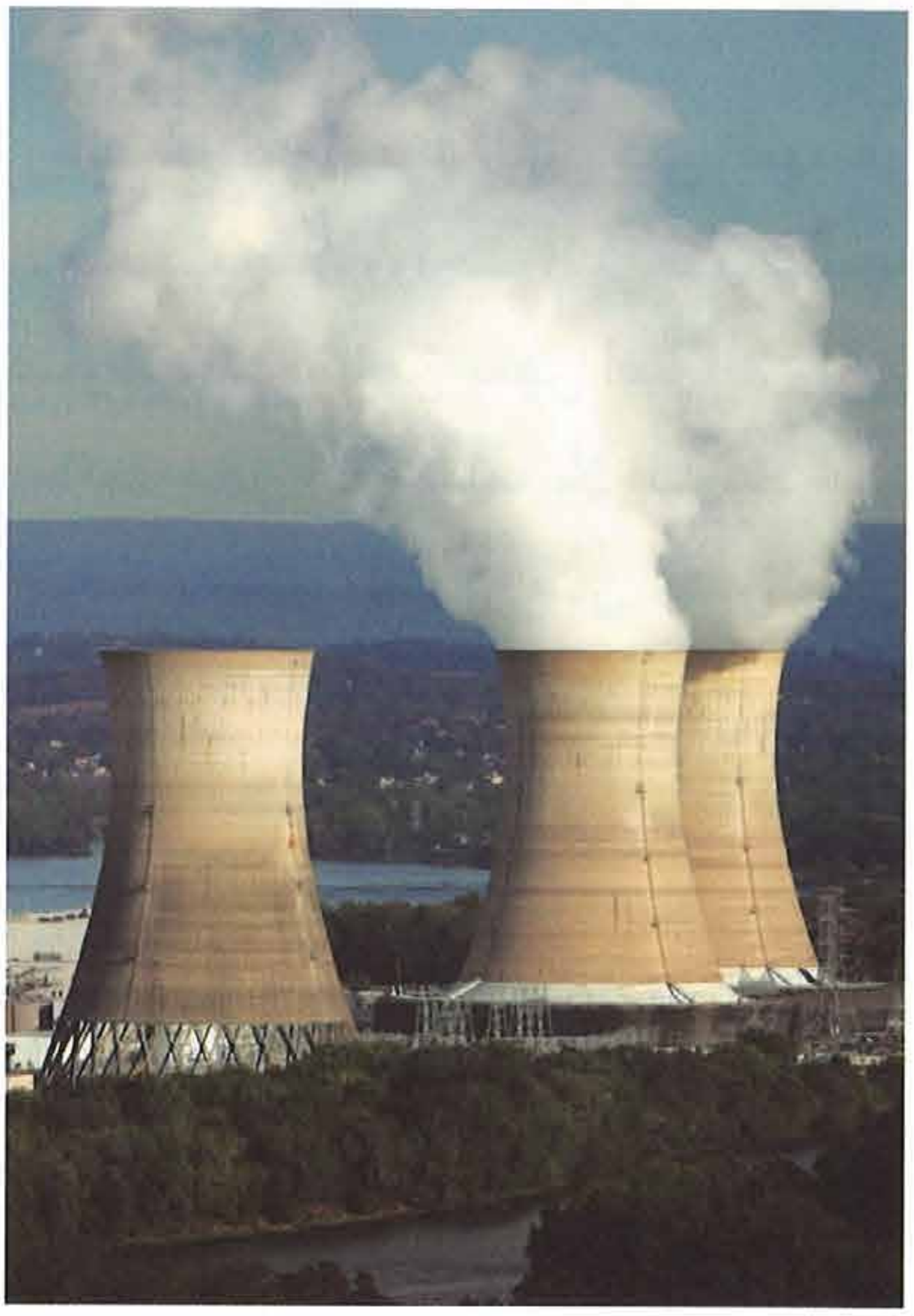

ليتفرّغوا لترتيب عـدة قضايا تمس واقعهم، ومن بيـن ذلك صراعهم مـع اليهود الذين كانوا يمكرون بهم في خيبر.

• الاتفاق النووي:

وبمناسـبة الحديث عن التحالفات وعهود الصلح أود أن أتحدث عن جانب مما تشهده المنطقـة اليوم، فمـن الواضـح أن خارطة التحالفات التي كانت تعيشـها المنطقة بعد ثـورات الربيع العربي وقبـل عزل الرئيس المصـري د. مرسـي كانت خارطـة مجنونة بتناقضاتها.

ومن الواضح أيضاً أنها لم تكن قادرة على الاسـتمرار بهذه الصورة، وبعد عزل الرئيس المصري بدأت تتشـكل خارطـة تحالفات جديدة ومقلقة في آن واحد.

إلا أن التفاهمـات الأمريكيـة الإيرانية ثم توقيع الاتفاق النـووي بين إيران ومجموعة (٥+١) بدأ يجر المنطقة بحسـب المراقبين والمحللين السياسـيين إلى تشكيل خارطة جديدة وتبـدل لموازين قوى، نلاحظ بواكير بوادرها على سبيل المثال في التحرك التركي السـريع نحو تحسـين العلاقات مع إيران والعراق. وما نأمله هو التالي:

أولاً، أن يصب هذا في اتجاه تهدأة الصراع الطائفي المحموم والمجنون الذي تشـهده المنطقة وتجرها إلى هاويةٍ لا قعر لها.

ثانياً، حل الأزمة السـورية بما فيه خير هذا البلد الذي عانى شعبه الكثير على يد أطراف النزاع، وتـم تدمير اقتصـاده وبنيته التحتية بصورة لا تخدم إلا الكيان الصهيوني.

ثالثاً، أن تقرأ الكويت بكل دقة ما سـتقدم عليه المنطقة من تبدلات لترسـم سياسـتها الخارجية بحكمة عهدناها في أكثر من موقف خلال السنوات الماضية، دون أن يقتصر ذلك على سياسـة المنح المالية التي هي بلاشك تجلب الخير والبركـة للكويت، ولكنها في نفس الوقت غيـر كافية حتماً لترتيب أوراق علاقاتها الدولية في مثل هذه الظروف الدقيقة التي تمر بها المنطقة.

من صور النفاق

١١ صفر ١٤٣٥هـ - ١٤ ديسمبر ٢٠١٣م

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ وَلَئِنْ جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ، وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾[العنكبوت:١٠-١١].

من المعلوم أن سورة العنكبوت من السور المكية، وبالتالي فإن من الغريب أن تتحدث السورة عن المنافقين، الذين نعرف أنهم ظهروا في المدينة المنورة.. ثم لِمَ يظهر النفاق في أجواء عصيبة؟ فالمسلمون لم يمثّلوا قوة في مكة، بل كانوا مستضعفين، والنفاق إنما يتصور ظهوره في حالة خشية الكافر الضعيف من المؤمن القوي، فيتظاهر هذا المنافق بالانتماء إلى المجموعة القوية ولكنه في الداخل يستبطن العداء لها.

يبدو أن أفراداً من أهل مكة دخلوا في الإسلام إعجاباً به، ورغبةً فيه، ولكنهم لم يكونوا من القوة ليصمدوا أمام التحديات الكثيرة والكبيرة التي كانت تواجههم في إسلامهم، بدلالة قوله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ﴾، ولربما لم يصمدوا أيضاً أمام بعض الإغراءات التي كانت تُقدَّم إليهم. فتنازلوا عن إيمانهم ومبادئهم، ولربما توجه بعضهم إلى المشركين في حالة تصالحية طالبين منهم السماح لهم بالاستمرار في الظاهر الإيماني من أجل التجسس على المسلمين أو لغير ذلك من الأهداف الخبيثة. أما مع المسلمين فإنهم اتخذوا من ماضيهم الإيماني غطاءً لستر كفرهم في الباطن، مبررين مواقفهم الانهزامية بالتقية.. وهذا التناقض عبرت عنه الآية القرآنية: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾[البقرة:١٤]. ثم إنهم يُبقون هذا النوع من الصلة مع الجماعة المؤمنة أملاً في أن ينالهم شئ من الخير فيما لو تحقق لها عند تبدل الظروف: ﴿وَلَئِنْ جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾.

• الموقف في غزوة بدر:

بل روي أنَّ مِن هؤلاء مَن خرج مع مشركي مكة في غزوة بدر، وأنفسُهم تحدّثهم أنهم إن لقوا المسلمين في ساحة المعركة فلن ينالهم منهم أذى، لأنهم أوهموا المسلمين

مِن قبل أنهم يعيشــون حالةً من التقية. وفي داخلهم كانوا يستهزؤون بضعف المسلمين في خبرتهم القتالية وقلــة العدد والعتاد ولا يتوقعون لهم النصر، كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ﴾[الأنفال:٤٩].

• شخصية سقيمة:

وقد أعطوا لأنفسهم مجالاً لنيل المكاسب المادية من الجهتين! ففيما لو انتصر المشركون، وهو الاحتمال الأقوى عندهم، فسيشتركون في الغنائم لأنهم جزء من الجيش.. وفيما لو انتصر المسلمون، وهو الاحتمال الأضعف بتصورهم، فلن ينالهم منهم شر، بل وسيطالبون بنصيبهم في الغنيمة، إذ يعدّون أنفسهم منهم! وهي فعلاً شخصية سقيمة وبتعبير القرآن: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾.

وبروز النفاق يتوقف على عاملين:

أولهما: القابلية الذاتية، قال «عزَّ وجلَّ»: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[البقرة:٨-١٠].

وثانيهما: وجود مَــن يوجهها حتى تتحول من مستوى الهواية إلى الاحتراف ـ إن صح التعبير ـ بحيث يتحول نفاقهم إلى مشاريع هدامة ولا يقتصر على الدور الفردي السلبي، وذلك من قبيل ما جاء في قوله «عزَّ وجلَّ»: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلا الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[التوبة:١٠٧].

وهذه القضية تستدعي وقفة مع النفس لتقييم المواقف التي يتخذها الإنسان تحت عنوان التقية.. التي لا خلاف على شرعيتها، بل وكونها سلوكاً عقلائياً.. ولكن الكلام هو متى يكون الموقف تقيةً بصورة مشروعة، ومتى يكون خداعاً للنفس للتهرب من المسؤولية، وخذلانا وتخذيلا تماما كما عاشه منافقو مكة والمدينة؟ وإلى أي مدى يسترسل الإنسان في التقية دون أن يتحول الموقف بالتدريج ـ ومن حيث يعلم أو لا يعلم ـ إلى خذلان وتخذيل؟ هذه نقطة حساسة تستدعي أن يراجع المؤمنون مواقفهم بصورة دائمة، وأن تراجع الجماعات الإسلامية ذات النشاط السياسي مواقفها لئلا تقع في ما حذّر منه القرآن الكريم مراراً وتكراراً كتلك الصورة التي قدّمها حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً﴾[النساء:٩٧].



الاستغفار

وفتنة مانديلا !

١٨ صفر ١٤٣٥هـ - ٢١ ديسمبر ٢٠١٣م

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ، وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[التوبة:١١٤].

تأتي الآيتان من سورة التوبة في أجواء المراحل الأخيرة من دعوة النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» وبعد فتح مكة، ودخول الناس في دين الله أفواجاً في السنة التاسعة للهجرة. وتوجِّه الآية رسالة مضمونها: أنه يفترض أن يكون الموقف العاطفي للمؤمن انعكاساً لموقفه العقيديّ، فالعقيدة ليست حالة عقلية تجريدية، بل إن الموقف العقيدي جزءٌ من موقف شعوري داخلي يتكون ويتفاعل مع القضايا المختلفة.

ولعله مع قوة الإسلام والانتشار الذي حققه، تصوَّر بعض مَن أصرَّ على البقاء على

الشـــرك ممن لهم قرابة بالنبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» أو بالمســـلمين أو نوع علاقـــة صداقة أو جوار قديم، بأن تلك العلاقة العاطفية التي تفرضها القرابة أو الصداقة ـ بشـــكل طبيعيّ ـ يمكن أن تكون أساســـاً لتحقيـــق بعض الامتيازات على مستوى الواقع.

وربما قد تكون خاطـــرةً خطرت في أذهان بعض المســـلمين، في حالةٍ عاطفيّة انفعالية، أنّ من الممكن أن يستغفروا لهم، أو يطلبوا مـــن النبيّ أن يســـتغفر لهم، كمـــا كان الأمر مطروحـــاً بالنســـبة للمنافقيـــن. ويبدو أنهم تشـــجعوا في ذلك نتيجة ما قرؤوه في القرآن منذ العهد المكي أن الخليل إبراهيم «عَلَيْهِ السَّلامُ» قد اســـتغفر لأبيه الكافر (أياً كانت النســـبة الرحميـــة أو النســـبية بينهما، والـــداً كان أم بمثابة الوالد): ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيـــمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا، قَالَ سَـــلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّا﴾[مريم:٤٧] فجاءت الآية لتنهى عن ذلك، وتوضّح موقف إبراهيم «عَلَيْهِ السَّلامُ».

• التفاتة مهمة:

وللعلامة الســـيد محمد حسين الطباطبائي التفاتة مهمـــة في المقام ذكرها في تفســـيره (الميزان)، حيث بيّـــن أن هذا النهي متوجِّه فـــي حالة اســـتحكام الكفر وعنـــد الجحود والعناد، ولذا كان اســـتغفار إبراهيم «عَلَيْهِ السَّـــلامُ» في البداية في مساره الصحيح، ولكن لما أقام عليه الحجج تلـــو الحجج تبيّن له أن (آزر) مستكبر معاند جاحد، وعندها تبرّأ منه.

قال العلامة الطباطبائـــي: (تارة يفرض الله تعالى عدواً للعبد مُبغضاً له لتقصير من ناحيته وسوءٍ من عمله، فمن الجائز بالنظر إلى سعة رحمة الله أن يُســـتغفر له و يُسترحم إذا كان العبد متذللاً غير مستكبِر، وتارة يفرض العبد عدواً لله محارباً له مستكبراً مستعلياً كأرباب الجحود والعنـــاد من المشـــركين، والعقل الصريـــح حاكم بأنه لا ينفعه حينئذ شـــفاعة بمسألة أو استغفار إلا أن يتوب و يرجع إلى الله و ينسلخ عن الاستكبار والعناد).

• هل نترحم على مانديلا؟

ومـــن هنـــا يتضح عـــدم صحة الإشـــكال والجـــدل الفقهي حول جـــواز الترحم على غير المســـلم والـــذي انشـــغلت به بعض المجتمعات الإســـلامية قبل أيام حين توفي المناضل الجنوب أفريقي نيلســـون مانديلا، بعد حياة مديدة قضاهـــا في مناهضة ومقاومة الفصل العنصري في بلاده فسُجن لأجلها ٢٧ سنة، ولم ييأس حتى رأى نتاج كفاحه وكفاح أبناء وطنه، وتم إلغاء ذلك النظام الاستكباري الظالم، وصـــار مانديلا رئيســـاً لبلاده ورمزاً إنسانياً للحرية والمقاومة والنضال.

ومـــن المؤســـف أن نضطـــر للانجـــرار

والاستغراق في معالجة الموضوع من ناحية فكرية وشرعية في الوقت الذي نتغافل فيه عن كلّ شئ له علاقة بشخصية هذا المناضل وكفاحه والدروس المستقاة من ذلك حتى يشهد تشييع جثمانه أكثر من ٩٠ رئيس دولة ومئات الآلاف من مختلف طبقات الناس وانتماءاتهم الدينية والعرقية من أنحاء العالم، وهو ما لربما لم تشهده جنازة رئيس دولة من قبل. نعم، هكذا اعتادت مجتمعاتنا الإسلامية على التعاطي مع الأحداث، بالاستغراق في الهوامش، ونسيان أصل الموضوع، على خلاف التربية القرآنية التي طالما ركزت آياتُه وبيّنت أن الهدف من القصص هو العبرة لا التفاصيل التاريخية ولا المعلومات الهامشية.

• أنتم الطلقاء:

ومن أهم المحطات التي يتوقف عندها الإنسان في سيرة المناضل والزعيم الراحل مانديلا هو الموقف الذي اتخذه حين أصبح أمام خيارين وهو في موقع القوة والانتصار.. خيار الانتقام من (الفئة البيضاء) التي طالما ظلمت واستبدّت، وهو أحد أبرز ضحاياها، وبين أن يتبنى سياسة المصالحة ويرفض الانتقام لينجح في النهوض ببلده، فلا يتحول إلى ساحة للاقتتال الداخلي والفتن المدمرة.. وهذا ما اختاره.. ونجح في تحقيقه.

وهو ما يلتقي فيه مع موقف النبي حين فتح مكة قائلاً: (يا معشر قريش، ما تظنون أني فاعل بكم؟ فقيل له: نظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته، لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم الطلقاء).

• المشهد العربي:

إن هذا كله يأتي على خلاف ما شهدته وتشهده بعض دول الربيع العربي، والتي ما زالت تعاني من سياسة الانتقام العامة بكل صورها بحق كل من له نوع صلة ـ ولو مجرد صلة انتماء قبلي ـ بالوضع السابق ولو لم يكن له أي دور في ظلم أو فساد.. (بالطبع لابد من التفريق بين هذه الصورة وبين معاقبة رؤوس الفساد، وهو ما تطرقت له في مقال نشرته الأسبوع الماضي تحت هذا العنوان) وكذلك على خلاف ما تُطلقه من تهديدات وتمارسه على الأرض فعلاً بعضُ الجماعات التكفيرية باسم الإسلام من قتلٍ للمدنيين واستباحةٍ للأعراض واحترابٍ للممتلكات عندما تبسط نفوذها هنا أو هناك.. والنتيجة الحتمية حينئذ هي العجز عن تحقيق التوافق الوطني، وبدل ذلك يتم إحلال الدمار والتخلف وتجذر الأحقاد واستيطان روحية الثأر والكراهية الأبدية.. وشتان بين هذا من جهة وبين دعوة القرآن وسنة رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» القائمة على العفو والتسامح من جهة أخرى.



٢٥ صفر ١٤٣٥هـ - ٢٨ ديسمبر ٢٠١٣م

روى الإمـــام أحمد والترمذي عن يعلى بن مرة العامري أن رســـول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيـهِ وَآلِهِ» قال: (حســـين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط).

• تعبير متكرر:

هذا النوع من التعبير ورد عن رسول الله محمد «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» في حق الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» حيث روي عنه أنه قال: (علي مني وأنا منه)، وشبيه منه ما جاء بحق الزهراء ابنته «عَلَيْها السَّلامُ»: (فاطمة بضعة مني).. ومن الواضح أن المسألة ليست مسألة نسب، فهل يشك أو يجهل أحد ذلك؟ فما هي إذاً الرسالة التي تحملها هذه الكلمة في طياتها؟

وكذلـــك نرى أن قـــول النبي «صَلَّـى اللهُ عَلَيـهِ وَآلِهِ»

في حق الحسين أنه سبط من الأسباط، لا يعني أنه ابن ابنته كما هو شأن سائر أبناء البنات، فهذا منه هذرٌ من القول، حاشاه، بل إن الألف واللام في كلمة (الأسباط) للعهد الذهني من خلال ما تعلمه المسلمون من القرآن الكريم، ودلالة ذلك أن الحسين من الأسباط المذكورين في كتاب الله تعالى في قوله: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[البقرة:١٣٦].

• الامتداد الرسالي في الذرية:

فالله تعالى يتحدث عن السلسلة المتمثلة في هؤلاء الأنبياء «عَلَيْهِم السَّلامُ» الذين ينحدرون من السلالة الطاهرة للخليل إبراهيم «عَلَيْهِ السَّلامُ» ممن تحملوا أعباء الرسالة من بعده حيث اصطفاهم الله.. ومنهم الأسباط.. فأدوا الأمانة.

وهكذا هو حال الحسين «عَلَيْهِ السَّلامُ» فهو يمثّل الامتداد الرسالي للنبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» كما مثّل الأسباط الامتداد الرسالي للخليل إبراهيم وللأنبياء من نسله. بغض النظر عن عنوان النبوة، وقد انتهت النبوة بختمها بمحمد.

وهذا ما نلحظه في قول النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» لعلي «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي) وقد بين الله تعالى تلك المنزلة فيما حكى عن موسى أنه قال: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي، كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا، وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا، إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا، قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[طه:٢٩-٣٦] وقوله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[الأعراف:١٤٢].

وهي لا ترتبط بالقيمة فقط، بل لها علاقة ـ ابتداءً ـ بالمهام الموكلة إليه «عَلَيْهِ السَّلامُ» والتي تشترك في عناوينها بالمهام التي أوكلت لهارون «عَلَيْهِ السَّلامُ».

كما أن إيكال هذه المهام إلى علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» لم يأت اعتباطاً، بل جاء وفق ما يتحلى به الإمام من صفات تؤهله لأن ينال شرف حمل الرسالة من بعد رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» والدفاع عنها كي تُكمل مسيرتها، تماماً كما جاء في قول النبي: (إن منكُم لمن ليقاتلنَّ على تأويلِ القرآنِ كما قاتلتُ على تنزيلهِ) ثم أشار إلى خاصِف النعلِ في الحجرةِ، فكان علياً.

• الحسين من الأسباط:

إذاً فالنبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» بهذه الكلمات يقدّم للمسلمين سبطه الحسين على أنه أحد أهل بيته الذين يحملون من صفاته ومن المؤهلات ما يجعلهم مصطفين من الله «عَزَّ وَجَلَّ» ومن رسوله لحمل أعباء الرسالة، ليكونوا

الامتـــداد الطبيعـــي لكل الجهـــود المباركة لرسول الله والتي تسلل المسلمون عن الأجر الـــذي يمكن أن يناله النبي في قبالها، فأخبره الله تعالى أن يقول لهم: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[الشورى:٢٣].

• قتال على التأويل:

وإذا كانت جهود النبي وجهاده قد انصبت كلها لأجل نشـــر وترسيخ الرسالة، فإن جهود أهل بيته انصبت فـــي مواجهة كل محاولات تحريف تلك الرســـالة عن مسارها.. وجاءت المواجهة فـــي كربلاء لتمثل قمة القتال على التأويل، ففي ذلك اليوم تجلت كلمة رســـول الله: (حســـين منـــي وأنا من حســـين)، فهل يمكـــن لغير مَن هو مِن رســـول الله أن يقف ذلـــك الموقف بكل صلابـــة ويقدم كل تلك التضحيات بعزيمة كالجبال الراسيات، حتى قال القائل: (فوالله، ما رأيت مكسوراً قط) أو مكثوراً.. أي مغلوباً كما جاء في نص آخر (قد قُتل وُلدُه، وأهلُ بيته وأصحابُه، أربط جأشـــاً ولا أمضى جَناناً منه، ولا أجرأ مَقدَماً، والله ما رأيت قبلَه ولا بعدَه مثلَـــه، إن كانت الرَجّالة لتنكشـــف من عن يمينه وشـــماله انكشاف المعزى إذا شد فيها الذئب).

• اندماج رسالي:

لقد جاءت الكلمة النبوية (حسين مني وأنا من حسين) لتصور حالة الاندماج والتداخل بينهمـــا في مقوّمات حمل الرســـالة الإلهية.. اندماجاً وتداخلاً مثّل روعة تجســـيد الرسالة في يوم عاشـــوراء، من حيث القيم والمبادئ والأخلاقيات والتضحيات.. فإذا كان رســـول الله «صَلَّـى اللهُ عَلَيـهِ وَآلِـهِ» قـــد مثّل التجســـيد الحي لرسالة السماء وهو مبلِّغُها، فقد مثّل الحسين التجسيد الحي والمتجدد لرسالة السماء وهو المدافع عنها، والمعيـــد إليها الحياة بعد أن أَعمَلت فيها معاول الهدم كلَّ صور التحريف والتشـــويه والتدميـــر على مســـتوى العقيدة والشريعة والقيم والأخلاق والسلوك.. حتى كادت أن تموت، ليُقدَّم محلَّها إســـلامٌ لا صلة لـــه بحقائق القـــرآن، ولا امتداد له في ســـنة النبـــي.. وإذا كانت النبوة قـــد انقطعت بوفاة رسول الله.. فإنَّ شـــبلَ النبي.. سيدَ الشهداء.. أباعبـــدالله الحســـين نهض من واقـــع مقام الولاية ليبعث الروح في الرســـالة من جديد حين أراق في ساحة القتال دمَه الزكي.. ودماء مَن معه من الثلة الرسالية المؤمنة التي آمنت به فآزرته.. هكذا كان الحسين من رسول الله.. وكان رســـول الله من حســـين.. وهل انتهت رسالة عاشـــوراء؟ إن إحياءنا لذكرى استشهاد الحســـين يعني أن نجعل من عاشوراء ساحةً لتعميقِ الرســـالة وترســـيخِ الإسلام، ليكون الناسُ مسلمين أكثر، وليكونوا ملتزمين أكثر، وليكونوا حاملين للرسالة أكثر.

الانفتاح والحذر

٣ ربيع الأول ١٤٣٥هـ - ٤ يناير ٢٠١٤م

طبيعة الحياة، وطبيعة العقل البشري تفرض أن نعيش التعددية في الآراء، حتى في داخل الوسط الديني والمذهبي والعلمي الواحد. إلا أن وجود مجموعة من العوامل المحفّزة لتمسك الإنسان بمتبنياته تدفع للتصادم مع الحالة التعددية، من قبيل حب الذات والانتصار لها.. القداسة المحيطة بالفكرة أحياناً.. الوحشة من مخالفة الموروث أو الجو العام.. العاطفة الجياشة وحماسة الشباب لما يتبنونه.. التحديات التي يواجهها من الخصوم وأجواء الصراع معهم، وغير ذلك.

• القرآن يطالب بالانفتاح:

ولذا تأتي أكثر من آية في القرآن، كقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ، الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[الزمر:١٨]، لتطلب من الإنسان أن يعيش حالة من الانفتاح على الرأي الآخر، ويستمع إلى حججه، يستمع بتركيز، وليس مجرد سماع عابر، فيفكر، ويقيّم، ومن ثَمَّ يقرر ما هو الأحسن ليأخذ بعد ذلك خطوة إلى الأمام باتباع ذلك الأحسن. والتفكير في الآراء المختلفة بحيادية كما يتيح فرصة للوصول إلى الرأي الأحسن، فإنه يوفرّ درجة أعلى في فهم الرأي المختار.. فقد يتصور الإنسان أن ما بيده يمثل الأحسن، ولكنه عندما ينفتح على الآراء الأخرى وحججها قد يصل إلى قناعة مختلفة، أو قد يزداد اقتناعاً بما يؤمن به بإعادة الدراسة والمقارنة.

• البحث عن الحكمة:

وقد روي عن النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» أنه قال: (الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، حيث ما وجدها فهو أحق بها). والضالة هي ما يفقده الإنسان فيبحث عنه بأشد الطلب. وفي المروي عن الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ» أن هذه الضالة قد تكون عند مشرك أو منافق، وهذا لا يمنع من الأخذ عنه، فالحكمة والفكرة التي تفيد الإنسان هي الغاية.

وعن السيد المسيح عَلَيْهِ السَّلامُ: (خذوا الحقَّ من أهل الباطل، ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق، كونوا نُقادّ الكلام).

والناقد هو الذي يفحص النقود ليكتشف

ويفرز الجيد من الردئ والمغشوش منها.

• لا تسارع في الحكم:

وفي المقابل فقد خطّأ القرآن المسارعة في تكوين الرأي قبل الاستماع إلى الطرف الآخر وحجته، كما جاء في قصة النبي داود مع الملكين الذيت تصوّرا بصورة البشر، وتنازعا عنده، فاشتكى الأول من ظلم أخيه، وبادر النبي داود لإبداء الرأي قبل أن يستمع إلى الطرف الآخر: ﴿... وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ، يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[ص:٢٤-٢٦].

كما ذم القرآن الامتناع عن الاستماع إلى الرأي الآخر: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُون﴾[فصلت:٢٦].

• الطفيل الدوسي:

وفي السيرة النبوية قصة ذات عبرة ينقلها الطفيل ابن عمرو الدوسي الذي قدم مكة وقيل أنه كان رجلاً شريفاً وشاعراً لبيباً، فسعى إليه المشركون يحذرونه من الاستماع إلى النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» خوفاً عليه وعلى قومه، يقول: (فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى البيت الحرام كُرسُفاً «قطناً» فَرَقاً «خوفاً» من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» قائم يصلي عند الكعبة. قال: فقمت منه قريباً، فأبى الله إلا أن يُسمعني بعض قوله. قال: فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: وا ثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول! فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته؟ قال فمكثت حتى انصرف رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته، دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فو الله ما برحوا يخيفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك، فسمعته قولاً حسناً، فاعرض عليّ أمرك. قال: فعرض عليّ رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» الإسلام، وتلا عليّ القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه فأسلمت وشهدتُ شهادةَ الحق).

• ضوابط الانفتاح:

بالطبع هذا لا يعني أن كل ما هو جديد بالنسبة إليّ يمثّل الحق، كما لا يعني أن كل ما هو جديد فهو باطل.. ومن جهة أخرى فليس بالضرورة أن يكون كل ما يُقدَّم باطل محض، أو حق محض. ولكن هذا الانفتاح على

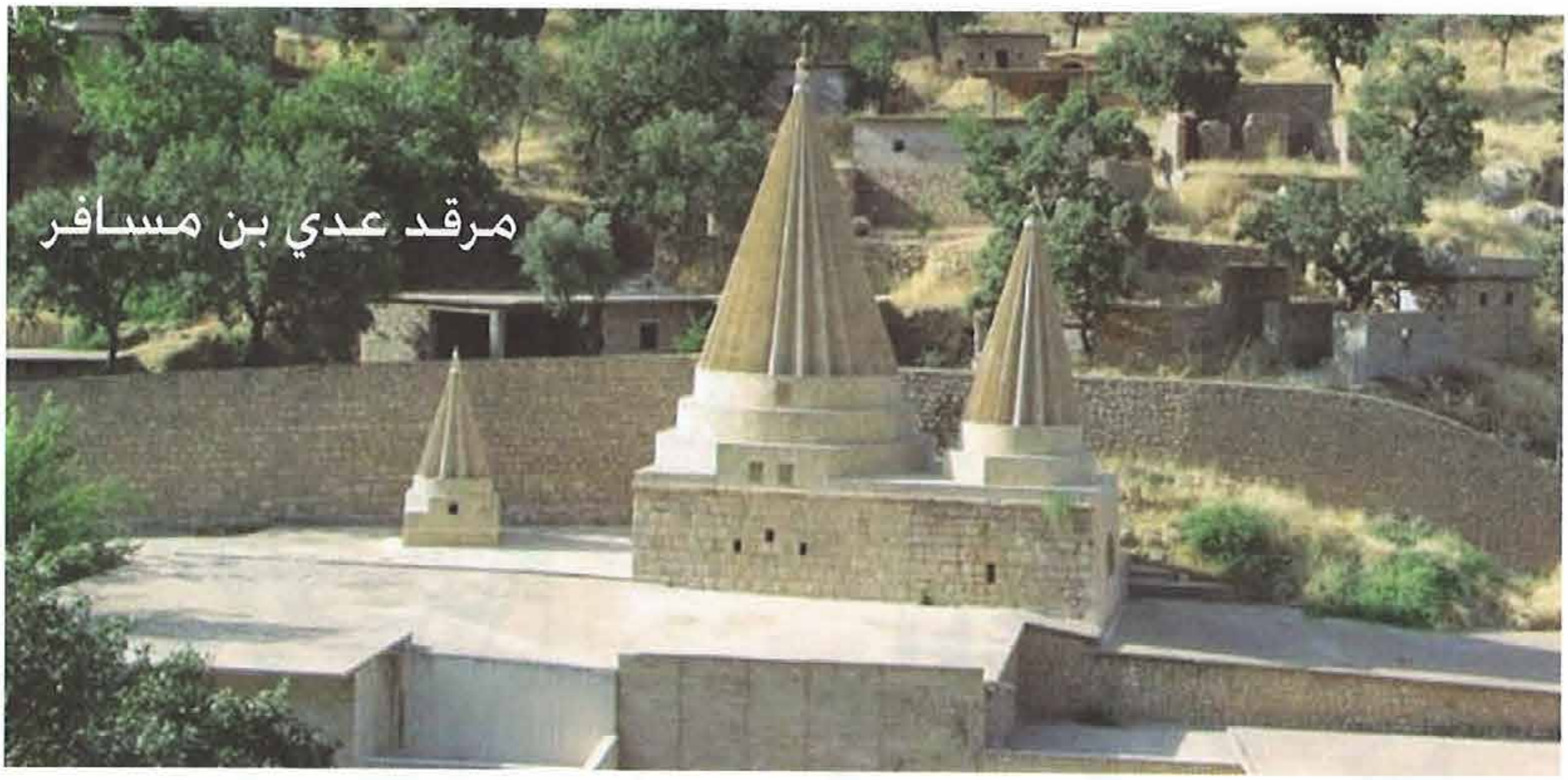

الرأي الآخر يحتاج أيضاً إلى ضوابط، منها:

١ـ الاطلاع الكافي والدقيق على أسس المتبنَّى الشخصي قبل الاندفاع نحو تبني الرأي الآخر، فقد يكون متبناك فعلاً هو الأحسن ويعتمد على حجج قوية، ولكنك أخذته كموروث، ولم تبحث عن تلك الحجج، فتتصور أن ما يُقدَّم إليك هو الحق لأنه مدعوم بحجج، وأن ما بيدك الباطل، لأنه عديم الحجج، أو ضعيفها.

٢ـ لا تستسلم للحظة عاطفية، واعطِ نفسك فرصة للتفكير والمقارنة والاطلاع الكافي على ما عند الآخر، فقد يكون نتاجه الذي بين يديك جيداً، ولكن نتاجاته الأخرى تبيّن خللاً في متبنياته أو نواياه، وما أكثر الذين يدسون السم في العسل ويتقنون ذلك بحِرفية كبيرة.

٣ـ تداول الأمر مع أصحاب الخبرة والعقل الراجح، فقد تفوتك بعض الأمور، وقد يخفى عليك ما يعلمه الآخرون، وبتعبير الإمام علي «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (مَن شاور الرجال شاركها في عقولها).

• بين جديدين:

في القرن الخامس الهجري سافر (عدي بن مسافر) من بعلبك إلى شمال موصل، متلبساً بالزهد، وقد قال فيه عبدالقادر الجيلاني أحد أئمة الصوفية فيه: (لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر).. وما أن استقر في تلك المنطقة حتى أنشأ لهم دين (اليزيدية) التي تقدس إبليس!

إن خطورة وحساسية الأمر تتمثل في حال الذين بُعث إليهم رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» بما هو جديد فرفضوا أن يستمعوا إليه وحاربوه فخسروا، وفي حال الذين جاء إليهم (عَدي بن مسافر) في ثوب المسلمين الزاهدين وأتاهم بما هو جديد، فآمنوا بكلامه، فخسروا!

١٠ ربيع الأول ١٤٣٥هـ
١١ يناير ٢٠١٤م



نبي الرحمة والتواصي بالمرحمة

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨].

في هذا التعبير ألغى القرآن كل الفوارق القبلية والعائلية في طبيعة العلاقة التي ربطت النبي «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِـهِ» بالناس، وركّز على المشترك الإنساني، والمحيط المكاني الذي جمعهم، ليقول لهم: أيها الناس، ان هذا المبعوث اليكم لم يأتِ من المجهول لتتوجسوا الخوف من دعوته.. ولم يأتِ من عليائه ليعيش الكبرياء في نظرة دونية لمن تحته. بل هو من أنفسكم.. لقد وُلد بينكم، وعرفتموه يتيم الأب من حين ولادته، فحُرِم من رؤيته، وعاش يُتم الأم مُبكِراً، فحُرِم حنان الأم ودفء أحضانها.. ولم يكن له أحد من الاخوة ممن يكبره، فحُرِم رعاية الأخ الذي يعاضده.. وعانى من الغربة في الصحراء مع بني سعد في طفولته الأولى.

وبالطبع لا يمكن إنكار دور جده عبدالمطلب وعمه أبي طالب وزوجته السيدة فاطمة بنت أسد في الرعاية والاهتمام، ولكن يبقى للأب والأم المباشرين شأن آخر.

• الرعاية الالهية:

ولعل طفلاً يعاني كل هذا الحرمان لن يكبر ليكون سوياً، فضلاً عن ان يكون بالصفات التي جاءت في الآية السابقة، ولكنها العناية

الالهية التي شاءت ان يعيش في أجواء رعاية السماء: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾[الضحى:٦-٨]. وبتعبير الإمام على بن أبي طالب «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (ولقد قرن الله به من لدن ان كان فطيماً أعظم مَلَك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومَحاسِنَ أخلاقِ العالَم، لَيلَهُ ونَهارَه) ليكون ملائكياً في مشاعره، روحانياً في أخلاقه، عظيماً في صفاته.

• مع المشركين والمسلمين:

أيها الناس، لقد عاش محمد بينكم كبيراً، فكان الصادق الأمين الذي يُشار اليه بالبنان، وترتاح اليه الأنفس.وبُعث في الأربعين بالنبوة فما ازداد الا إنسانيةً ورحابةً وحرصاً عليكم. وحتى عندما واجهه المشركون منكم بكل أنواع القسوة والعدوان دعا وهو يمسح دم الجراح عن وجهه قائلاً: (اللهم اغفر لقومي، فانهم لا يعلمون) لأنه كان على يقين من كلام ربه حيث قال له: ﴿وَانَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَانَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾[البقرة: من الآية٧٤]، فكان يترقب تحوّل تلك الحجارة التي يُرمى بها الى ينابيع من الخير، ويرجو تحوُّلَ تلك القلوب التي تحجَّرت الى فيوضٍ من الرحمة.

ولما غدا في موقع القيادة مع المسلمين منكم، تفاعل مع الأحداث التي عشتموها، فتألم كما تألمتم، بل وتألم في أجواء المحنة لآلامكم، بينما قد لا يفكّر الإنسان حينها إلا في نفسه، أو في الدائرة القريبة المحيطة به.. لأن محمداً كان الرؤوفَ الرحيمَ بكم.. كما ان الله هو الرؤوفُ الرحيم.. فقد تخلَّق محمد بأخلاق الله. وما كانت هذه الرأفة والرحمة حبيسة القلب والمشاعر، بل كانت مظهراً حياً فاعلاً وبارزاً في سلوكه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَاذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ انَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران:١٥٩].

وحين جاءت لحظة الغلبة والانتصار، وتخوّفت نفوس المشركين منكم من الانتقام والثأر والاذلال، هتف قائلاً: (اليوم يوم المرحمة، اليوم يُعِزُّ اللهُ قريشاً)!

لقد كان رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» كما أراد الله له حيث قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ الا رَحْمَةً لِلْعَالَمِين﴾[الانبياء:١٠٧]، فكان رحمةً للعالمين في كل شمولية الرحمة العميقة والممتدة.. ولكن أين هي الرحمة اليوم في واقع المسلمين تجاه بعضهم البعض، وتجاه الإنسان الآخر؟

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَانَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَانَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ

مِنْهُ الْمَلأُ وَانَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[البقرة:٧٤].

• أسوة للتراحم:

إن ما حدثنا بـــه الله في القرآن الكريم من صفات رسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» لا تتعلق بالتكريم فحســـب، بل تُقدَّم الينا نموذجاً حياً للاقتداء، وذلـــك عملاً بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُـــولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَـــنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾[الأحزاب:٢١].

ومن المؤسف أن نجد صفة الرأفة والرحمة تغيب في عديد من المواقف عند المسلمين الذين يدّعون اتباع النبي في سنته، والتي هي قوله وفعله وتقريره، وتجاه بعضهم البعض.. ليحل محلها العنف والقســـوة.وهي وان لم تنعكـــس على أفعالهم فـــي بعض الأحايين، إلا أن واقع الحال يشـــهد علـــى أن قلوبهم باتت قاســـية علـــى بعضهم البعـــض، وهي تنتظر الفرصة التـــي تفجر كل هذا الاحتقان ومشـــاعر الكراهية بصورة ما. ولو عدنا إلى القرآن الكريم، نجده يرسم معالم الشخصية المؤمنة في أكثر من موقع، ومنها قوله «عَزَّ وَ جَلَّ»: ﴿فَـــلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَـــةٍ، أَوْ اطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْـــغَبَةٍ، يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ، أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَـــوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾[البلد:١٢-١٨].



وكأن الآيات هنا باستعمالها كلمة (ثم) تريد ان تقول ان المســـألة الأخلاقية في الإســـلام ليســـت مجرد حالةٍ ظاهرية تتلخص في عتق الرقيق وإطعام الطعام، بل لابد ان ترتكز على

الايمان في منطلقها، وتقوّي الايمان في أثرها. كما أنها لابد ان تمتــزج بالصبر والتواصي بالصبر من جهة، وذلك لصعوبة الاســتمرار فــي التفاعل مع حاجــات الآخرين والايثار والعطاء علــى طول الخط، لاســيما بلحاظ تذبذب حب الــذات قوةً وضعفــاً، وبلحاظ تسويلات الشــيطان الذي يعد بالفقر. ومن جهة أخرى لابــد أن تمتزج بالعاطفة الفاعلة والمحركة والمسؤولة والتي عبرت عنها الآية بـــ (المرحمة)، وبالتواصــي بهذه المرحمة التــي من المفتــرض ان صفتــي (الرحمن الرحيم) المتكررة في أقوال الإنسان المسلم لذات الله قد زرعت ورسّخت فيه هذه القيمة الإنسانية الرفيعة.

• مشكلة وحل:

ومــا فقدان ذلــك على مســتوى كثير من المســلمين إلا دليل على ان المســألة عند هؤلاء هــي مجرد شــكليات وكلمــات غير واعيــة، ومفاهيم غائبة أو مشــوهة، ولغياب حالة التواصي بالصبر علــى القيم، ولغياب حالة التواصي بالمرحمة، واحلال كل أنواع التواصي بالحقد وســوء الظــن والكراهية الطائفية والقبليــة والعرقية والقومية محلها. فما هدَمَه القرآن وهو يتحدث عن صفة النبي والأســاس القيمي في علاقته بالآخرين، يبنيه هؤلاء المســلمون كل يوم بالتخلي عن تلك القيم، وبالتواصي بالمبادئ الجاهلية والدعوة الى الكراهية والعنف. ولعل مما يساعد على اعادة حالة المرحمة ما يلي:

١ـ الاقتنــاع بهــا كمبــدأ أساســي للأمن الاجتماعي للجميع.

٢ـ المراقبــة والســيطرة علــى النفــس وتحصينها مــن التفاعل مع خطاب التطرف والعنف والكراهية.

٣ـ التواصي والتأكيــد والتذكير بالمرحمة وآثارها والتصابر عليها.

٤ـ تحشــيد الأصوات المنادية بنبذ العنف وخطاب الكراهية وتفعيل دورها.

٥ـ النهوض بمشــاريع فاعلة لترســيخ قيم المرحمة بعيداً عن العناوين المفرّقة مذهبياً وقومياً وقبائلياً.

إن التأكيد على التواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة في الآية يعمــل على توجيهنا الى تحمُّل المســؤولية في إشاعة القيمة الروحية الأخلاقية في الوعي الاجتماعي وهي المسؤولية النابعة من وظيفتــي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكــر، إذ لا مجال للمواقف الانعزالية عن مجريات الواقع الإنســاني من حولنا، لأن المســألة تتصل بأمن الجميع. وما النار التي تضطــرم في دائــرة محدودة اليــوم، الا وهي مرشحة لأن تستشري غداً حيث نشعر أننا في مأمن منها.. نستجير بالله من ذلك.



التكفير

تهمة الجاهلين

١٧ ربيع الأول ١٤٣٥هـ - ١٨ يناير ٢٠١٤م

عن سماعة قال: (قلت لأبي عبدالله - أي الإمام جعفر الصادق - «عَلَيْهِ السَّلامُ»: أخبرني عن الإسلام والايمان أهما مختلفان؟ فقال: إن الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله «صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ» به حُقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان: الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل، والإيمان أرفع من الاسلام بدرجة، إن الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر، والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة).

كيف نوفِّق بين هذا الخبر وبين ما يدل على كفر فئات من المسلمين؟ بل وكيف نوفق بين هذا وبين ما يدل على شرك بعض المسلمين؟

أهمية هذا الأمر يرتبط اليوم بشكل كبير في دعاوى التكفير التي يُطلقها كل طرف من المسلمين تجاه الآخر.

• مراتب الكفر:

لابد أن نعي أن للكفر مراتب، وللشرك مراتب، وبعض مراتب الكفر والشرك لا تنافي حمل الفرد لعنوان الإسلام، ولا تستدعي إخراجه من دائرة الإسلام. فالفرد قد يكون محكوماً بالإسلام ولكنه مع ذلك يتصف بنوع من أنواع الكفر أو الشرك. أما بالنسبة إلى الكفر، فهناك كفر عقائدي، وكفر عملي، والعملي ينقسم إلى كفر نعمة، وكفر معصية.

نموذج الكفر العقدي ما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً، أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[النساء:١٥٠-١٥١].

هذا النوع من الكفر لا يلتقي مع الإسلام في شيء، وصاحبه ليس بمسلم.

أما نموذج الكفر العملي بخصوص النعمة ما جاء في قوله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[إبراهيم:٧].

ونموذج الكفر العملي في ما يخص المعصية ما جاء في قوله «عَزَّ وَجَلَّ»: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[آل عمران:٩٧].

فهو كفر يتمثل بنوع من التمرّد السلوكي والعملي على التشريع، استجابة للشهوات وغيرها، وهو لا يوجب الخروج عن الدين.. نعم هو مستلزم للفسق والخروج عن حالة التدين والالتزام بالشرع.

• مراتب الشرك:

أما بالنسبة إلى الشرك، فهو على أنواع: ومنها الشرك بادعاء وجود إله مع الله، وشرك بادعاء وجود أرباب يديرون الكون، وشرك بعبادة غير الله، وكلها لا تلتقي بالإسلام في شيء، وصاحبها ليس بمسلم.

وفي المقابل هناك شرك في الطاعة، كطاعة الهوى وطاعة الشيطان وطاعة الطاغوت مع تحقق عصيان الله في ذلك. وهذا لا يُخرج المسلم من دائرة الإسلام. كما في قوله تعالى عن النصارى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ﴾[التوبة:٣١].

وقد بيّن الإمام جعفر الصادق «عَلَيْهِ السَّلامُ» المراد

من ذلك فقال: (ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لا يشعرون).

وكذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[يوسف:١٠٦] فقد روي عن الإمام الصادق «عَلَيْهِ السَّلامُ» في ذلك أن المراد: (شرك طاعة وليس شرك عبادة).

وهناك شرك في النية، وذلك بتحقق الرياء في العمل، وقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (اعلموا أن يسير الرياء شرك)، وعن الإمام محمد الباقر «عَلَيْهِ السَّلامُ»: (من صلّى مراءاة الناس فهو مشرك، ومن عمل عملاً مما أمر الله به مراءاة الناس فهو مشرك). وهذا الشرك أيضاً لا يُخرج المسلم من دائرة الإسلام.

• خطورة الخلط:

إن عدم التمييز بين أنواع الكفر وأنواع الشرك، والأخذ بظاهر النصوص، والاستعجال في إصدار الأحكام، بل واتباع الهوى في ذلك، خلَق حالة من الفوضى الفكرية عند المسلمين، ثم خلق هذه الوجودات التكفيرية التي تدمّر ما تبقّى من مواطن القوة في الأمة بكل أنواع التدمير المادي والمعنوي والقيمي، دون ورع ولا تدبّر، بل وبما يحقق ما عجزت



عن تحقيقه يد الاستكبار والصهيونية طوال عقود من الزمن. وعلى المسلمين ـ لاسيما العلماء ـ أن يعودوا إلى رشدهم ويتحملوا مسؤولياتهم بحثاً عن نقاط الالتقاء والتوافق والمشتركات، ويدعوا العصبيات واللهاث وراء الشهرة في عالم الفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي اعتماداً على أسلوب الإثارة والهجوم على الآخر المختلف والبحث عن نقاط ضعفه للتهريج والتشهير بها والطعن في مقدساته وفقهائه ونتاجاته العلمية.

وبالله عليكم أي مذهب من المذاهب الإسلامية لا يحمل في طياته عناصر ضعف وخلل عبر تراكمات التراث الإنساني القابل للخطأ والصواب؟

ومسؤولية عامة المسلمين أن يحيّدوا هؤلاء، أن يلفظوهم خارج دائرة الاهتمام، وأن يركّزوا في ما ينشرونه ويستمعون إليه ويتبعونه على مَن يجمع ولا يفرّق، وعلى من يبني ولا يدمّر.

هذا الكتاب ...

من خلال تجربتي الإعلامية في القضايا الدينية مع الإعلام الكويتي أجد أنه مصاب بـ (فوبيا) الإعلام الإسلامي، ليس من خلال المضمون بقدر ما هو واقع تحت هلوسة وحساسية التعامل مع قضية التعددية الدينية التي تفسح المجال للمدارس الأخرى التي يتعبد بها أهل الكويت لأخذ حريتها المكفولة دستورياً. وهو خطأ فادح لا زالت الجهات المعنية ـ الرسمية منها والأهلية ـ تتعامل معه بتحفظ وحساسية مفرطة تتجه من خلالها إلى مصادرة الرأي الآخر، وفي هذا التحفظ وهذه الحساسية ـ وكما يلاحظ ـ مساهمة في زيادة البون الثقافي بين الجمهور، لاسيما عندما تم تغييب الرأي الديني الإسلامي الآخر، مما مهد للجهل والتزوير أن يأخذ طريقه إلى الإعلام الديني الإسلامي المنفرد. وسلسلة موضوعات (منتقيات) هي رسالة إلى المصابين بهذه (الفوبيا)، لينظروا إلى هذا النموذج الذي يقرّب ولا يفرق مع محافظته على الأصالة الفكرية لمدرسة أهل البيت، وهي دعوة لتذوّق فن الخطاب الديني الذي يناقش أحداث الأمة والقضايا الوطنية..

من مقدمة الكتاب

بقلم د. عبدالهادي الصالح

من إصدارات مسجد سيد هاشم بهبهاني ـ الكويت